أحسن تفسير للقرآن بفيض من الله عز وجل

التضاد بين القرآن والإرهاب

معالم الإيمان في تفسير القرآن

الجزء السبعون بعد المائتين

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الأشياء كلها بالكاف والنون ، وهو الإله في الأرض والإله في السماء ، ليس من شريك له تباركت أسماؤه الحسنى ، له الحمد بعدد تسبيح الملائكة والذين لا يعلم كثرتهم ولا يحصيهم إلا هو سبحانه .

لقد تفضل الله عز وجل وأنزل ألفاً منهم في معركة بدر ليتغير رجحان كفة القتال إلى جانب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، قال تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1] .

وهل كان هذا النزول ضداً للإرهاب ، الجواب نعم وهو بداية إستئصال الإرهاب ، إذ أصر رجال قريش على تعذيب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأوائل عندما كانوا في مكة ، وقاموا بحصار بني هاشم لثلاث سنين حصاراً اقتصادياً واجتماعياً بغية تسليمهم النبي للذين كفروا ليقتلوه لا لشئ إلا لأنه يدعو لكلمة التوحيد وإصلاح المجتمعات والسعادة الأخروية بنزول آيات القرآن وما فيها من البشارة والإنذار .

وعندما يئسوا من إسكات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن منع نزول آيات القرآن التي تذم عبادة الأوثان ، وتدعو لمكارم الأخلاق على نحو الوجوب العيني عزموا على قتل النبي محمد في فراشه ليلاً ، فنزل

---

(١) سورة الأنفال ٩.

جبرئيل بالأمر بالهجرة المباركة وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

فاضطر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الهجرة إلى المدينة (يثرب) لتكون هذه الهجرة إشراقة الإيمان على مشارق ومغارب الأرض إلى يوم القيامة .

لقد هاجر كثير من الأنبياء مثل نوح ، صالح ، شعيب ، يونس ، موسى عليهم السلام ، ويوسف وآل يعقوب عليهم السلام ، كما هاجر عيسى عليه السلام إلى مصر مع أمه وهو طفل هرباً من الظالمين ومعهما يوسف النجار ، وهي رحلة العائلة المقدسة إلى مصر ، وقد ذكر انجيل متى هذه الرحلة .

(٢: ١٣ و بعدما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا قم و خذ الصبي و امه و اهرب الى مصر و كن هناك حتى اقول لك لان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه .

٢: ١٤ فقام و اخذ الصبي و امه ليلا و انصرف الى مصر .

٢: ١٥ و كان هناك الى وفاة هيرودس)[2].

ولكن هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم غيرت وجه التأريخ نحو الصلاح ، وتثبيت الإيمان .

الحمد لله الذي تستجيب لمشيئته الخلائق ولا تتخلف عن حكمه ، وهو لا يشرك في حكمه أحد ، ولم يتخذ مستشاراً .

الحمد لله الذي جعل قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء ، ومتى يشاء ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة الإنفال ٣٠.

(٢) موسوعة الكتاب المقدس ١٣٨/٤ .

(٣) سورة التوبة ٤٠.

وهل الإرهاب حرب على علو كلمة الله ، الجواب نعم لما فيه من بعث النفرة في النفوس من ذات الفعل وموضوعه ونسبته العقائدية التي لا أصل لها ، فنزلت آيات القرآن بكفاية الحجة والبرهان في الدعوة إلى الله ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1].

الحمد لله الذي هدانا لقول الحمد لله ، وهذا القول نعمة وتوفيق نسأل الله عز وجل استدامته ، وهل هو سبب لبقاء وزيادة النعم ، الجواب نعم ، ولا يحصي نعم الله عز وجل إلا هو سبحانه الذي لم يجعل لها حداً أو نقيصة ، الحمد لله الذي جعل حمدنا في الدنيا واقية لنا من ضغطة القبر ومن عذاب البرزخ[2].

الحمد لله الذي هدانا للإيمان ، ورزقنا تلاوة القرآن والتسبيح في الليل والنهار ، وإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني ، فلا تغني عن المسلم صلاة غيره ، إلا ما يتعلق بقضاء الغير لها بعد وفاته.

وهل الصلاة دعوة يومية متجددة لنبذ الإرهاب والعنف والتفجيرات العشوائية .

الجواب نعم فالصلاة عنوان حب العباد لله ، واستجابتهم لأوامره وعلامة الصلاح ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[3].

والنسبة بين المنكر والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، لبيان أمور :

الأول : قانون فرض الصلاة اليومية برزخ دون الإرهاب .

الثاني : قانون الصلاة تهذيب للنفوس .

الثالث : قانون أداء الصلاة اليومية أمان للذات والغير .

الرابع : حب الله عز وجل للمصلين .

---

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) أنظر الجزء الثالث من كتابنا (قوانين البرزخ) .

(٣) سورة العنكبوت ٤٥.

الخامس : قانون أداء الصلاة حبس للجوارح من التعدي والظلم ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾(١).

فوجوب الصلاة على كل مسلم ومسلمة نعمة من عند الله وإصلاح للمجتمعات ، ومن خصائص الصلاة وجوب تلاوة القرآن في كل ركعة منها.

وتدعو آيات القرآن إلى الهدى والسلم لمجتمعي ، وتبعث على المحبة والتآخي والتراحم بين الناس ، وتنهى عن الظلم والتعدي .

وتتضمن آيات كثيرة من القرآن البشارة والإنذار ، البشارة بالجنة ، والإنذار والوعيد للذين يظلمون الناس ويسفكون الدماء بغير حق .

وتلاوة القرآن مدرسة أخلاقية تعصم الجوارح من الظلم والتعدي ، وتمنع من الهّم بالمعصية ، ويفاجئ المسلم يوم القيامة بالإطلاع على أمور :

الأول : أفراد قانون الصلاح بتلاوة آيات القرآن .

الثاني : قانون صرف القرآن صاحبه عن السيئات.

الثالث : قانون رجحان كفة الصالحات بتلاوة القرآن والعمل بمضامينه ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٢).

هذا إلى جانب قانون نجاة الإنسان من عذاب القبر بتلاوة سورة الملك التي تبدأ بقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾(٣).

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار الإنذار ، وقد ينجو الإنسان من مغامرة ، وفعل محفوف بالمخاطر مرة ، ولكنه يخيب ويسقط في الثانية ، وفي المثل : ليس كل مرة تسلم الجرة ، والجرة إناء من فخار لنقل الماء ، وإذا عثر

---

(١) سورة هود ١١٧.

(٢) سورة ق ٢٢ .

(٣) سورة الملك ١-٢.

صاحبها ولم تنكسر في المرة الأولى فانها تنكسر في الثانية أو الثالثة لبيان لزوم الحذر والحيطة وعدم التمادي بفعل السيئات .

والإنسان بذاته ضعيف ، قال تعالى ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[1] فلابد من اجتناب الفعل الذي فيه مخالفة للشرع والقانون ، ومنه التعدي والظلم والإرهاب .

بالمعنى المركوز في الأذهان للإرهاب ، وبيان وسائل الإعلام التي تنفذ لكل بيت أظهر وأوضح مما عرّف به لفظياً لبيان ماهيته وما يترتب عليه .

ولابد من مواجهة الإرهاب وإخافة عامة الناس الآمنين بالوحدة المجتمعية ، ونشر ثقافة التسامح والمواطنة ، ونبذ العنف والتطرف .

والإرهاب والترهيب الإخافة الشديدة ، والمقترنة بالإرباك .

ووردت مادة (رهب) في القرآن في قوله تعالى ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2] .

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[3] .

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[4] .

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء ٢٨.

(٢) سورة النحل ٤١.

(٣) سورة الأعراف ١٥٤.

(٤) سورة الأنبياء ٩٠.

(٥) سورة الحشر ١٣.

نعم ورد قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

لبيان صيرورة حالة من الدفاع والحيطة تمنع من الإرهاب وعدوان المشركين ، فاذا علموا باستعداد المسلمين للدفاع فانهم يمتنعون عن غزو المدينة .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يذب عن المستضعفين والعبيد ، ويدعو إلى الإحسان إليهم ، والمبادرة إلى عتقهم والترغيب بالعتق الذي نزل به القرآن في باب الكفارات مثل كفارة قتل الخطأ ، وكفارة اليمين ، والظِهار .

وفي الإفطار المتعمد ورد عن أبي هريرة (قال : بينا أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه رجل ، فقال : يا رسول الله ، هلكت قال : ويحك ، ما لك .

قال : وقعت على امرأتي ، وأنا صائم ، في رمضان .

قال : هل تجد رقبة تعتقها ، قال : لا والله يا رسول الله . قال : فهل تطيق صيام شهرين متتابعين ؟ قال : لا والله يا رسول الله .

قال : فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ قال : لا ، يا رسول الله ، فأعرض عنه .

فبينا هم على ذلك أتي بعرق[2] فيه تمر ، فقال : أين الذي أتى ؟ فدعي له.

---

(١) سورة الأنفال ٦٠.

(٢) العرق : المكتل والزنبيل .

فقال : خذ هذا فتصدق به قال : أعلى أفقر من أهلي يا رسول الله ، والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا .

فضحك حتى بدت أنيابه ، ثم قال : خذه ، فأطعمه أهلك)[١] .

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ . . .﴾[٢].

وامتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

ويدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعل المسلمة من الكفار صداقه والمهر الذي دفعه لها .

وفي صلح الحديبية ورد عن (عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ خَرَجَ عِبْدَانٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم - يعْنِي يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ - قَبْلَ الصُّلْحِ.

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَوَالِيهِمْ فَقَالُوا يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا خَرَجُوا إِلَيْكَ رَغْبَةً فِي دِينِكَ وَإِنَّمَا خَرَجُوا هَرَبًا مِنَ الرِّقِّ .

فَقَالَ نَاسٌ صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ.

فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَقَالَ مَا أُرَاكُمْ تَنْتَهُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ عَلَى هَذَا . وَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُمْ وَقَالَ : هُمْ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[٣].

وعبدان جمع عبد ، لذا ورد في آخر الحديث قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة الجمع : هُمْ عُتَقَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

لقد تعددت معاني وتعاريف الإرهاب في هذا الزمان ، ولكنه كظاهرة واضح ومرتكز في الأذهان ووسائل الإعلام ، ومنه العنف والبطش وسفك دماء الأفراد ، والتهديد وترويع الآمنين حمية بسبب قراءة خاطئة للدين ،

---

(١) المعجم الأوسط / للطبراني ٢٩١/٥.

(٢) سورة الممتحنة ١٠.

(٣) سنن أبي داود ١٧/٣.

أو فهم سيئ للسياسة وحب الإنتقام والحسد الشديد ، وهو من البغي المنهي عنه ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

والإرهاب من الفساد في الأرض ، قال تعالى ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢) لتبعث هذه الآيات النفرة في النفوس من الإرهاب ومقدماته ، وتمنع من الإعانة عليه .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم).

وقال (لا يدخل الجنة سيئ الخلق) لوجوب حسن الخلق مع الناس جميعاً ، وترك العنف والتعدي ، قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

الحمد لله على نعمة الأمن والأمان العامة للناس التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل ، وهل هي فرع من ملكية الله عز وجل للأرض والسماء ، ومن خلافة الإنسان في الأرض ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤)(٥).

---

(١) سورة الأعراف ٣٣.

(٢) سورة القصص ٧٧.

(٣) سورة الأنعام ٤٨.

(٤) سورة آل عمران ١٨٩.

(٥) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

الحمد لله الذي يبعث النفرة في النفوس من الإرهاب والتعدي ، لبيان أن الأصل في الحياة الدنيا هو الصلاح والرشاد وأن الظلم أمر طارئ سرعان ما يزول ، ولا يجلب لأهله إلا الندامة والحسرة .

الحمد لله الذي جعل الناس غارقين في بحار نعمه ، فضلاً منه تعالى ، ودعوة للإيمان .

ومن رحمة الله عز وجل أن الذنوب والمعاصي لا تحجب نعمه عن الناس ، وهو الذي يرزق المسئ فضلاً على المصلح ، ويديم النعم على الناس لوجود أمة تقر بالتوحيد ، وتؤدي الفرائض العبادية التي جاء بها الرسل .

الحمد لله الذي أهلك الذين حاربوا الرسل ، وان كان السلطان بيدهم ، فمن بديع صنع الله عز وجل والمعجزات التي يلتقي بها الأنبياء هلاك الذين يحاربونهم ، ويتخذون من الحكم والسلطان مادة لمنع الناس من دخول الإسلام واتباع الأنبياء ، ومنهم نمروذ الذي ألقى إبراهيم في النار بعد أن ألقى إبراهيم عليه الحجة ، وأظهر المعجزة التي تدل على صدق رسالته ، فقال تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

مما يدل على استجابة الجمادات لله بما ينفع المؤمنين ، ويصلح الأرض.

و(قال زيد بن أسلم: إن الله تعالى بعث الى نمرود بعد ابراهيم ملكاً يدعوه الى الله أربع مرات فأبى وقال: أربّ غيري .

فقال له الملك : اجمع جموعك الى ثلاثة أيام، فجمع جموعه، ففتح الله عليه باباً من البعوض، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها .

فبعثها الله عليهم فأكلتهم ولم يبق منهم إلا العظام والملك كما هو لم يصبه شيء .

فأرسل الله عليه بعوضةً فدخلت في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه ، وكان

(١) سورة الأنبياء ٦٩.

ملكه ذلك أربعمائة سنة ، وأماته الله تعالى ، وهو الذي بنى الصرح)[١].

وزيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب تابعي من الطبقة الثالثة مات سنة (١٣٠ هجرية) وهو من أهل الفقه والعلم ، سمع عن أنس بن مالك ، وعن الإمام علي بن الحسين وابن المسيب ، ولم يرفع الحديث أعلاه ، ولم يبين جهة الصدور .

وهذا الصرح غير صرح فرعون وهامان الذي ورد ذكره في القرآن بقوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[٢].

وفي صرح نمرود (قال ابن عباس : هو النمرود بن كنعان بن سنحاريب بن حام بن نوح بنى الصرح في قرية الرس من سواد الكوفة ، وجعل طوله خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعاً وصعد منه مع النسور .

فلما علم أنه لا سبيل إلى السماء اتخذه حصناً وجمع فيه أهله وولده ليتحصن فيه ، فأتى الله بنيانه من القواعد ، فتداعى الصرح عليهم ، فهلكوا جميعاً ، فهذا معنى قوله ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾[٣])[٤].

ولقد حارب فرعون بسلطانه موسى عليه السلام فاغرقه الله في البحر بمرأى من موسى وبني إسرائيل .

و(عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا رأيت الله يعطي العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه ،

---

(١) الكامل في التأريخ ٣٨/١ .

(٢) سورة غافر ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم ٤٦.

(٤) النكت والعيون ٣٢٦/٢ .

فإنما ذلك استدراج منه له ثم تلا ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1])[2].

و(عن طارق بن شهاب قال : كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة ، فقال : تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [3])[4].

ولم تنحصر عقوبة الغرق بفرعون ، إذ سبق غرق الذين كذبوا نوحاً بالطوفان ، قال تعالى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[5].

فذكرت خاتمة الآية أعلاه الظالمين عامة ، وما يلاقونه من العذاب الشديد يوم القيامة لبيان أنه لا يختص برؤساء الكفر الذين حاربوا الأنبياء بل يشمل الذين يظلمون الناس ويعتدون على أموالهم ، وعلى الأملاك العامة ، ويتخذون الرعب وسيلة لإخافة الناس ، وتحقيق غاياتهم ، فلا ينالون منها شيئاً .

ونسأل الله عز وجل النجاة من الظلم ، فاعلاً ومفعولاً .

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لعصمة المسلمين من الإضرار بالناس ، وكفل لهم سلامتهم وأمنهم

---

(١) سورة الزخرف ٥٥.

(٢) الدر المنثور ١٠١/٩.

(٣) سورة الزخرف ٥٥.

(٤) الدر المنثور ١٠١/٩ .

(٥) سورة الفرقان ٣٧.

والأخوة بينهم وسعة رزقهم ، قال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(١).

ترى ما هي النسبة بين التدمير التام في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾(٢)، وبين غرق فرعون وجنوده في البحر .

المختار أن النسبة بينهما هي العموم والخصوص المطلق ، وأن التدمير أعم ، إذ أبتلى آل فرعون بضروب من البلاء قبل الغرق .

ومن لم يغرق في البحر منهم عاش الذل والهوان ، كما أن ذات الغرق والهلاك في البحر دمار لملكتهم وسلطانهم ، قال تعالى ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾(٣).

و(عن ابن عباس أنه سأل كعباً عن أصحاب الرس قال : صاحب البئر الذي ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾(٤) فرسه قومه في بئر بالحجار)(٥).

و(عن ابن عباس أن أصحاب الرس أهل قرية من قرى ثمود) وعنه أيضاً قال (﴿الرَّسِّ﴾ بئر بأذربيجان .

وأخرج ابن عساكر عن قتادة في قوله ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾(١) قال : قوم شعيب)(٢).

---

(١) سورة القصص ٥.

(٢) سورة الفرقان ٣٥-٣٦.

(٣) سورة الفرقان ٣٨.

(٤) سورة يس ٢٠.

(٥) الدر المنثور ٣٥٢/٧ .

الحمد لله على صحة البدن ، وتدارك الدرن ونعمة الشفاء السريع من المرض ، وبفضل الله عز وجل تتم الصالحات وهو الذي ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

اللهم إنا نسألك أن نكون من الشاكرين العاملين في سبيل مرضاتك ، ونعوذ بك من البطر والغرور ، ومن الإضرار بالناس .

فقد تفضلت وبعثت النبي محمداً بالرحمة العامة بقولك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٤)، ليكون المسلم مرأة وترجماناً لسيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الأمن ، وتثبيت السلم المجتمعي والقضاء على الغزو بين القبائل ، وصيرورة عموم المسلمين في مشارق ومغارب الأرض إخوة بخصال الإيمان ، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وهذا الجزء الذي بين يديك هو (**السبعون بعد المائتين**) من كتابي الموسوم (**معالم الإيمان في تفسير القرآن**) ويختص بقانون (**التضاد بين القرآن والإرهاب**) ليكون الجزء العشرين من هذا السفر الذي يختص بهذا القانون في آية علمية وإثارة لكنوز القرآن التي تتضمن الرحمة والرأفة بين الناس وتدعو إليها .

---

(١) سورة الفرقان ٣٨.

(٢) الدر المنثور ٣٥٢/٧ .

(٣) سورة البقرة ٢١٢.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

ويبين هذا الجزء حرمة الإرهاب بمصاديقه المختلفة ، والبعث على إجتنابه والنفرة منه استقراء من آيات القرآن الذي نزل لتثبيت الأمن في المجتمعات ، وسيادة أحكام الشريعة والقانون ، والتنزه عن الإرهاب المدني وعن إخافة الناس في المنتديات وفي المركبات ، والمنع من جريمة الحرابة ، وإتلاف الأموال بغير حق .

الحمد لله مالك الملك الواجب الذي لا تنقص خزائنه ، ويعجز التصور الذهني عن إحصاء عددها وكنوزها ، فتفضل وأطلق الوعد بالإستجابة بقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1].

وهل تدل هذه الآية في مفهومها على الزجر عن الإرهاب ، الجواب نعم.

إذ تدعو المسلمين إلى اللجوء إلى سلاح الدعاء لتحقيق الرغائب ، وتزجر عن البطش بالناس وتخويفهم لما فيه من إشغالهم عن ذكر الله وعن الدعاء .

اللهم أنت الذي جعلت الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، فتفضل وأصلح أحوالنا ، واهدنا للتي هي أقوم واجعل الأرض خالية من الظلم والتعدي ، والحروب والإرهاب .

وأملأ قلوبنا بحبك والشوق إلى لقائك ، والميل إلى تلاوة القرآن حق تلاوته ، والتدبر في معانيه القدسية ، والتقيد بأحكامه والوقوف عند حدوده.

---

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

وقد ورد لفظ ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ اثنتي عشرة مرة ، منها ست مرات مع اسم الإشارة (تلك) لبيان مجئ القرآن بالأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1].

لقد حرمت الشريعة الإسلامية الإرهاب وسنت حدّ الحرابة وهو أشد العقوبات للزجر عن إخافة الناس وإشاعة الرعب ويجتهد علماء الإسلام في كل زمان بالدعوة إلى الأمن المجتمعي ونبذ الإرهاب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2].

حرر في العشرين من شهر جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ
٢٠٢٥/١٢/١٢

---

(١) سورة الطلاق ١.

(٢) سورة فاطر ٢٨.

قانون البسملة سلام

البسملة هي مختصر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[١] التي هي آية من القرآن ، وقد وردت في أول كل سورة من القرآن باستثناء سورة التوبة ، ومن فضل الله عز وجل أنها وردت جزء آية من سورة النمل ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٢] وفيه مسائل :

الأولى : منع إتساع الإختلاف هل البسملة آية من القرآن أو أنها آية من سورة الفاتحة وحدها أو وردت للفصل بين السور القرآنية ، والمختار أنها آية من كل سورة من القرآن إلا سورة التوبة ، ولا بد من الإتيان بها في الصلاة.

الثانية : القطع والتسليم بأن هذه الآية سورة من القرآن .

الثالثة : البسملة هدى وسلاح بيد الأنبياء .

الرابعة : حاجة المسلم للنطق بالبسملة .

الخامسة : استحضار البسملة عند الإبتداء بالقول أو العمل .

السادسة : التدبر في معاني ودلالات البسملة ، وما فيها من البركة والفيض ، وهل البسملة واقية من الإرهاب وشروره ، الجواب نعم إذ تدعو الناس إلى اللطف والإحسان والتراحم فيما بينهم .

وعن جرير قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[٣].

وفيه دعوة نبوية لكل إنسان بأن يرحم غيره سواء عياله ، أو غيرهم ، وهل يشمل رحمة العدو ، الجواب نعم ، باللجوء إلى الصلح والصبر ، والإمتناع عن الظلم والتعدي .

---

(١) سورة الفاتحة ١.

(٢) سورة النمل ٣٠.

(٣) الدر المنثور ٢٣٥/٩.

وجاء النهي عن التعدي في القرآن مطلقاً ، إذ ورد مرتين في القرآن قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1] إحداهما في سورة البقرة والأخرى في سورة المائدة التي هي من آخر سور القرآن نزولاً مما يدل على أنها آية محكمة وسالمة من النسخ .

واسم الجلالة (الله) هو الاسم العلم للذات الإلهية ، وهو المألوه والمعبود ، ولا يعبد سواه ، وتدل البسملة على التسليم بأن مقاليد الأمور بيد الله عز وجل ، ولا يعلم منافع البسملة عند افتتاح بالقول أو العمل أو التلاوة إلا الله عز وجل ، ويدل عليه أن أول نزول القرآن كان باسم الله بقوله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2].

والنطق بالبسملة سؤال للعون والمدد من عند الله عز وجل ، ودعوة للمسلم لإختيار الأفضل والأكثر رحمة وإحساناً ورأفة في العمل والمعاملة بعيداً عن العنف والإرهاب .

ومن خصائص البسملة أنها استعانة بالله عز وجل ودعاء لتتغشانا رحمته في الدنيا والآخرة بالهداية إلى العمل الصالح والذي فيه الأجر والثواب ، والسلامة في النشأتين ، والإبتعاد عن الظلم والإرهاب .

وقد وردت النصوص والأحاديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنطقه بالبسملة في مختلف الأحوال مع إقترانها بالدعاء ، منها عند الخروج من المنزل وعند الوضوء ، ودخول المسجد ، وعند الأكل ، والرجوع إلى البيت ، والإبتداء بالخطبة .

ومن معاني قانون البسملة سلام : بعث الطمأنينة في نفوس الذين يسمعون البسملة من صاحبها والناطق بها ،وكذا قول الله أكبر الذي هو عنوان الاتحاد والألفة بين الناس بالعبودية لله .

---

(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة العلق ١.

وكأن الذي ينطق بالبسملة يقول للناس اطمأنوا فان رحمة الله تتغشانا جميعاً ، وأنا أرجو رحمة الله لي ولكم .

وقد تقدم القول مني أن لله عز وجل نعم خاصة على كل إنسان لا تكون عند غيره من أيام أدم عليه السلام وإلى يوم القيامة وهو مثل بصمة اليد وبصمة العين ، وكذا فان لله عز وجل مصاديق من الرحمة على كل إنسان لا تكون عند غيره .

ترى ما هي النسبة بين الرحمة والنعمة ، وهل هما من المتساويين أو المتضايفين .

المختار هو العموم والخصوص المطلق ، وأن رحمة الله عز وجل أعم وأوسع .

و(عن سلمان قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أن الله خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض ، كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض .

فأهبط منها رحمة إلى الأرض ، فيها تراحم الخلائق ، وبها تعطف الوالدة على ولدها ، وبها يشرب الطير والوحوش من الماء ، وبها تعيش الخلائق .

فإذا كان يوم القيامة انتزعها من خلقه ثم أفاضها على المتقين ، وزاد تسعاً وتسعين رحمة ، ثم قرأ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1])[2].

واختلف في افتتاح الصلاة بالبسملة ، ومشهور علماء الإسلام الإخفات بها .

---

(١) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٢) الدر المنثور ٣٣٧/٤.

و(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ بِـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ ، وَقَدْ قَالَ بِهَذَا عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ رَأَوُا الْجَهْرَ بِـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيّ)[1].

والمختار الإجهار بالبسملة ، وهو الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وورد (عن صفوان قال: صليت خلف أبي عبدالله عليه السلام أياما كان يقرأ في فاتحة الكتاب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإذا كان صلاة لا يجهر فيها بالقرائة جهر بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأخفى ما سوى ذلك)[2].

نعمة العقل

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان بالخلافة في الأرض ، والفطرة السليمة ، لتترشح عنها نعم كثيرة ظاهرة وخفية ، وتستديم معها سنن الخلافة في الأرض ، ومنها فوز كل إنسان ذكراً أو أنثى بنعمة العقل وضبط مسار التفكير ، ومنهاج الآداب العامة.

والعقل نور وهبة من الله للتمييز بين الحق والباطل ، والمبادرة إلى المصالح وإجتناب المفاسد ، ولم يرد لفظ (العقل) أو (العقول) في القرآن ، ولكن وردت مشتقاته بمعاني ودلالات جلية تبين موضوعية تسخير العقل في أمور الدين والدنيا .

---

(١) سنن الترمذي ٤٢٩/١ .

(٢) تهذيب الأحكام ٣٨/٣ .

إذ ورد ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ثماني مرات في القرآن ، و﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ اثنتى عشرة مرة في القرآن ، وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[1] لبيان الإنتفاع الأمثل من العلم بفهم الأمور والإتعاظ من الوقائع .

كما وردت في القرآن كلمات مرادفة للعقل مثل ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ و﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2][3] .

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار التكاليف والأحكام الشرعية ، والعقل هو الفيصل وبه يحاسب الله عز وجل الناس ويقيم عليهم الحجة، وهو آلة الفقاهة والفهم والبصيرة .

والعقل ووظائفه من نعم الله عز وجل على الناس ، نعم لقد قيّد الله عز وجل العقل الإنساني وجعله قاصراً عن إدراك علوم الغيب حتى في التصور الذهني مع سعته ، وكأن العقل رسول باطني عند الإنسان يترجم ما ورد في التنزيل إلى الواقع العملي لذا قسم بعضهم العقل إلى قسمين :

الأول : العقل النظري .

الثاني : العقل العملي .

ويزجر كل منهما الإنسان عن الظلم والإرهاب والبطش ، وسفك الدماء والإضرار بالناس ، إلى حانب زجر القرآن عنها ، ويتجلى قانون التنزيل نور يستضئ به العقل .

وعن أنس قال (إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم)[1].

---

(١) سورة العنكبوت ٤٣.

(٢) سورة آل عمران ١٩٠.

(٣) أنظر الجزء الرابع والثلاثين بعد المائتين من هذا السِفر وهو خاص بتفسير هذه الآية .

ومن خصائص العقل زجره عن الإرهاب ، وإزهاق الأرواح وإتلاف الأموال ، ومنها بعث الفزع والخوف في نفوس عامة الناس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر (يا أبا ذر، لا عَقْل كالتدبير، ولا وَرَع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق)[٢].

حلاوة الأمل

الأمل هو الشعور بتفاؤل نحو المستقبل القريب أو البعيد ، ورجاء تهيئة البلغة لتحقيق الأماني ، وقد يكون عوناً وحافزاً على الصبر وملاقاة العوائق بجد وإجتهاد .

ومن خصائص الإنسان إجتماع الأمل عنده مع المصيبة والإبتلاء والألم ، سواء الأمل في ذات موضوع الإبتلاء أو في غيره .

والأمل باب للدعاء ليتفضل الله عز وجل بتقريب البعيد ، وإيجاد المعدوم بالكاف والنون ، لذا يمتاز المؤمن عن غيره في باب الأمل واتخاذه الدعاء وسيلة وسلاحاً لتنجز الأمل وإزاحة الموانع دونه بعيداً عن الأوهام والقلق .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣]، وجعل أمال وأماني الإنسان أوسع وأكبر من جهده وقدرته أضعافاً مضاعفة ، ويصاحبه الأمل برحمة وفضل من الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٤]، ولا يعلم ويحصي ما يأمله الإنسان إلا الله عز وجل.

ويمر الأمل على ذهن الإنسان بموضوع ما ، ثم ما يلبث أن ينساه ، ولكن الله عز وجل يعلمه من قبل أن يخلق هذا الإنسان ،وهو حاضر عند الله عز

---

(١) جمع الجوامع للسيوطي ٦٢١٠/١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤٧٣/٢ .

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة الطلاق ٢.

وجل في الدنيا والآخرة ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[١].

وفوات كثير من الآمال لا يمنع الإنسان من تجددها في الوجود الذهني.

ويلزم المبادرة إلى الدعاء في الآمال الخاصة والعامة التي يجهر بها أو التي تكون باخفات وسراً ، ومنها ما يضحك عليه الناس لو علموا بها ، لإنتفاء مقدماتها أو استحالة أسبابها ، ولكنها باب للجوء إلى الدعاء ، والإقرار بالضعف والعجز .

ويتجلى قانون مصاحبة الأمل للإنسان ، فليس من إنسان إلا وعنده آمال تتسع أحياناً أو تضيق .

ويلزم أن تكون الأماني والأمال في طاعة الله وبالحلال ، بعيداً عن المحرمات وحبائل الشيطان ، وخالية من

ومن خصائص الإنسان أن ذهاب أمله أدراج الرياح لم يمنعه من تجدد الآمال في ذات الأمر أو غيره .

وقال الشاعر :

(ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن)[٢].

وهل من ملازمة بين الإيمان ونوع الأماني ، الجواب نعم ، فلا يتمنى المؤمن ما فيه الأذى والضرر للآخرين .

والله هو سبحانه الذي يقرب البعيد ، ويوجد المقتضي ، ويزيح المانع ، وفي التنزيل ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة طه ٧.

(٢) خزائن الأدب ٢٠٤/١.

(٣) سورة التكوير ٢٩.

قانون تصدي الأنبياء للإرهاب

لقد كانت واقعة قتل قابيل بن آدم لأخيه هابيل عبرة ودرساً يتعظ منه الأنبياء والصالحون للتحلي بالصبر عند ملاقاة الإرهاب والذي يكون القتل بغير حق أشد ضروبه .

وقد تلقاه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بلمعان السيوف ، وإرادة كفار قريش قتله وجعل المهاجرين والأنصار بين قتيل وأسير ، قال تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

ويستعد الأنبياء لتحمل الأذى ، ولزوم عدم التوقف عن الدعوة إلى الله معه ، لذا حينما جاء رؤساء قريش إلى أبي طالب وعرضوا عليه أن يكف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن إيذائهم وشتم آبائهم وله ما يريد من الأموال والرئاسة عليهم والزواج من عشر نساء .

عرض أبو طالب ما جاءوا به على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبادر إلى القول (يَا عَمِّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ .

قَالَ ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم فَبَكَى ثُمَّ قَامَ فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي ، قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم فَقَالَ اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا)[2].

ولم يكن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشتم آباءهم إنما كانت آيات القرآن تنزل بذم الذين يعبدون الأصنام ، وسوء عاقبة الذين غادروا الدنيا على هذه العبادة والشرك بالله .

ولم ينزل القرآن لخصوص أيام التنزيل بل لتبقى آياته واقية من عبادة الأصنام إلى يوم القيامة بما ينفع أجيال الناس في دنياهم وأخراهم .

---

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية ٢٦٦/١ .

وقد ذم القرآن العنف والبطش ، وجاء حكاية عن النبي هود للكافرين من قومه ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾(١).

وهل يختص هذا البطش والإرهاب والتعدي بقوم هود ، الجواب لا ، إنما جاء من باب المثال لينزجر الناس عن ترجمة الخصومة إلى الفتك بالمخالف في الرأي والمذهب وللترغيب بقانون أدب الخلاف .

ومن خصائص قصص القرآن الموعظة وإصلاح المجتمعات ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٢).

وقد توجه النبي شعيب إلى قومه باللوم على فسادهم وظلمهم والإضرار بالناس باتلاف أموالهم وقطع أشجارهم ، كما ورد في التنزيل ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(٣).

ونزل القرآن بانذار المسلمين من الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم ، قال تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾(٤).

ومن إعجاز هذه الآية اقتران الإنذار بالبشارة إذ تدل على تولي المسلمين الحكم والسلطنة ، والأمر والنهي والمندوحة في العمل والسفر ، ويلزم اجتناب الفساد .

---

(١) سورة الشعراء ١٣٠.

(٢) سورة يوسف ١١١.

(٣) سورة الأعراف ٨٥-٨٦.

(٤) سورة محمد ٢٢-٢٣.

وهل الإرهاب من الفساد المنهي عنه في هذه الآية ، الجواب نعم ، والنسبة بين الفساد والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالفساد أعم ، ومنه الشرك وارتكاب المعاصي ، وتنهى هذه الآية عن تقطيع الأرحام بالشقاق بين المسلمين .

الأصنام وبداية البعثة النبوية

لقد كانت الأصنام حاجزاً دون إيمان الناس لإنقطاعهم لها وتوارث حبهم لها ، واللجوء إليها في المهمات ، وهي شرك تؤدي بأهلها إلى النار .

لقد جاهد النبي إبراهيم عليه السلام بنفسه وعياله ، وانتقل من الشام إلى الحجاز ليعيد بناء البيت الحرام كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(١) .

وينادي هو وإسماعيل الناس بحج البيت الحرام ، وهذا النداء ذو صبغة سلمية لم يحمل الناس بالإكراه على حج البيت ، قال تعالى ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(٢) .

لبيان أن النداء للحج يصدر من إبراهيم ، ويتفضل الله عز وجل ويهدي الناس إلى حجه ، وهو الأمر الظاهر في كل زمان وإلى يوم القيامة ببركة ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ تجلى قانون حج البيت الحرام معجزة متجددة .

ومن الإعجاز في ذكر إسماعيل في الآية أعلاه بيان تتمة إسماعيل منهاج إبراهيم في دعوة الناس بلطف وسلم ومثابرة لتثبيت فريضة الحج ، ليتعاهد الناس أداءه .

وهل هذا الأداء دعوة للسلم ونبذ للإرهاب والظلم ، الجواب نعم .

---

(١) سورة البقرة ١٢٧.

(٢) سورة الحج ٢٧ .

فالتلبية في الحج (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك) براءة من الشرك ومن الظلم للذات والغير ، وهي إظهار لصدق العبودية لله عز وجل.

ويبعث الله عز وجل النبي محمداً رسولاً للناس جميعاً بقوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾[1].

والنسبة بين دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإيمان ودعوة إبراهيم حج البيت الحرام عموم وخصوص مطلق فالإيمان أعم لذا فان حج البيت أحد فروع الإسلام ، وفيه شاهد على تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء الآخرين .

وهل من الإيمان الذي نادى به النبي محمد التنزه عن الظلم والإرهاب والتعدي ، الجواب نعم ، لذا ورد في القرآن نداء إلى المسلمين في أجيالهم المتعاقبة ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

قول (الله أكبر) رحمة عامة

لقد أكرم الله عز وجل بني آدم بهبوط الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر ، وأحد ، والخندق ، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين لإستئصال الإرهاب من الأرض ، ولسيادة السلام والأمن المترشح عن سنن التقوى .

ومن فضل الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مناداة المؤذنين باسمه خمس مرات في اليوم بالإقرار له بالرسالة ومقترناً مع التسليم بالتوحيد فبعد تكبير المؤذن ونطقه بقول (أشهد أن لا إله إلا الله) تأتي الشهادة للنبي محمد (أشهد أن محمداً رسول الله).

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

وزاد الله عز وجل على المسلمين من فضله في هذا الزمان بجعل الأذان يصدح في مشارق ومغارب الأرض مما يملي عليهم الشكر لله عز وجل بنشر ألوية السلم والأمن وجعلها مصاحبة للأذان ومقدمة له في بقاع الأرض .

والشكر العملي سبيل لإستدامة أداء الفرائض العبادية بأمان في أنحاء الأرض ، وإحياء لسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجهاده لتحقيق السلم المجتمعي .

وهذا الشكر من كل مسلم ومسلمة وكف الأيدي عن الظلم والإرهاب من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

ولم يشرع الأذان في مكة إنما شرع في المدينة بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليها لشدة محاربة قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإتخاذهم الإرهاب الفكري والجسدي لصد المسلمين عن تلاوة القرآن وأداء الصلاة ، ومن شكر المسلم لله عز وجل انتظار الأذان كعلامة ودعوة للصلاة وإشاعة الأمن المجتمعي ، وجعل الناس تطمئن له .

ولتكون مصاديق قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]، على وجوه :

الأول : تأكيد طمأنينة قلوب المؤمنين بذكر الله .

الثاني : قانون طاعة الله طمأنينة للقلوب .

الثالث : قانون تصديق المسلمين بما وعد الله عز وجل من اللبث الدائم في النعيم للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، والنسبة بين عمل الصالحات وبين الإرهاب التضاد .

الرابع : قانون طمأنينة الذين يسمعون ذكر الله ، والنسبة بين (قلوبهم) و(القلوب) في الآية أعلاه عموم وخصوص مطلق ، إذ تفيد الألف واللام في

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة الرعد ٢٨.

(القلوب) العموم الإستغراقي وتشمل الذين يسمعون ذكر الله ومنه قول الله أكبر لما جبلت عليه القلوب .

الخامس : قانون ذكر الله من إخلاص العبودية .

السادس : طمأنينة الناس للذي ينادي (الله أكبر) سواء في الصلاة أو خارجها ، فلا يصح قول (الله أكبر) والإضرار بالناس للتنافي والتضاد بينهما ، وقولك (الله أكبر) رسالة رحمة عامة ورفق وسكينة لكل من يسمعه مسلماً أو غير مسلم .

تعدد صيغ الوحي

الوحي لغة هو الإعلام والإخبار في خفاء ، ويأتي بمعنى الإيماء والإشارة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى في زكريا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]، أما الوحي في الإصطلاح فهو تفضل الله عز وجل بتعليم أحد الأنبياء ، وإخباره عن حكم شرعي وغيره.

لتكون النسبة بين الوحي في اللغة والإصطلاح هو العموم والخصوص المطلق.

فالوحي في الإصطلاح أخص وأسمى ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[2].

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معجزة الوحي وجوه :

الأول : قانون اجتماع الوحي ونزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : قانون مصاحبة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العبادات والمعاملات ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا

---

(١) سورة مريم ١١ .

(٢) سورة الشورى ٥١.

وَحْيٌ يُوحَى ﴾[1].

الثالث : قانون الوحي مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع : قانون حضور الوحي في الوقائع والأحداث أيام النبوة.

الخامس : لقد كانت أسئلة الناس تترى وتتوالى على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة وبعد الهجرة .

فتأتيه الأسئلة من الصحابة للتفقه في الدين ، ومن أهل الكتاب لمعرفة شواهد النبوة .

ومن المشركين للجدال والشقاق فتأتي أجوبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قسمين :

الأول : الأجوبة التي نزلت بها آيات من القرآن ، منها ورود قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في القرآن خمس عشرة مرة ، ومرتين بلفظ ﴿يَسْأَلُكَ﴾.

كلها متوجهة في الخطاب إلى النبي محمد وفيها يجيبهم بالتنزيل باستثناء واحدة عن الساعة قد ورد الجواب عنها في آية أخرى ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[2].

وقال المفسرون أن المراد من الساعة هو يوم القيامة ، والمختار أنها أوان إنقطاع الدنيا ، بالنفخ في الصور ، قال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة الأحزاب ٧٣.

(٣) سورة الزمر ٦٨.

إن تأكيد القرآن على النفخ في الصور وهلاك أهل الأرض وانتظار الإنتقال إلى عالم الحساب دعوة لتعاهد الفرائض العبادية والتنزه عن الحرام والظلم والتعدي .

الثاني : الأجوبة التي تكون بالوحي بمعناه الأعم مما يلقيه جبرئيل في روع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسبل أخرى للوحي بفضل من عند الله فيرى الناس النبي محمداً يجيب عن الأسئلة ، مع شواهد يدركون معها أنه يجيب بالوحي من عند الله عز وجل .

لترث أجيال المسلمين التسليم بقانون كلام وفعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحي من عند الله عز وجل ، وتكون أجوبة النبي محمد للسائلين مع اختلاف مشاربهم ضياءً وأحكاماً ومنهاج عمل ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أوتي مع القرآن مثله من الوحي، والعلم اللدني لقانون نزول السنة بالوحي ، (ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)[2].

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إتباعه وانقياده للوحي ، وعدم خروجه عنه ، وليس في الوحي إلا الخير والرحمة للناس جميعاً مع لزوم الصبر ، ومنه حبس الجوارح عن التعدي والظلم ، وإخافة الناس والوعيد والتهديد ، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٧ .

(٣) سورة يونس ١٠٩.

نداء (الله أكبر) رسالة أمن وطمأنينة

الحمد لله الذي يسمع الأصوات كلها وهي حاضرة عنده من قبل أن ينطق بها الإنسان .

ترى ما هي أكثر كلمة ينطقها المسلم في يومه وليلته ، المختار أنها كلمة (الله أكبر) لافتتاح الصلاة بها ولتكرارها بين أجزاء الصلاة عند القيام والركوع والهوي للسجود ورفع الرأس منه .

لبيان أن قول (الله أكبر) أمر عبادي محض ، وإعلان للرحمة والرأفة والتراحم بين الناس ، ويحرم اتخاذها شعاراً للعنف والبطش والإرهاب لبيان قانون وهو أكثر كلمة ينطقها المسلمون سلام وأمن عام .

إذ يردد المسلم التكبير أربع مرات في الأذان ، ومرتين في الإقامة لكل صلاة من الصلوات اليومية الخمسة ، ولا ينعقد الإحرام للصلاة إلا بقول (الله أكبر).

فاذا أراد المسلم الدخول في الصلاة قال (الله أكبر) ليحرم عليه القول والفعل الخارج عن أجزاء وأركان الصلاة ، وحالما يقول (الله أكبر) يبدأ بقراءة سورة الفاتحة .

لذا تسمى هذه التكبيرة (تكبيرة الإحرام) وعندما ينطقها المسلم يأمن من حوله ، لأنه يكون في إنقطاع إلى طاعة الله عز وجل بتطامن وخشوع ، ولا يصح بعد انقضاء الصلاة أن يقوم أو يعود إلى البطش والتعدي .

ويردد المسلم لفظ (الله أكبر) في الأذان وفي الإقامة خمس مرات في اليوم في مشارق ومغارب الأرض لتكون رسالة رحمة وأمان ، وتعاهد يومي للسلم المجتمعي .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد ٢٨.

وذكرت القلوب في هذه الآية مرتين ، والمختار أنها من عطف العام على الخاص ، فيتعلق لفظ قلوبهم بالمسلمين الذين يذكرون الله ، أما الثانية فتشمل الناس جميعاً ، فعندما يذكر المسلم الله عز وجل بلفظ (الله أكبر) أو بالصلاة فان الناس تطمئن إليه فلا يصح الغدر .

ولم يرد قول (الله أكبر) في القرآن على نحو مستقل ، بل ورد متصلاً مع الكلام الذي بعده ثلاث مرات وهي :

الأولى : ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[١] وأكبر هنا خبر مرفوع لرضوان.

الثانية : ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢] وأكبر هنا خبر لذكر.

الثالثة : ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣] وأكبر هنا خبر لمقت .

نعم ورد قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٤] في سورة المدثر وهي من أوائل سور القرآن ، لبيان أن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باعث للأمن والطمأنينة عند عامة الناس .

والخطاب فيها خاص والحكم عام يشمل أجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة ، وفيه دعوة للمسلمين للإنقطاع إلى ذكر الله وأن يأمن الناس جانبهم .

ومعنى كلمة (الله أكبر) أنه أكبر من مجموع الموجودات ، وأعز وأعلى مما يتصوره الإنسان في الوجود الذهني .

واسم الجلالة (الله) اسم علم على الذات الإلهية المقدسة ، وهو أشهر الأسماء الحسنى .

---

(١) سورة التوبة ٧٢.

(٢) سورة العنكبوت ٤٥.

(٣) سورة غافر ١٠.

(٤) سورة المدثر ٣.

وجعل الله الألسن عاجزة عن تسمية غيره بذات الاسم ، ويتجلى التحدي والإعجاز المتصل بخصوص الأسماء وإلى يوم القيامة بقوله تعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[١].

وقد ورد اسم الجلالة في القرآن الفين وثلاثمائة وستين مرة .

وكلمة (أكبر) صيغة أفعل للتفضيل والتعظيم .

وفي حديث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والله اكبر تملا ما بين السماء والارض)[٢].

وسيبقى نداء (الله أكبر) وكثرة ترديد المسلم لله دعوة للإيمان وإلتقاء الناس بالعبودية لله عز وجل ، والإقرار بربوبيته المطلقة وأن مقاليد الأمور بيده سبحانه ، وفيه زجر عن الإرهاب وشاهد على حرمة إيذاء الناس والإضرار بهم ، ووعيد على التعدي والظلم .

لقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً وأمته بقول (الله أكبر) على نحو الوجوب العيني ليكون سبباً للصلاح ، فهو صاحب يومي يقبض اللسان والجوارح عن التعدي والإرهاب ، ويحرم اتخاذ قول (الله أكبر) مادة في الفعل الإرهابي للتضاد بينهما ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣].

القرآن سلاح الرسالة المتجدد

السلاح من عداد الحرب ، والسيف وحده يدعى سلاحاً ، وكذا القناع ، والبيضة أي خوذة الرأس ، والمسلَحة : جماعة في عدة تولوا الحراسة في ثغر ومنفذ ، والجمع : المسالح .

وفي الحديث (ليس منَا من شهر علينا السلاح).

(والزعامة : السلَاح)[٤].

---

(١) سورة مريم ٦٥.

(٢) البيهقي / السنن الكبرى ٤٢/١.

(٣) سورة المائدة ٦٤.

(٤) المحيط في اللغة ٧٠/١ .

ونطلق السلاح هنا على وسائط الدعوة إلى الله ولبيان أن من السلاح ما هو خير محض ، وليس فيه لمعان سيوف ، أو سفك الدماء ، إنما هي آيات القرآن .

والخطاب النازل من عند الله عز وجل الباقي في الأرض إلى يوم يبعثون ، من غير تحريف أو زيادة أو نقص .

ومن خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بلحاظ عنوان هذا الجزء من التفسير وهو (التضاد بين القرآن والإرهاب) أمور :

الأول : اجتهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الدعوة إلى الله ، وهذا الإجتهاد بالوحي ابتداءً واستدامة .

الثاني : من الإبتداء نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1]، ويدل قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2] بأن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تنحصر بالإنذار إنما تشمل تعظيم شعائر الله .

وتثبيت كلمة التوحيد في الأرض ، والبشارة للمؤمنين ، واستئصال عبادة الأوثان من الأرض .

الثالث : قانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلام متجدد في كل زمان .

الرابع : تأكيد القرآن والسنة على حرمة التعدي وإراقة الدماء .

الخامس : بيان القرآن والسنة للزوم نشر مفاهيم الرحمة والرأفة بين الناس وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3].

لقد انقطعت النبوة بمغادرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأرض إلى الرفيق الأعلى فليس من نبي بعده ، ولكن بقي القرآن والكتب السماوية السابقة ، وبيان القرآن للأحكام الشرعية والحلال والحرام بما

---

(١) سورة المدثر ١-٣.

(٢) سورة المدثر ٣.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

يناسب الأزمان المتعاقبة وان اختلفت الأحوال فيها ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

فقد جاء القرآن بالقواعد والسنن العامة والتي تتناسب مع طبائع وسلوك الناس في كل زمان ، وفيه دعوة للصدور عن القرآن الذي نزل بسلاح الصبر وسبل التقوى ، بعبادة الله عز وجل بأداء الفرائض من الصلاة والصوم والزكاة والحج والخمس ، وإصلاح النفس والسلوك ، والإمتناع عن الإضرار بالناس في أنفسهم وأموالهم ، لبيان أن التعدي على الآخرين وحقوقهم التي كفلها لهم التنزيل وقوانين المساواة في الحقوق والواجبات الوضعية في البلدان المختلفة خلاف التقوى والخشية من الله.

ويتجلى قانون الإرهاب بمراتبة المختلفة خلاف للرفق والرحمة .

(وأخرج أحمد عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها : إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة .

ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الدنيا والآخرة ، وصلة الرحم . وحسن الخلق ، وحسن الجوار ، يعمران الديار ويزيدان في الاعمار)[2].

لقد سبق الإسلام الدول والقوانين بحرمة الإرهاب ، وإتلاف أموال الناس ، وإخافتهم ، واجتهد علماء الإسلام في بيان هذه الأحكام بالدليل من الكتاب والسنة .

---

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) الدر المنثور ٤٣٧/٢ .

النسبة بين الفساد والإرهاب

ورد قوله تعالى ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بصيغة النهي ثلاث مرات في القرآن واحدة في نهي النبي شعيب لقومه عن الفساد ، والثانية في ذم المنافقين والذين في قلوبهم مرض .

والثالثة خطاب عام من الله عز وجل للمسلمين والناس جميعاً بقوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

لبيان قانون القرآن رسول السلام والأمن والصلاح ، فهو كلام الله الذي أنزله لإصلاح النفوس والمجتمعات .

ترى لماذا تكرر مرتين قوله تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الجواب لبيان فضل الله عز وجل باصلاح الأرض لخلافة الإنسان فيها ، وهذا الإصلاح من وجوه :

الأول : هبوط آدم وحواء إلى الأرض وعمارتها بذكر الله وعبادته وتكاثر الناس وانتشارهم في أرجاء الأرض .

الثاني : إصلاح الأرض لسكن الناس في الطقس وملائمة البرودة والحرارة للعيش فيها .

الثالث : إصلاح الأرض ببعثة الأنبياء وسنن التوحيد .

الرابع : جريان الأنهار في الأرض ، ونمو الثمار والطيبات من الرزق الكريم للناس ولو إزدادت الشعوب والقبائل والأمم .

الخامس : إرسال الرياح وتوالي نزول المطر ، فلا يختص إصلاح الأرض في الآيات أعلاه بتنجزه دفعة واحدة بل يشمل توالي أسباب صلاح الأرض ، وفي التنزيل ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ

---

(١) سورة الأعراف ٥٦.

وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1].

لذا كانت بعثة الأنبياء على نحو التعاقب والتوالي .

السادس : بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن على نحو النجوم والوقائع والأحداث لتثبيت العمل الصالح والزجر عن الفعل القبيح .

السابع : إصلاح الأرض بوجود أمة مؤمنة في كل زمان .

والنسبة بين الفساد والإرهاب هي العموم والخصوص المطلق ، فالفساد أعم ، والإرهاب شعبة من الفساد والإفساد في الأرض ، لبيان التضاد بين الإيمان والإرهاب ، ولزوم تنزه المسلم عن العمل الإرهابي والإعانة أو الثناء عليه.

لماذا التضاد بين القرآن والإرهاب

لقد استحدثت هذا الإصطلاح لموافقته للواقع ، ومحاربة القرآن المتجددة كل يوم لصناعة الإرهابي ، وقد صدرت بذات العنوان تسعة عشر جزء سابقة من هذا السِفر وهي الأجزاء :

١٨٤-١٨٥-١٨٨-١٩٥-١٩٨

١٩٩-٢٠٣-٢١٠-٢١١-٢١٩

٢٣٥-٢٣٦-٢٣٨-٢٤٣-٢٤٤

٢٤٦-٢٥٢- ٢٦٣ -٢٦٧).

---

(١) سورة الروم ٤٨.

والإرهاب داء ، وتخلف عن إدراك وظائف البصيرة ، وسنن الحكمة التي وردت في التنزيل ، وملائمة العقل الذي جعله الله عز وجل رسولاً باطنياً عند الإنسان .

والإرهاب آفة وظلم ولكنه ليس وباء ، فسرعان ما ينكشف قبحه ، وقد نزل القرآن بالشفاء من الإدران في النفوس وعالم الأفعال ، قال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[1].

إذ تبين خاتمة الآية أعلاه تبرئ القرآن من الإرهاب .

والقرآن خير محض للمسلم وغير المسلم ، وآيات القرآن رشد وهداية ، ومن خصائص آيات القرآن ابانتها لطريق الحق وإيضاحها المحجة والرشاد ، قال تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[2]، وإجماع العقلاء على أن الظلم والإرهاب ليسا من الرشد إنما هما من الغي والبغي .

وقد ظهرت حركات متشددة في تأريخ الإسلام ، وأولوا بعض آيات القرآن خلاف أحكامها وسنن الشريعة السمحاء ، واتخذوا التطرف منهاجاً ، وزينوه لأنفسهم بقواعد لا أصل لها ، مع بث الفتن والتشويه والإفتراء ، وزيادة حدة الطائفية والتكفير بغير حق .

ومن خصائص القرآن أنه قطعي النزول من عند الله ، وقطعي الدلالة ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[3].

لتتجلى وجوه :

الأول : قانون فضح القرآن للظلم والإرهاب .

الثاني : قانون تبرأ القرآن من الإرهاب بمفهومه المعاصر .

---

(١) سورة الإسراء ٨٢.

(٢) سورة الأنعام ١٢٥.

(٣) سورة فصلت ٤٢.

الثالث : قانون زجر القرآن عن الإرهاب .

الرابع : قانون الوعيد في القرآن على الإرهاب بذاته ولأنه شعبة من الظلم ، قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

الخامس : قانون الإرهاب تعد لحدود وأحكام التنزيل ، قال تعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾(٢).

اجتناب النبي (ص) القتال

من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمتناعه عن القتال ، وفيه دروس ومواعظ للمسلمين والناس جميعا ، بلزوم الإمتناع عن سفك الدماء من جهات :

الأولى : تحلي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر مدة مكوثه نبياً في مكة لعشر سنوات مع شدة أذى قريش له .

الثانية : اختيار النبي محمد الهجرة إلى المدينة في الليلة التي أراد المشركون قتله فيها وهو نائم في فراشه .

الثالثة : ابتدأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوته إلى الله من المدينة ببناء المسجد النبوي ، ودعوة الناس للصلاة خمس مرات في اليوم مع نزول آيات القرآن ، وهو عنوان السلم المجتمعي .

الرابعة : لقد حرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على تفقه أصحابه في الدين ، والتدبر في آيات القرآن ، وكانوا يسألونه عن أحكام الشريعة .

الخامسة : مع تتابع تهديد رؤساء قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمهاجرين والأنصار فإنه لم يعسكر البلد .

---

(١) سورة الأنعام ٢١.

(٢) سورة الطلاق ١.

وقد ورد لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ في القرآن خمس عشرة مرة كلها موجهة من المسلمين وعامة الناس إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن فضل الله عز وجل عليه وعلى الناس مجئ الإجابة على أسئلتهم من عند الله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ . . .﴾[1] .

فورد لفظ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ ثلاث مرات في آيتين متجاورتين من سورة البقرة وهي سورة مدنية ، وفيه وجوب الإصلاح في المجتمعات ، وإنذار من الفساد بقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[2] فهذا الشطر من الآية أعم من موضوع اليتامى .

وهل يشمل النهي عن الإرهاب وأنه شعبة الإفساد في الأرض ، الجواب نعم ، خاصة وأنه لا يقع على نحو القضية الشخصية كبخس حق اليتيم ، إنما يكون ضرر الإرهاب عاماً ويشمل الذي يقوم به ، والذي يقع عليه ، ومن يسمع به وإن كان من بلدة بعيدة ، وقد قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً . . .﴾[3].

ولم يقاتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا اضطراراً ودفاعاً ، وتدل عليه شواهد عديدة من الكتاب والسنة .

---

(١) سورة البقرة ٢١٩-٢٢٠.

(٢) سورة البقرة ٢٢٠.

(٣) سورة الأنفال ٢٥.

آيات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

ورد قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إحدى عشرة مرة في القرآن ، ولم يرد بصيغة الغائب (لعلهم يفلحون) بينما ورد قوله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

لتدل لغة الخطاب في رجاء الفلاح والفوز والتوفيق للمسلمين على فضل الله عز وجل عليهم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

والفلاح هو النجاة واستدامة وبقاء الخير ، وتجدد الفوز مأخوذ من مادة فلح ، والفاعل فالح وهو المزارع ، ومنه (حي على الفلاح) في فصول الأذان أي هلم على بقاء الخير .

والفلاح اسم جامع لنيل الرغائب الحسنة والفوز بالسعادة في النشأتين ، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[2] للإخبار عن فوز المؤمنين بأمانيهم في دخول الجنة ، وهو الفلاح الأعظم .

والفلاح على مراتب ، وهو من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة وكل فرد منه فضل من الله تعالى .

لذا تعدد قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في القرآن لبعث المسلمين على العمل الصالح ، والإجتهاد في طاعة الله ليرتقوا في مراتب الفلاح .

ومنه قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الحج ٧٧.

(٢) سورة المؤمنون ١.

والله عز وجل هو الكريم لم يبق ذكر فلاح المؤمنين معلقاً ، بل ذكر فوزهم بالفلاح بقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢] والذي ورد مرتين في القرآن[٣].

وورد قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اثنتى عشرة مرة في القرآن لبيان معالم مدرسة الفلاح في القرآن ، وليجتهد المسلمون والمسلمات في سنن التقوى ، وفيه ترغيب للناس بالإيمان ، وبعث للشوق في النفوس للفوز والفلاح ، ولبيان أن الظلم والتعدي والإرهاب أمور تحجب صاحبها عن الفلاح .

وقد تكرر قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أربع مرات في القرآن ، وفيه إنذار من الكفر والكذب على الله ، والظلم والتعدي على الناس في دمائهم وأعراضهم وأموالهم .

والنسبة بين الظلم بأقسامه وبين الفلاح هي التضاد ، ومن خصائص الفقاهة في الدين معرفة موارد الظلم واجتنابها ، والإحتراز من سوء تأويل الآيات والأحكام ، قال تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[٤].

قانون التقديم للنفس

ذكرت آيات القرآن وجوب السعي للآخرة ، إذ ورد بصيغة الأمر ، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥] كما ورد بصيغة الجملة الخبرية التي تفيد معنى الإنشاء

---

(١) سورة القصص ٦٧.

(٢) سورة لقمان ٥.

(٣) أنظر سورة البقرة الآية ٥ وسورة لقمان الآية ٥ .

(٤) سورة البقرة ٢٧٠.

(٥) سورة البقرة ١١٠.

والأمر ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وورد ﴿تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ بخصوص الآخرة ثلاث مرات كل واحدة منها خطاب للمسلمين بصيغة الأمر ، وآية أخرى بصيغة الجملة الخبرية .

ومن إعجاز القرآن أن هذا الأمر لم يأت لعامة الناس لأن الشرك بالله يحبط العمل .

وأخبر الله عز وجل عن توثيق وإحصاء أعمال الناس عنده سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وفيه دعوة سماوية للناس جميعاً لادخار الحسنات فهي محفوظة عند الله ، ويضاعفها الله عز وجل أيام حياة صاحبها وبعد وفاته، وهل يهدي الله عز وجل العبد بلطف للمواظبة على الصالحات ، والإستزادة من فعل الخير ، الجواب نعم سواء بمبادرته إليها ، وإتخاذها عادة ، أو بالأسباب التي تجعله يأتي الخير طوعاً وقهراً وإنطباقاً ، ومنه حجب السيئات ومقدمات الفواحش عنه ، وإن هّم بفعلها ، ومن التقديم للنفس الإمتناع عن الظلم والتعدي والقتل وجرح الأخرين .

وخطاب التقديم وإن جاء بصيغة التذكير إلا أنه عام يشمل النساء أيضاً ، وتقدير الآية (وقدمن لأنفسكن) من وجوه :

الأول : أداء الفرائض .

الثاني : حسن التبعل .

الثالث : تربية الأبناء على التقوى والصلاح ، والنفرة من الظلم .

---

(١) سورة الزمر ٢٠.

(٢) سورة يس ١٢.

الرابع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وصيغة المفرد للمذكر (وقدم لنفسك) وصيغة المفردة المؤنثة وقدمي لنفسك.

وعن عبد الله بن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الخلق عيال الله ، فأحب الناس إلى الله من أحسن إلى عياله)[1].

والمراد من عيال الله أي الفقراء إلى رحمة الله، وهل قوله تعالى ﴿تَجِدُوهُ﴾ بذاته ومقداره أم مع أضعاف مضاعفة له ، الجواب هو الثاني ، قال تعالى ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2].

ومن الخير العفو والصفح وحسن معاملة الناس مسلمين أو أهل كتاب أو غيرهم من أهل الأرض .

وتدعو الآية المسلمين والناس إلى التصديق باليوم الآخر ، وأنه عالم الحساب ، وجميع أعمالهم تكون حاضرة فيه بما يبعث في النفس الإحتراز من فعل السيئات ، ويحتمل اجتناب الظلم والإرهاب والجور من جهة الثواب وجوهاً :

الأول : في هذا الإجتناب أجر وثواب .

الثاني : عدم ترتب الثواب عليه .

الثالث : اشتراط قصد القربة في إجتناب الإرهاب لتحقق الثواب .

والصحيح هو الأول ، لأن هذا الإجتناب أمر وجودي ومن تقوى الله عز وجل والخشية منه ، وفيه إمتناع عن قصد من ركوب المعاصي .

وتبعث آيات التقديم للنفس والمسلم على جعل الآخرة غاية سامية في عمله ، وتحذر من الحسرة والندامة يوم القيامة ، كما ورد في التنزيل ﴿يَقُولُ

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٢٧٧/١٢ .

(٢) سورة الأنعام ١٦٠.

يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾[1] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[2].

ومن التقديم للنفس التعاون لإزاحة الإرهاب عن عالم الواقع والوجود الذهني بالحجة والبرهان ، ولتأكيد تناقضه مع مبادئ الإسلام اسماً ومسمى ، لما في الإسلام من الرحمة العامة ، وبسط الأمن ، وتحقق السلم المجتمعي في مشاق ومغارب الأرض .

أصل نشوء الإرهاب

لقد نشأ الإرهاب من أيام آدم عليه السلام وفي أول أسرة في الإسلام ، إذ جرى القتل بين الأولاد الصلبيين لآدم وحواء اللذين عاشا في الجنة برهة من الوقت ، وهبطا إلى الأرض وأنجبا فيها لعمارتها بالذكر ، وعبادة الله عز وجل ، لبيان أمور :

الأول : قانون الإرهاب نقيض عمارة الأرض لما فيه من سفك الدماء وبعث الفزع والخوف في النفوس ، وأضرار هذا الخوف العامة في إصابة حركة التجارة والأعمال بالشلل ، والإرباك المجتمعي وإضعاف تماسك المجتمع ، ونقص الأعمار .

الثاني : قانون الإرهاب برزخ دون عبادة الناس لله عز وجل تمام العبادة.

الثالث : قانون الإرهاب نقيض التقوى والخشية من الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة الفجر ٢٤.

(٢) سورة الفرقان ٢٧.

(٣) سورة آل عمران ١٠٢.

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[١] نفرة الناس من الإرهاب ، ونزول الكتب السماوية بحرمته ، ونهي الأنبياء عنه ، وقد جاء النبي محمد بحرمة الإرهاب من وجوه :

الأول : نزول آيات القرآن بالنهي عن الظلم والتعدي والفساد ، والإرهاب من مصاديق كل فرد منها ، وفي التنزيل ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٢] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٣] ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٤].

الثاني : السنة النبوية القولية والفعلية بالتحلي بالصبر وتحمل الأذى من المشركين .

الثالث : دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله بالمعجزة العقلية بتلاوة آيات القرآن وما فيها من البشارة بالجنة على الإيمان والعمل الصالح ، والإنذار من الشرك والضلالة .

الرابع : لجوء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السلم والصلح مع المشركين ، والرضا بشروطهم كما في صلح الحديبية وبنوده .

الخامس : تعاهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه للصلاة اليومية جماعة في المسجد النبوي ، وفيها تأديب وإصلاح وواقية من التعدي والإرهاب .

---

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) سورة آل عمران ٥٧.

(٣) سورة البقرة ١٩٠.

(٤) سورة البقرة ٢٠٥.

و(عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)[1].

ولم يضر قتل قابيل لأخيه هابيل عمارة الناس للأرض ، إذ استمر النكاح والمواليد ، ولم يغادر آدم الدنيا إلا وقد صار عدد أبنائه وأحفاده بالآلاف .

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لما أهبط الله آدم إلى الأرض مكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم قال له بنوه : يا أبانا تكلم . فقام خطيباً في أربعين ألفاً من ولده وولد ولده فقال : إن الله أمرني فقال : يا آدم أقلل كلامك ترجع إلى جواري)[2].

لبيان أن الإرهاب لا يعرقل مسيرة الحياة ، وصلة الأرحام وعبادة الناس لله عز وجل إنما يكون ضرر الإرهاب على أهله هو الأكثر والأشد في النشأتين .

قانون التقوى مانع من الإرهاب

التقوى هي خشية الله عز وجل وتوقي سخطه ، وما يكره ، ويتجلى هذا التوقي بآتيان الأمر الإلهي ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ رحمة بالمكلف لحاجته للتقوى في كل موارد الحياة ، والتقوى خشية الله والإحتراز من سخطه ، ويتجلى هذا الإحتراز بإتيان ما أمر الله به والإمتناع عما نهى عنه، وهي سلاح مبارك جامع مانع، جامع للخيرات والاجر والثواب، ومانع من التفريط والاسراف والمعصية.

ويمكن تسمية الحياة الدنيا دار التقوى ، والنسبة بين العبادة في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، وبين التقوى عموم وخصوص

---

(١) صحيح مسلم ٢٩٥/٤ .

(٢) الدر المنثور ٩٥/١ .

(٣) سورة الذاريات ٥٦.

مطلق ، فالعبادة أعم ، والتقوى أسمى مراتب العبادة ، والسور الجامع للعبادات ، لقانون ملازمة التقوى للمؤمنين في حياتهم اليومية ، وقانون التقوى حرز من الظلم والإرهاب ، لقانون التضاد بين التقوى والإرهاب .

لقد أحب الله عز وجل المسلمين بهدايتهم إلى سبل وأحكام التقوى ، إذ جاء بها القرآن ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] ومن بيان القرآن بعث النفرة في النفوس من الإرهاب .

وأخرج أحمد والبيهقي في سننه وغيرهما (عن رجل من أهل البادية قال : أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يعلمني مما علمه الله ، فكان فيما حفظت عنه أن قال : إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه)[2].

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام بالتقوى وحسن الخلق ، وكان يحرص على إظهار خشيته من الله عز وجل ، وإظهار المسكنة بحضور أصحابه وأهل بيته أو في حال الخلوة والإنفراد ، وفيه تأديب للمسلمين لقانون المسكنة والخشوع لله واقية من الظلم والتعدي .

والتقوى حاجة للإنسان في الدنيا وعالم البرزخ ويوم القيامة ، ومن التقوى عمل الصالحات ، وتعاهد العهد ، وتنجز الوعد ، وترك الظلم وإخافة الناس بغير حق ، ومنها الإبتعاد عن الشبهات والتطرف .

وعن (عامر الشعبي قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : الحلال بين والحرام بين ، وبين الحلال والحرام أمور مشتبهات ، لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام هي ، يدعهن المرء يكون أشد استبراء لعرضه ودينه ، ومن يقع

---

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) الدر المنثور ٤٤٢/١.

فيهن يوشك أن يقع في الحرام ، كمرتع إلى جانب الحمى يوشك أن يرتع في الحمى ، ألا وإن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه)[١].

فمن التقوى اجتناب الشبهات وأسباب الريب وما تنفر منه عامة النفوس ، وتأباه العقول ، ومنه الظلم والإرهاب والتعدي وإن كان بتزيين وإغراء .

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[٢].

وستبقى التقوى واقية من الظلم والتعدي ، وحرزاً للشباب يدركون معها أن الفعل الإرهابي إغواء وضلالة ، ولا يؤدي إلى الإصلاح ولا يكون سبباً للنصر والغلبة ، إنما هو ضرر محض بالذات والغير .

وتتجلى مظاهر التقوى في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي خشوعه وخضوعه لله عز وجل ، وفي إقراره بمسكنته وضعفه ، وهذا الإقرار دليل على الإمتناع عن الظلم بصوره المختلفة .

و(عن ابن عباس قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفة اللهم أنك ترى مكاني ، وتسمع كلامي ، وتعلم سري وعلانيتي ، ولا يخفى عليك شيء من أمري .

أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المساكين ، وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل .

وادعوك دعاء الخائف المضرور من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، ونحل لك جسده ورغم أنفه .

اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً ، وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين ويا خير المعطين)[٣].

---

(١) الطبراني / المعجم الأوسط ٣٠٩/٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٧١١/١.

(٣) الدر المنثور ١/ ٤٥٨.

نزول القرآن رحمة دائمة

لما تساءلت الملائكة عن علة جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ مع صيرورة حياة الناس على الأرض سبباً للفساد فيها بالشرك بالله والزنا ، وشرب الخمور ، واليمين الغموس ، والسرقة .

فجاء الجواب من عند الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ومن علم الله عز وجل بعثة الأنبياء على نحو متعاقب ونزول الكتب المباركة التي اختتمت بنزول القرآن معجزة الأزمنة المتتالية لصيغته في مخاطبة العقول في كل زمان ، وجذبه الناس للإيمان ، وبعث آياته صفاء النوايا في القلوب ، والرحمة بين الناس في الواقع اليومي بالعمل بأحكامه وسننه ، ومنها نبذ الظلم والتعدي.

ومن خصائص القرآن بعثه النفرة في النفوس من الظلم وبراءته من الإرهاب بلغة التصريح والوضوح ، قال تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقد صدرت الأجزاء (١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩)من هذا السِفر في تفسير الآية أعلاه.

ومن مصاديق البيان العام للناس في القرآن نهيه عن الإرهاب ، وإنكاره له ، وإخباره عن سوء عاقبته ، مع هداية القرآن إلى العصمة من الظلم والتعدي .

وكان أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام يغزو بعضهم بعضاً ، ولا تنام أسرة ليلة بطمأنينة ، إذ يتوقعون غزو الآخرين لهم ، وقتل الرجال وسبي النساء والصبيان ، والإستحواذ على الأموال فلا يطمعون في إكتناز الأموال وكثرة الأنعام التي تكون سبباً لإغراء الآخرين بهم .

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة آل عمران ١٣٨.

ويقومون بوأد البنات خشية العار بوقوعهن سبايا ، وإن لم يقع غزو يحدث الإقتتال بين أبناء العمومة ، أو الأخوة ، فنزل القرآن بالتآخي وفق أحكام الشريعة التي هي إنقاذ لهم من الهلكة المصاحبة للشرك ، والمترشحة عنه ، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ...﴾[1].

وقد ورد فعل الأمر ﴿اعْتَصِمُوا﴾ بصيغة الأمر مرتين في القرآن ، والآية الأخرى ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[2].

والآية أعلاه من مصاديق البيان والهدى في القرآن ، إذ تضمنت ثلاثة أوامر ، وكل فرد منها زاجر عن الإرهاب ، ومانع من الظلم والجور ، وشاهد على الجوء إلى الله عز وجل لإصلاح القول والفعل ، وإدخار الحسنات ليوم القيامة .

وجاء ذات اللفظ ﴿اعْتَصِمُوا﴾ بصيغة الماضي مرتين أيضاً في القرآن وفي ذات المضمون والدلالة واللجوء إلى الله عز وجل على نحو القطع والثبات ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[3] وفيه وعد من الله عز وجل للذين آمنوا والتجأوا إليه سبحانه بعصمتهم من الظلم والإرهاب لقانون التضاد بين الصراط المستقيم والإرهاب .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) سورة الحج ٧٨.

(٣) سورة النساء ١٧٥.

وقال تعالى في الذين تابوا من النفاق وغيره من الأخلاق المذمومة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

قانون كثرة الطرق إلى الجنة

لقد أخبر الله عز وجل الملائكة عن جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، فهل هذه الخلافة مقدمة لإقامة الصالحين من الناس في النعيم الأخروي في الجنات ، الجواب نعم .

وجعل الله عز وجل الطرق إلى الجنة كثيرة ، ومنها ما لايدرك كنهها الناس ، ليتفاجئوا بها يوم القيامة ، بأن قادتهم أعمال وأدعية من الغير ومضاعفات متكررة لحسناتهم بفضل من الله ، ومجئ ما أثقل ميزان أعمالهم بسبب ظلم غيرهم لهم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[3].

ليحرم المشركون والظالمون والفاسقون أنفسهم من هذه النعمة ويكون مصيرهم إلى النار ، وهو من مصاديق تساؤل الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

ومن الطرق التي توصل الإنسان إلى الجنة بفضل ولطف من الله عز وجل أمور :

الأول : الإيمان بالله والملائكة والرسل والتنزيل .

---

(١) سورة النساء ١٤٦.

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة ق ٢٢.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

الثاني : أداء الفرائض العبادية من الصلاة والزكاة والصيام ، ومع الإستطاعة يؤدي المسلم حج البيت الحرام إذ يتجلى شرط الإستطاعة بقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(١).

الثالث : التحلي بالصدق مع الله ومع الناس ، وقانون تنزه المسلم عن هذه الصفات المذمومة وإجتناب الإضرار بالناس والغيلة والخيانة.

الرابع : إجتناب الفواحش والإمتناع عن الكبائر التي تكون حاجزاً دون دخول الجنة ، منها سفك الدماء بغير حق .

الخامس : إفشاء السلام ، وبعث الطمأنينة في نفوس الناس بالإمتناع عن الإضرار بهم علانية أو خفية ومكراً .

و(عن عبدالله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، انجفل الناس إليه ، فجئته لأنظر في وجهه فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

فكان أول شيء سمعت منه أن قال : يا أيها الناس ، أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام)(٢).

السادس : الصبر على الأذى وعدم التعدي ، مع الإقامة على الإيمان ، وهذا الصبر فرع الإيمان ، وفيه الأجر والثواب ، قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٣).

السابع : صلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتنزه عن الإعانة على الباطل .

---

(١) سورة آل عمران ٩٧.

(٢) الدر المنثور ٦/١٠٠ .

(٣) سورة البقرة ٢١٤.

و(عن عبد الله بن مسعود قال : انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في قبة من أدم حمراء في نحو من أربعين رجلاً فقال : إنه مفتوح لكم وإنكم منصورون ومصيبون .

فمن أدرك منكم ذلك فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر وليصل رحمه ، ومثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل البعير يتردى فهو يتردى بذنبه)[1].

وما في الجنة من النعيم المقيم ، والقصور والأنهار والأشجار المثمرة والخضرة والحلل الكثيرة ، والزوجة الحسنة ، والحور العين ، وأسباب البهجة والسعادة الدائمة ، ما يفوق التصور الذهني وعالم الأحلام .

ومن فضل الله عز وجل سهولة الطريق إليها ، إذ جعل الله الدنيا مزرعة لها .

وأيهما أكثر الطرق المؤدية إلى الجنة أم الطرق المؤدية إلى النار ، الجواب هو الأول فالطرق إلى الجنة أضعاف الطرق إلى النار وينقطع الطريق إلى النار بالتوبة والإستغفار الذي يكون جسراً وسبباً للعبور على الصراط يوم القيامة.

وليس من طرق الجنة الظلم والإرهاب والعنف وترويع الآمنين ، ومن طرق الجنة الأمانة وتعاهد السنن والضوابط العامة ، والإمتناع عن الضرر والخيانة .

و(عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ثلاث معلقات بالعرش : الرحم تقول : اللهم إني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أخان ، والنعمة تقول : اللهم إني بك فلا أكفر .

وأخرج الحكيم الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث تحت العرش : القرآن له ظهر وبطن

---

(١) الدر المنثور ٢٠١/٩ .

يحاج العباد ، والرحم تنادي صل من وصلني واقطع من قطعني ، والأمانة)[1].

وهل من طرق الجنة الشفاعة ، الجواب نعم .

والإضرار بالوطن وعامة الناس من أهل البلد على اختلاف مشاربهم مانع من دخول الجنة لما ورد عن صفوان بن سليم (عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن آبائهم دِنيَةً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ألا من ظلم معاهدا وانتقصه وكلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة وأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باصبعه إلى صدره .

ألا ومن قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله حرم الله عليه ريح الجنة وان ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفا)[2].

وهل يلحق بالمعاهد في هذه الأحاديث أبناء الوطن الواحد الذين تجمعهم القوانين بالتساوي في الواجبات والحقوق ، الجواب نعم ، من باب الأولوية والحاق النظير بنظيره المشارك في علة الحكم للزوم الإمتناع عن الإرهاب واخافة عامة الناس .

بين الحسد والإرهاب

الحمد لله الذي قسم الأرزاق والحظوظ بحكمة ، وما ينتفع منه الناس في الدنيا والآخرة ، قال تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[3].

والحسد أول ذنب فيه معصية لله في السماء ، إذ امتنع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام ، ووقعت أول معصية في الأرض بسبب الحسد أيضاً إذ حسد قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وفيه إنذار لبني آدم من الحسد ،

---

(١) الدر المنثور ٢٠٢/٩ .

(٢) البيهقي / السنن الكبرى ٢٠٥/٩.

(٣) سورة النساء ٥٤.

ودعوة لهم للدعاء للنجاة من الحسد وأن لا يكون الإنسان حاسداً أو محسوداً .

وجاءت آيات القرآن بذم الحسد ، والإستعاذة من الحاسد ، قال تعالى ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(١).

لبيان قانون الحسد مذموم ، ويلزم الإستعاذة منه ، ومما يترشح عنه من الأضرار والجرائم ، والنسبة بين الحسد والعين عموم وخصوص مطلق ، فالحسد أعم .

والنسبة بين الإيمان والحسد هي التضاد ، فالمؤمن يغبط ولا يحسد ولا تدب آفة الحسد إلى نفسه ، ولا تستحوذ على قوله أو فعله .

والحسد تمني زوال النعمة عن الغير ، وكأنه من الصدود والإحتجاج على فضل الله عز وجل على الناس ، قال تعالى ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾(٢).

ومن بدائع السنة النبوية استثناء بعض أفراد الحسد ، إذ ورد عن عبد الله (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها.

وأخرج البيهقي في الشعب عن يزيد بن الأخنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تنافس إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ويتبع ما فيه ، فيقول رجل : لو أن الله أعطاني ما أعطى فلاناً فأقوم به كما يقوم به .

ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفق منه ويتصدق به ، فيقول رجل : لو ان الله أعطاني كما أعطى فلاناً فأتصدق به .

---

(١) سورة الفلق ٥.

(٢) سورة الإسراء ٢٠.

قال رجل : أرأيتك النجدة تكون في الرجل ، قال : ليست لهما بعدل ، إن الكلب يهم من وراء أهله)[١].

فالمراد من الحسد في الحديث أعلاه الغبطة وتمني نيل مثل هذه النعمة ، مع الثناء الضمني على حملة القرآن وعلى الذي ينفق ماله في سبيل الله ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]، لأن التفات الحاسد لها ليس من أمور الدنيا وزينتها ، بل هو أمر خالص لوجه الله عز وجل ، وترغيب بالحكمة والتفقه في الدين ، والمسارعة في الخيرات والتنافس في الإنفاق في سبيل الله .

لقد أبى الله عز وجل إلا منح النعم للناس على اختلاف مشاربهم ، وليس من إنسان إلا وعنده نعمة يختص وينفرد بها من بين أهل الأرض ، فهي مثل بصمة العين والأذن ، ولا يضر معها الحسد ، إذ تعاهدها صاحبها بالشكر لله عز وجل .

ويلزم المسلم قانون التنزه عن الحسد ، والتسليم بالنعم الإلهية على الناس ، وحقهم في التمتع بها من غير إخافة أو ترويع لهم ، قال تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٣].

قانون سيادة الإسلام سلماً بالبرهان

من خصائص الحياة الدنيا أنها دار الدعوة إلى الله عز وجل بالتنزيل والمعجزة والحجة وصيغ البرهان والدليل الذي تتلقاه العقول بالتسليم والقبول.

وفي حديث معاذ بن جبل (قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه إلى اليمن : بم تحكم ، قال : بكتاب الله .

---

(١) الدر المنثور ٢٠٨/٢ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٤.

(٣) سورة النساء ٥٤.

قال : فإن لم تجد ، قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ، قال : أجتهد رأيي .

فضرب في صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله ، لما يرضي رسول الله)[1].

فقدم الكتاب وهو القرآن أولاً ، ثم السنة النبوية ، لقول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فان لم تجد) .

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن) تفيد الإشتراط ولا يتحقق المشروط إلا عند تحقق شرطه ، فلا يكون الرجوع إلى السنة إلى عند عدم إيجاد الحكم في القرآن ، وكذا لا يصح الإجتهاد بالرأي إلا عند عدم الدليل في الكتاب والسنة .

ولا يتعارض قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا مع قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، لأن القرآن دعا إلى الأخذ بالسنة النبوية القولية والفعلية لقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[3].

ومن السنة ثناء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على معاذ عند قوله (اجتهد برأيي) على فرض صحة سند الحديث .

ولا يدل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فان لم تجد) أي في القرآن على عدم وجود الحكم في القرآن إنما هو أعم ، ومنه أن معاذاً لم يصل إلى استنباط الحكم من القرآن .

ومنه أن الآية أو الآيات خاصة بحكم ما لم يتنزل عند ذهاب معاذ إلى اليمن وأن سورة المائدة من آخر سور القرآن نزولاً ، وتتضمن أحكاماً شرعية ، وليس فيها منسوخ .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٦٤/٧ .

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سورة الحشر ٧.

وفي المرسل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال (ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عزوجل ولكن لا تبلغه عقول الرجال)[1].

والحكم عام بجواز الرجوع إلى السنة النبوية .

ويتجلى قانون فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باب الإجتهاد كفرع للكتاب والسنة .

ومن معجزات وخصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه في سنوات قليلة بعد الهجرة تم فتح اليمن من غير قتال ، وأرسل حاكماً لها ، وفيه شاهد على أن سيادة الإسلام وأحكامه تمت بالحجة والبرهان وليس بالسيف والغلبة .

وانشاء قوانين بالصدور عن الكتاب والسنة ، وما يناسب إحقاق الحق ، وحفظ النفوس والأموال العامة والخاصة وبسط الأمن ، والسلم المجتمعي ، وإزاحة المعوقات التي قد تحول دون أداء الناس لوظائفهم العبادية .

حديث النعم

يحتمل الحكم في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، وجوهاً :

الأول :إرادة خصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : المراد الصحابة وأهل البيت .

الثالث : شمول حكم الآية لأجيال المسلمين والمسلمات .

الرابع : الحكم عام شامل للناس جميعاً .

والمختار هو الأخير لأصالة العموم ، لأن لله عز وجل نعم متعددة على كل إنسان ، وللنفع العظيم في الحديث بالنعم ودلالته على الإقرار بالعبودية لله عز وجل وأنه هو المنعم .

---

(١) الكليني / الكافي ٧٩/١ .

(٢) سورة الضحى ١١.

نعم حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن نعم الله عز وجل بالنبوة والقرآن مدرسة وموعظة ، وهو باق عند المسلمين بتوثيق سننه .

و(عن مقسم قال : لقيت الحسن بن علي بن أبي طالب ، فصافحته ، فقال : التقابل مصافحة المؤمن . قلت أخبرني عن قوله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] قال : الرجل المؤمن يعمل عملاً صالحاً فيخبر به أهل بيته . قلت أي الأجلين قضى موسى الأول أو الآخر ، قال : الآخر)[2].

أي عشر سنوات في إجارته نفسه لشعيب ، وعنه عليه السلام في قوله (﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3] قال : إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك)[4].

وفيه شاهد على المعنى والحكم العام لهذه الآية ، وفي هذا الحديث طرد للبطر ، وإمتناع عن الظلم والإرهاب ، للإنشغال بالنعمة والشكر لله عز وجل عليها .

ومن آيات الله في الحياة الدنيا تعجيل الإبتلاء وشدة الضرر لأهل البطر ، ونزول البلاء بهم ، قال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾[5] فبعد كثرة النعم والمال والزراعات خربت ديارهم بسبب تماديهم في الفساد ، وجحودهم بالنعم .

وتبين آيات القرآن اطراد نزول البلاء وحلول الخراب بالأمم التي بطرت في معيشتها ، وكفرت بما رزقها الله عز وجل من النعم ، وفيه تحذير وإنذار إلى المسلمين والناس جميعاً في كل زمان وإلى يوم القيامة .

ولا ينحصر هذا البيان بآيات القرآن بل ورد في السنة النبوية وفي الكتب السماوية السابقة ، وفي كتب التأريخ .

---

(١) سورة الضحى ١١.

(٢) الدر المنثور ٢٨٧/١٠.

(٣) سورة الضحى ١١.

(٤) الدر المنثور ٢٨٧/١٠.

(٥) سورة القصص ٥٨.

ويتجلى بشواهد وحروب وكدورات وحال فقر وقحط وجوع في كل زمان إلى هذا الزمان ، إذ بدت هذه الشواهد بفضل الإعلام وشبكات التواصل ظاهرة للعيان ، وهو من مصاديق الإطلاق في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وهل الجمع بين الآية أعلاه وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٢) من الجمع بين المطلق والمقيد ، المختار كلا ، إنما النسبة بينهما عموم وخصوص مطلق .

إذ تشمل الآية أعلاه من سورة الرعد عموم التغيير في الحال ، ومنه الانتقال من الكفر إلى الإيمان ، ومن بطر النعمة إلى الشكر لله عليها ، والتنزه عن الطغيان بها ، خاصة وأن سورة الرعد مكية نزلت مثل الهجرة.

ليشمل الخطاب فيها المشركين والذين كفروا ، وتكون وعداً لهم وزاجراً عن عزمهم على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ، وبشارة للتائبين ، ودعوة للهجرة إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾(٣).

وهو من الدلائل على منافع تقسيم السور إلى مكية ومدنية ، وحضور هذا التقسيم في علم التفسير ، والجمع بين الآيات ، ولم تمر الأيام والسنون حتى تم فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، لتنزل البركة على أهل مكة ، ويتغشاهم الإيمان ، وتتهاوى الأصنام المنصوبة في الكعبة .

---

(١) سورة الأنفال ٥٣.

(٢) سورة الرعد ١١.

(٣) سورة النساء ١٠٠.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا يعبدون من دون الله. فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأكبت لوجهها، وقال : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1])[2].

قانون تعاهد النعمة

من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] تفضل الله تعالى بتسخير النعم للإنسان في الأكل والشرب والمال والجاه وكثرة الأسفار ، وقد ذم الله عز وجل المشركين بجحودهم بالنعم ومقابلتها بالكفر ، قال تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾[4][5].

وفي الآية إنذار ووعيد للذين كفروا تجلى بوضوح في الآية التي بعدها بقوله تعالى ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[6][7]،ومن سنة الله عز وجل تغيير النعمة عند الجحود بها والبطر والظلم لأنه خلاف الأصل ، وهو وجوب الشكر لله عز وجل على النعمة بتعاهدها.

وكأنه من العقاب الدنيوي العاجل ، ومن أسباب الرحمة بالعباد بمنع التمادي في الطغيان ، واشتداد العذاب على الإنسان للجحود المتصل الذي يقابل به النعم المستحدثة .

---

(١) سورة الإسراء ٨١.

(٢) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ١١٢/٥.

(٣) سورة آل عمران ١٨٩ .

(٤) سورة آل عمران ١٩٦.

(٥)أنظر الجزء الخامس والستين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٦) سورة آل عمرن ١٩٧.

(٧) أنظر الجزء الثامن والستين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

ولا يعني هذا أن كل تغيير بالنعم هو من سخط الله وعقوبة عاجلة ، فقد يكون إمتحاناً وزيادة في الأجر والثواب ، ومناسبة للصلاح والعمل الصالح ، وبرزخاً دون الفساد ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم استدامة النعم عليه وعلى أمته بفضل ولطف من عند الله ، ليشكر المسلمون الله عز وجل على هذه النعمة اليومية المتجددة ، قال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] والعمل بالسنة .

ومن النعم التي صاحبت رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأمن والسلم المجتمعي ، فيجب على المسلمين تعاهدها وتثبيتها في الأرض وتوارثها ، والعمل على انتفاع الناس منها ، لبيان وجوه :

الأول : قانون التضاد بين عمل المسلم والإرهاب .

الثاني : قانون التنافي بين طيب العيش والإرهاب .

الثالث : قانون الإرهاب طارد لخفض العيش ، ومانع من نضارته .

الرابع : قانون الإرهاب ظلام يحجب نضارة العيش ، وتحذر كل الكتب السماوية من البَطَر وهو الغرور والطغيان عند النعمة ، وقلة احتمالها ، والنفرة والكراهة من الشئ مع انه لا يستحق الكراهة عقلاً وشرعاً وعرفاً .

و(البَطَرُ، في معنىً، كالحَيرة والدّهَش، يُقالُ: لا يُبْطِرنّ جهلُ فلان حلْمك، أي: لا يُدْهشك. وفي معنىً: كالأشَر وغَمْط النّعمة، يقال: بَطَر فلانٌ نِعْمةَ الله، أي: كأنّه مَرِح حتّى جاوز الشُّكْرَ فتركه وراءه.)[3].

والبطر : الطغيان بالنعمة ، والمختار أنه رتبة من رتب كفران النعمة ، قال تعالى ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[1].

---

(١) سورة النور ١٩.

(٢) سورة آل عمران ١٠٤.

(٣) العين ٢/٩٩.

وقد نزل الكتاب وجاءت السنة بالإنذار من البطر بالنعم ، ومقابلتها بإنكار التنزيل ومعجزات النبوة ، وفي خطاب وأمر من الله عز وجل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾(٢).

من مصاديق الإرهاب

تعدد تعريف الإرهاب في الإصطلاح ومفهومه في هذا الزمان ، والواقع اليومي والأحداث خير تعريف له ، ومنه الفهم العام للإرهاب المرتكز في أذهان الناس ، ومن مصاديقه :

الأول : ترويع الناس .

الثاني : إخافة الآمنين .

الثالث : التعدي الذي يبعث النفرة عند نفوس العامة ، ولا تجد له قبولاً عندهم ، فليس للإرهاب دين أو ملة أو مذهب .

الرابع : تلف الأموال العامة وممتلكات الناس .

الخامس: سفك الدماء والقتل بغير حق ، وتعريض حياة الناس للخطر بصيرورة الناس يجتنبون نزول العمل الإرهابي بهم .

السادس : التضييق على الحريات ، وحركة وسفر الناس .

السابع : إرادة مصاحبة الخوف للناس الأبرياء بغير حق .

الثامن : العدوان على الفرد والجماعة بسبب الدين والمذهب .

التاسع : التهديد العام الذي يصل إلى الكثير من الناس .

العاشر : إخافة السبيل برياً كان أو جوياً أو بحرياً .

الحادي عشر : تعريض الأمن العام للخطر .

الثاني عشر : صيرورة الإرهاب سبباً بمضاعفة الدول لتكاليف الأمن والرقابة والحراسة .

---

(١) سورة سبأ ١٧.

(٢) سورة الأنفال ٣٨.

الثالث عشر : اتخاذ العنف وسيلة لتحقيق أهداف سياسية .

الرابع عشر : نشر الرعب والفزع بين الناس .

الخامس عشر : من مصاديق الإرهاب التهديد بالقتل والوعيد للناس .

السادس عشر : آفة الحسد واستيلائها على النفس بما يبعث على التمرد والعنف ، والخروج عن القيم الإيمانية والإنسانية .

السابع عشر : قطع الطريق والسلب والقتل بالطرقات العامة بذرائع عقائدية لا أصل لها ، وفي الإسلام سن حدّ الحرابة ، وقال تعالى ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ . . .﴾[1].

الثامن عشر : التخريب وإتلاف أسباب الرزق وموارد العيش .

التاسع عشر : التفجيرات العشوائية ، والتي تبعث الرعب في قلوب الآمنين ، وتجعل الدول تتخذ إجراءات آمنية مشددة قد تستنزف موارد الدولة .

العشرون : الإرهاب الفكري ، ومنه التكفير برمي الملايين بالكفر ، وإن نطقوا بالشهادتين وأدوا الصلوات اليومية والفرائض العبادية الأخرى ، فمن الجهالة والجور والإرهاب قيام شخص أو جماعة بنعت الملايين بالكفر لمسألة خلافية وفرعية .

اجتماع الأمر والنهي على حرمة الإرهاب

من إعجاز القرآن أمره بالتقوى والصلاح ، ونهيه عن الفساد والعصيان والكفر، ومع التضاد بين الأمر والنهي فانهما يجتمعان في آيات متعددة من القرآن وفي المقاصد السامية ، وقد تقدم اقتراحي إحصاء الأوامر الواردة في القرآن وكذا النواهي الواردة فيه ، ويمكن إجراء إحصاء من وجوه :

الأول : الآيات التي يجتمع فيها الأمر والنهي .

---

(١) سورة الأعراف ٨٥-٨٦.

الثاني : الآيات التي يجتمع فيها الأمر المتعدد .
الثالث : الآيات التي يجتمع فيها النهي المتعدد .
الرابع : الآيات التي يجتمع فيها أمر واحد ونهي واحد .
الخامس : الآيات التي تجتمع فيها الأوامر والنواهي المتعددة ، ومنها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

ومن الإعجاز في هذه الآية تضمنها ثلاثة من الأوامر ، وثلاثة من النواهي وكل أمر فيها صلاح وخير محض وما هو ضد الإرهاب والزاجر عنه ، وكل نهي فيها يمنع من الإرهاب والتعدي ، ويبين حرمته وضرره الخاص والعام .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليم بلغاء وحكماء العرب بصدق رسالته للإعجاز الذاتي والغيري لآيات القرآن .

وعن عبد الملك بن عميره (بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يَدَعوه، وقالوا: أنت كبيرنا لم يكن لتخف إليه. قال: فليأت مَنْ يبلغه عني ويبلغني عنه .

فانتدب رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك مَنْ أنت، وما أنت، وبماذا أجبت .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النحل ٩٠.
(٢) سورة النحل ٩٠.

قالا : وفد علينا هذا القول، فردده عليهم حتى حفظوه قال: فلما أتيا أكثم قالا: قد سألناه عن نسبه فوجدناه واسط النسب في مضر وقد رمى إلينا كلمات حفظناهن فلما سمعهن أكثم .

قال: يا قوم أراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا أذناباً، وكونوا فيه أولاً ولا تكونوا فيه آخراً .

ولم يلبث أن حضرته الوفاة، فأوصى فقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإنها لا يبلى عليها أصل، ولا يهيض عليها فرع، وإياكم ونكاح الحمقى .

واعلموا أن سوء جهل الغني يورث سرحاً، وأن سوء جهل الفقير يضع الشرف، وأن العدم عدم العقل لا عدم المال .

واعلموا أنه لن يهلك امرؤ عرف قدره، واعلموا أن مقتل الرجل بين لحييه، وأن قول الحق لم يترك لي صديقاً.

وذكر أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: أن أكثم بن صيفي سمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكتب إليه مع ابنه حبيش: باسمك اللهم، من العبد إلى العبد، أما بعد: فبلغنا ما بلغك الله، فقد بلغنا عنك خير، فإن كنت أريت فأرنا، وإن كنت علمت فعلمنا وأشركنا في خيرك والسلام.

فكتب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من محمد رسول الله إلى أكثم بن صيفي، أحمد الله إليك، إن الله أمرني أن أقول لا إله إلا الله وليقر بها الناس، والخلق خلق الله، والأمر كله لله، وهو خلقهم وأماتهم، وهو ينشرهم وإليه المصير. بادابه المرسلين ولتسلن عن النبأ العظيم، ولتعلمن نبأه بعد حين .

فقال لابنه: ما رأيت منه، قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها. فجمع أكثم بني تميم، وقال: لا تحقرن سفيهاً، فإن مَنْ يسمع يخل، وإن مَنْ يخل ينظر وإن السفيه واهي الرأي وإن كان قوي البدن، ولا خير فيمن عجز رأيه ونقص عقله .

فلما اجتمعوا دعاهم إلى إتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام مالك بن عروة اليربوعي مع نفر من بني يربوع فقال: خرف شيخكم، إنه ليدعوكم إلى الغبار، ويعرضكم للبلاء، وأن تجيبوه تفرق جماعتكم وتظهر أضغائكم، ويذلل عزكم، مهلا مهلًا .

فقال أكثم بن صيفي: ويل للشجي من الخلي، يا لهف نفسي على أمر لم أدركه ولم يَفُتْني ما آسى عليك بل على العامة .

يا مالك إن الحق إذا قام دفع باطل وصرع صرعى قياماً، فتبعه مائة من عمرو وحنظلة .

وخرج إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما كان في بعض الطريق، عمد حبيش إلى رواحلهم فنحرها وشق ما كان معهم من مزادة وهرب، فأجهد أكثم العطش فمات، وأوصى مَنْ معه بإتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأشهدهم أنه أسلم. فأنزل فيه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

فهاتان الروايتان تدلان على أن أكثم بن صيفي أدرك رسول الله)[2].

ولبيان معجزة عقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي إيمان بلغاء العرب برسالته بالإستماع إلى آية واحدة من القرآن .

والأوامر والنواهي في هذه الآية مجتمعة ومستقلة سبب للصلاح العام ، والسلم المجتمعي ، ونزول البركة على الناس لما فيها من رضا الله تعالى .

---

(١) سورة النساء ١٠٠.

(٢) المنتظم ٢٥٤/١ .

التضاد بين صلة الرحم والإرهاب

قال تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1].

لقد أمر الله عز وجل بالإحسان إلى الوالدين وعامة ذوي القربى ، وجاءت السنة النبوية القولية والفعلية ببيان قدسية الرحم ، ولزوم تعاهد صلة القربى .

و(عن عمرو بن عبسة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول ما بعث ، وهو بمكة فقلت : ما أنت؟ قال : نبي . قلت : بم أرسلت؟ قال : بأن تعبد الله وتكسر الأصنام وتصل الأرحام بالبر والصلة)[2].

النسبة بين صلة الرحم ، وإيتاء ذي القربى عموم وخصوص مطلق .

وصلة الرحم أعم من جهة الكيفية والإحسان والأفراد في النسب والسبب في الأصول والفروع ، وفيه وجوه :

الأول : قانون الإرهاب ضد لصلة الرحم .

الثاني : قانون ترشح الضغائن والأحقاد عن الإرهاب .

الثالث : قانون الإرهاب إيذاء لذوي القربى وسبب لحزنهم ، بدل إعانتهم ، وإسداء الخير لهم بالمال والمعروف ، ومنه الضابطة الكلية والقاعدة (الغُرم بالغَنْم)[3].

ومنها الذي ينال النفع من الشئ يجب أن يتحمل ضرره ، مثل تعمير وترميم الملك المشترك يقع على أصحابه بحسب حصصهم وانتفاعهم منه .

ومثل نفقة العارية على المستعير لأن منفعتها تعود له ومنه باب النفقة على أولي القربى ، فمن كان يرثه إذا مات تجب عليه نفقته إذا عجز ، ويأتي الضرر من الفعل الإرهابي لذوي قربى الذي يقوم به .

---

(١) سورة محمد ٢٢.

(٢) الدر المنثور ٢٠١/٩ .

(٣) تاج العروس ٣٨٠/١ .

والأصل أنهم ينتفعون بصلة القربى التي أمر الله تعالى بها وبذا يكون الإرهاب فتنة ، وسبباً للفرقة ، وتخريباً لأواصر وصلات الرحم ، ونخر في عظام المجتمع.

النهي المتعدد عن الإرهاب في آية واحدة

لقد تضمنت الآية الكريمة التسعين من سورة النحل النهي عن ثلاثة أمور بقوله تعالى ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾[1] وفيه وجوه :

الأول : لا يختص موضوع الفحشاء بالزنا ونحوه بل يشمل مجاوزة الحد في اتباع الهوى وأمور الشهوة ليكون إخضاع الجوارح للأوامر والنواهي القرآنية في هذه الآية وآيات القرآن الأخرى برزخاً دون الإرهاب ، وواقية منه ، وباعثاً للنفرة منه .

الثاني : الإرهاب من المنكر الذي نهى الله عز وجل ، فهو استهانة بحقوق الناس وفق أحكام الشريعة والدستور والقانون ، وانقياد لغضب جامح ليس له سبب إلا الخروج عن الحد وسوء التأويل للأحكام ، لبيان مسائل :

الأولى : قانون الإرهاب قطع للمودة بين الناس .

الثانية : قانون الإرهاب خلاف لما أمر الله به ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2].

الثالثة : قانون الإرهاب جفاء وفساد .

الثالث : بيان قانون الإرهاب بغي واعتداء على الناس ، لا أصل له ، وقانون منع الإرهاب الناس حقوقهم .

---

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) سورة الرعد ٢٥.

الرابع : قانون الإرهاب سبب للسخط العام ، وفيه فرض استعلاء للنفس دون الناس باجتماع النفس الغضبية والشهوية والإستعلاء .

واختتمت الآية الكريمة بقوله تعالى ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1] لبيان قانون الأوامر والنواهي القرآنية موعظة ودعوة لاستحضارها عند الشروع بقول أو فعل ، وقانون العمل بأحكام التنزيل نجاة في الدنيا والآخرة ، وليس في الإقدام على الفعل الإرهابي نجاة ، إنما هو ضرر محض ، وسبب لتحمل أوزار الآخرين ممن غرروا بهم ، ومن تلقوا الأذى والضرر منهم ، قال تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[2].

وهذه الآية ونزولها سبب لإيمان عثمان بن مظعون بصدق وإخلاص وإيمان عدد من الصحابة ، إذ ورد (عن ابن عبّاس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بفناء بيته بمكة جالساً إذ مرّ به عثمان بن مظعون فكسر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله : ألا تجلس قال : بلى .

فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستقبله فبينما هو يحدّثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصره إلى السماء فنظر ساعة فأخذ يضع بصره حتّى وقع على يمينه في الأرض فتحرّف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينغض رأسه كأنّه يستفهم شيئاً يقال له.

ثمّ شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصره إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتّى توارى في السماء فأقبل إلى عثمان كحالته الأولى.

---

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) سورة النحل ٢٥.

فقال : يا محمّد فيما كنت أُجالسك ما رأيتك تفعل فعلتك لغداة ، قال : وما رأيتني فعلت ، قال : رأيتك تشخص بصرك إلى السماء ثمّ وضعته على يمينك فتحرّفت إليه وتركتني ، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفهم شيئاً يقال لك.

فقال : أو فطنت إلى ذلك ، قال : نعم .

قال : أتاني رسول الله جبرائيل آنفاً وأنت جالس ، قال : نعم : فماذا قال : لك.

قال : قال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى آخره.

قال عثمان : فذلك الحين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً)[1].

وعن عبد الله بن مسعود في حديث أن هذه الآية (أجمع آية في كتاب الله للخير والشر)[2].

تعدد التأويل

أبين علماً في تفسير الآية القرآنية بأخذ الأمر الوارد فيها على نحو مستقل في التفسير والتأويل ، ثم أخذه مع الفرد الآخر من الأمر ، ثم مع النهي الوارد في الآية لتعدد المعاني بالإتحاد والجمع بين الأوامر والنواهي.

لبيان تعدد أفراد الدعوة إلى الرحمة والإحسان للناس ، والنهي عن الظلم والإرهاب في الآية الواحدة من القرآن ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[3].

فالعدل واجب على أهل الحل والعقد ، بل وحتى في داخل الأسرة ، قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[4].

---

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ٤١٩/٧ .

(٢) الدر المنثور ١٦٢/٦.

(٣) سورة الإسراء ٩.

(٤) سورة النساء ٣٤.

والإحسان بذل النفع للآخرين ، واللطف بهم ، والإرهاب عنف وإضرار بالآخرين ، ومن الإحسان إحسان الإنسان إلى نفسه باتقان العمل وأداء الفرائض العبادية ، وحبس الجوارح عن إيذاء الآخرين ، والمنع من التعرض إلى التهلكة ودخول السجن .

وليس من سبب شرعي أو عقلائي للإقدام على الإرهاب فهو إساءة للنفس والناس ، ومنهم الذين لم يقع عليهم الفعل الإرهابي .

و(عن ابن عباس قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً ، فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضعاً كفيه على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا رسول الله حدثني عن الإِسلام .

قال : الإِسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل ، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . قال : فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت .

قال : يا رسول الله حدثني عن الإِيمان؟ قال : الإِيمان أن تؤمن بالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، والموت ، والحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة ، والنار ، والحساب ، والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره .

قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت . قال : يا رسول الله حدثني ما الإِحسان؟ قال : الإِحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن لا تراه فإنه يراك)[1].

وفي رواية أنس بن مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي بالرجل فطلبوه فلم يروا شيئاً ، فمكث يومين أو ثلاثة ثم قال : يا ابن الخطاب أتدري من السائل كذا وكذا؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : ذاك جبريل جاءكم ليعلمكم دينكم)[2].

---

(١) الدر المنثور ٣٤٢/١.

(٢) الدر المنثور ٣٤٢/١.

قانون مصاحبة الندم للإرهاب

الندم ضرب من الغم يعتري الإنسان على ما وقع منه ولوم للذات ، وتمنيه لو عاد الزمان ما صدر منه ذات الفعل .

يقال : ندم على فعل ندامة فهو نادم .

والندم من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، وهو يختلف من إنسان لآخر ، فمنهم من يندم على خطأ بسيط ، ويشتد عليه الحزن والكآبة ، ومنهم من يقل ندمه مع تعدد خطأه وفساده .

فنزل القرآن لإصلاح النفوس والوقاية من أسباب الندم ، مع فتح باب التوبة لتدارك الفعل الخطأ بالإستغفار واصلاح الذات والفعل ، والمبادرة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لقد أخبر الله عز وجل عن احتجاج الملائكة بجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، لما يقع فيها من سفك الدماء .

وذكر القرآن قتل قابيل بن آدم لأخيه هابيل لبعث النفرة في النفوس من القتل وسفك الدماء ، وليتنزه المسلمون عن القتل والإرهاب مطلقاً سواء كان مقدمة للقتل أو لا ، إذ يكفي صدق الفساد على إخافة الآمنين .

وهل قوله تعالى ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[2] بخصوص قابيل إخبار عن قانون الندم على العمل الإرهابي .

الجواب نعم ، ليكون من معاني الآية إنقاذ المسلم من بلوغ مرتبة الندم باجتناب أسبابه .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما منْ أَحَد يَمُوتُ إلاَّ نَدِمَ ، قَالُوا : وَمَا نَدَامَتُهُ يا رسول اللّه؟ قال : إنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أَلاَّ يكون ازْدَادَ ، وإن كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ ألا يَكُونَ نَزَعَ)[1].

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة المائدة ٣١.

وقد ذكر القرآن ندامة قوم مجرمين ، منه ما ورد بخصوص ثمود قوم النبي صالح عليه السلام ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

لتبين هذه الآية نزول العقوبة الإلهية على الجريمة والظلم حتى مع الندامة ، لأنها لم تكن ندامة إيمان خالصة لوجه الله ، لنفي خاتمة الآية أعلاه الإيمان عنهم .

وذكر القرآن ندم المنافقين مما يدل على ذكره للأذى الذي لاقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفضله تعالى في أصابة المنافقين بالندم على سوء إختيارهم ، قال تعالى ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(٣).

ويتجلى قانون ندم الظالمين لا ينجيهم من العذاب العاجل بقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٤).

وهذه الآيات من سورة المؤمنون وهي سورة مكية لبيان الإنذار والوعيد بالعقاب العاجل لكفار قريش .

ولم يرد لفظ ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ ﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾ في القرآن إلا في هذه الآية الكريمة .

وتقدير الآية بصيغة الخطاب لهم (عما قليل لتصبحن نادمين) .

---

(١) تفسير الثعالبي ٤٦١/١ .

(٢) سورة الشعراء ١٥٧-١٥٨.

(٣) سورة المائدة ٥٢.

(٤) سورة المؤمنون ٣٩-٤١.

ولم تمر الأيام حتى جهز المشركون الجيوش لغزو المدينة وقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإرعاب وإخافة أهلها الآمنين ، فعادوا بالكبت والحزن والخسارة .

وفي معركة أحد التي جرت في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، قال تعالى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾(١).

وليس في الإقدام على العمل الإرهابي إلا الحسرة والندامة ، وفيه وجوه:

الأول : قانون ملازمة الندامة للإرهاب .

الثاني : قانون إدراك الذي يقدم على العمل الإرهابي في قرارة نفسه أن فعله مخالف للعقل والشرع لولا الغشاوة التي تُجعل على بصره وبصيرته .

الثالث : قانون تعقب الندامة للفعل الإرهابي .

وقد يهلك في ذات الفعل فيغلق على نفسه باب الندامة والتوبة .

قانون البراءة من اراقة الدماء

من خصائص الإسلام قانون التضاد بين عمل المسلم وسوء فعل قابيل ابن آدم بقتله أخيه ، وقانون التضاد بين أحكام الإسلام والفساد ، ومنه الإرهاب .

و(عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَا مِنْ نَفْسٍ تُقتَلُ ظُلْماً إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)(٢).

ويلزم التعاون والتكافل بلطف ورفق من أجل استئصال الإرهاب بمفهومه في هذا الزمان ، وهذا التعاون من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ

---

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) الماوردي / النكت والعيون ٣٥٧/١ .

مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

و(قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الرفق يمن ، والخرق شؤم ، وإذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق . إن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ، وإن الخرق لم يكن في شيء قط إلا شانه ، وإن الحياء من الإيمان ، وإن الإيمان في الجنة . ولو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً ، وإن الفحش من الفجور ، وإن الفجور في النار ، ولو كان الفحش رجلاً يمشي في النار لكان رجلاً سوءاً)[2].

وأيهما أكثر ندامة وآسى الظالم والمعتدي ندامته في الدنيا ، أم ندامته في الآخرة ، الجواب هو الثاني .

إذ تبدأ هذه الندامة من ساعة الإحتضار حيث تحيط بالظالم الكافر ملائكة العذاب .

ثم تتجدد هذه الندامة من أول ساعة دخوله القبر ، إذ يرى الملكين منكراً ونكيراً قد استعدوا لمواجهته بالمعاصي التي ارتكبها بما يعجز معه على الإنكار أو الدفاع ، وأشد منه عذاب القبر ، ثم الوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب ، قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) الدر المنثور ٤٣٧/٢ .

(٣) سورة يونس ٥٤.

القبح الذاتي للفساد

من الفساد المنهي عنه في ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[١] والآيات المشابهة الأخرى وجوه :

الأول : الشرك بالله وعبادة الأوثان .

الثاني : الإنقياد إلى الطواغيت .

الثالث : إفساد النفوس .

الرابع : تسخير الأموال في الفساد والضلالة والإفساد .

الخامس : اتباع طائفة من الناس الشيطان ، وما في هذا الاتباع من الخروج عن الصراط .

و(عن جابر قال : كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فخط خطًا هكذا أمامه، فقال : هذا سبيل الله ، وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : هذه سبيل الشيطان ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢])[٣].

السادس : الإنقياد للفتن ، وبعث الرعب في نفوس الناس .

السابع : الظلم والتعدي والإرهاب ، والنسبة بين الفساد وكل من الظلم والتعدي والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالفساد أعم منها.

لذا فمن أسرار تكرار النهي عن الفساد ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ثلاث مرات في القرآن زجر الناس عن الظلم والغرور والإرهاب .

الثامن : نشر الفاحشة ، وإشاعة الزنا ، وشرب الخمر ، وإزدراء الأديان.

---

(١) سورة الأعراف ٥٦.

(٢) سورة الأنعام ١٥٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٣٦٦/٣ .

التاسع : محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبعثته خير وإصلاح محض ، ومحاربته ومحاولة منع نزول توالي القرآن شر وفساد .

العاشر : إخافة الناس ، وإشاعة الرعب في الطرقات العامة ، وإدخال الخوف والفزع والمنتديات العامة والبيوت .

التضاد بين الإصلاح والإرهاب

هل نزول القرآن من مصاديق إصلاح الأرض ، الجواب نعم ، ليكون من معاني الإفساد الصدود عن آيات القرآن ، والإمتناع عن العمل بأحكامها .

ومن أحكام القرآن حرمة الإرهاب وإراقة الدماء ، والإخافة العامة للناس الآمنين .

والإرهاب يجعل الناس في فزع وهلع ، وينشر الخوف في المحتمع الإنساني ومظاهر العنصرية ، وغياب العدل ليس علة تامة وسبباً للإرهاب لقبه الذاتي ، وحرمته شرعاً والبغض منه عقلاً .

ومن أظهر وظائف الأنبياء نهيهم عن الفساد وقطع الطرق ، وعن ترويع الآمنين كما ورد عن شعيب في القرآن وإنذاره لقومه مدين ، وهم أصحاب الأيكة ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[1].

إذ نهاهم عن الشرك والفساد والإرهاب ، وقطع الأشجار ، وهدم المنازل ، وتغوير الآبار ، وبخس الميزان ، والإعتداء على الناس في الطرقات ، وسلبهم أموالهم ، وضربهم للذي يؤمن برسالة شعيب .

---

(١) سورة الأعراف ٨٥-٨٦.

و(عن ابن عباس قال : كان شعيب نبياً ورسولاً من بعد يوسف ، وكان من خبره وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[١].

فكانوا مع ما كان فيهم من الشرك أهل بخس في مكايلهم وموازينهم مع كفرهم بربهم وتكذيبهم نبيهم .

وكانوا قوماً طغاة بغاة يجلسون على الطريق فيبخسون الناس أموالهم حتى يشترونه ، وكان أوّل من سن ذلك هم .

وكانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون دراهمك هذه زيوف فيقطعونها ثم يشرونها منه بالبخس يعني بالنقصان ، فذلك قوله ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[٢] وكانت بلادهم بلاد ميرة يمتار الناس منهم ، فكانوا يقعدون على الطريق فيصدون الناس عن شعيب يقولون : لا تسمعوا منه فإنه كذاب يفتنكم)[٣].

لبيان موضوعية حفظ حقوق الناس ، وسلامة المعاملة المالية وتعاهد الأنظمة الإجتماعية .

وكان شعيب يكثر من وعظ وإنذار قومه (وكان رسول الله صلى عليه وآله وسلم إذا ذكر شعيباً يقول : ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما دعاهم إليه ، وفيما ردوا عليه وكذبوه وتواعدوه بالرجم والنفي من بلادهم)[٤].

---

(١) سورة الأعراف ٨٥.

(٢) سورة الأعراف ٨٥.

(٣) الدر المنثور ٢٦٩/٤ .

(٤) الدر المنثور ٢٦٩/٤ .

﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾[١] بسحابة أظلتهم فانجذبوا اليها ، فلما اجتمعوا تحتها التهبت عليهم ناراً واحرقتهم .

أما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد جاهد لإخراج قومه من الضلالة إلى الإيمان ، ومنعهم من الفساد ، وهو من وجوه تفضيله بتنزه المسلمين من الإرهاب ، وإدركهم لحرمته ومخالفته لأحكام الشرعية ، ولا عبرة بالقليل النادر والشاذ .

قانون الحكمة زاجر عام عن الإرهاب

قال تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢].

لقد أكرم الله عز وجل الإنسان بالعقل ، وليس من حصر لوظائفه في إصلاح الإنسان لنفسه في القول والعمل والبدن ، والنجاة من الفتن بحكمة وبصيرة وتهذيب .

والحكمة فضيلة تمنع صاحبها من الجهل ، للتضاد بينها وبين الجهل ، والفساد ، والرذيلة .

ومن الحكمة معرفة الأحكام والتفقه في الدين ، والعمل بالحق ، وفعل ما ينبغي ، وإحكام الأمر إتقانه .

وقد اثنى الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبر في آيات متعددة بأنه يُعلم المسلمين الكتاب والحكمة ، وأن هذا التعليم رحمة وفضل من الله عز وجل ، إذ قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[٣][٤].

---

(١) سورة الشعراء ١٨٩.

(٢) سورة البقرة ٢٦٩.

(٣) سورة آل عمران ١٦٤.

(٤) أنظر الجزء الخمسين بعد المائة من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية

وفي الآية مسائل :

الأولى : إقامة الحجة بقيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ الرسالة .

الثانية : فضل الله في رزق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعلوم الوحي التي هي حكمة متعالية ، ومن الشواهد على أن الحكمة التي علمها النبي محمد المسلمين وحي ، قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[1].

لذا ورد في حديث (الْمِقْدَام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم : أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ)[2].

الثالثة : شهادة القرآن بحرمة الإرهاب ، لقانون التضاد بين الحكمة والإرهاب .

الرابعة : براءة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أي فعل إرهابي لأنه علّم المسلمين التنزيل والحكمة وكل منهما زاجر عن الإرهاب .

الخامسة : دعوة القرآن للعمل بالتنزيل وبالسنة النبوية ، ومن خصائصها النهي عن الإرهاب .

السادسة : الثناء على المسلمين فيما تلقوه من التعليم بما يدفع عنهم السفه ، ويمنعهم من الفساد ، والنسبة بين الفساد والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب فرع الفساد .

الكريمة.

(١) سورة النساء ١١٣.

(٢) مسند أحمد ٣٧/٣٥ .

والمراد من المؤمنين في الآية أعلاه من سورة آل عمران أجيال المسلمين والمسلمات المتعاقبة لذا يلزم الإنزجار عن الإرهاب في كل زمان ومكان لأنه خلاف الحكمة التي علّمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين ، وجعلها وديعة عندهم ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

نهي الكتاب والحكمة عن الإرهاب

لقد ورد قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ ثلاث مرات في القرآن[2]، وكلها في تعليم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين .

والمختار أن النسبة بين القرآن والحكمة عموم وخصوص مطلق ، فعلوم القرآن أعم لقوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[3]، ليكون العطف في قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ من عطف الخاص على العام ، والتبيان للمُبين ، ومن الحكمة في المقام السنة النبوية .

وقد ذكرت في الجزء الخمسين بعد المائة من هذا السفر الذي اختص بتفسير الآية (١٦٤) من سورة آل عمران (ويعلم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم كل جيل من أجيال المسلمين إلى يوم القيامة الكتاب والحكمة، وهو من منّ وطول وفضل الله عز وجل المتجدد على المسلمين وذراريهم.

ويمكن بيان قانون من الإرادة التكوينية وهو أن منّ الله على السابق من المسلمين هو منّ على اللاحق منهم، والمن الذي يأتي على اللاحق منهم ينتفع منه السابق وإن غادر الدنيا ، وصار في عالم البرزخ .

---

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) أنظر سورة البقرة ١٢٩ ، سورة آل عمران ١٦٤ ، سورة الجمعة ٢ .

(٣) سورة النحل ٨٩.

وهو من أسرار الصلة والملازمة بين عالم الفعل في الدنيا، وعالم الجزاء في الآخرة، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]).

وهل في الآية حجة على المسلم ، الجواب نعم ، لتوجه التعليم له من القرآن والسنة النبوية ، وحضوره وسبل الفقاهة في كل زمان .

فقوله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[2] رحمة عامة للمسلمين والناس ، وانذار من التفريط بالحكمة في القول أو العمل ، وهل من الحكمة أداء الفرائض العبادية وكيفيتها ، الجواب نعم .

ومن فضل الله عز وجل على الإنسان ما رزقه من نعمة العقل الهداية والتحلي بملكة الحكمة والبصيرة في الأمور ، قال تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3].

لبيان إن اختيار الإرهاب وإخافة الناس شر محض وحرمان من الخير الكثير المصاحب للحكمة ، لذا لايؤدي العمل الإرهابي إلا إلى الفساد ، وحبط الأعمال ، والبطلان ، وسوء العاقبة في الآخرة ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4].

وهل يمكن القول بأن النبي محمداً معلم الكتاب والحكمة ، الجواب نعم ، وهي صفة خاصة به لم ينلها أحد من الأنبياء وهي دعوة إبراهيم

(١) سورة الطور ٢١.

(٢) سورة آل عمران ١٦٤.

(٣) سورة البقرة ٢٦٩.

(٤) سورة الزلزلة ٨.

وإسماعيل عليهما السلام كما ورد في التنزيل ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

لتغادر النبوة الأرض بوفاة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيبقى الكتاب والسنة والحكمة وديعة ووثيقة سماوية عند المؤمنين ، وفي طاعتهم لله عز وجل ورسوله ، ومن مصاديق هذه الطاعة التقيد بالأوامر والنواهي الشرعية ، ومنها حرمة الإرهاب والإضرار بالناس ، مع التسليم بعدم جواز إراقة الدماء .

ومن الحكمة الصبر على الأذى ، وعدم الرد بالعنف والبطش والتهديد والتخويف ، وفي الثناء على المؤمنين ، قال تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾(٢).

لبيان الثواب العظيم ، والجزاء الأخروي بالنعيم الدائم للذين تناجوا بالصبر وإشاعة الرحمة بين الناس ، وامتنعوا عن الإرهاب ، وقاموا بالزجر والمنع منه .

ومن خصائص النبي إبراهيم عليه السلام اجتهاده بالدعاء للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، ولقد جاهد النبي إبراهيم عليه السلام بنفسه وعياله ، وانتقل من العراق إلى الشام ثم إلى الحجاز لرفع قواعد البيت الحرام والنداء بالناس بالحج ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة ١٢٩.

(٢) سورة الزلزلة ١٧-١٨.

(٣) سورة الحج ٢٧.

ليبعث الله عز وجل النبي محمداً للناس كافة ويجاهد بنفسه وأهل بيته وأصحابه وينادي بينهم بالإيمان ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾(١).

والنسبة بين دعوته إلى الإيمان ودعوة إبراهيم لحج البيت الحرام عموم وخصوص مطلق ، فحج البيت أحد فروع الإسلام وفيه شاهد على تفضيل النبي على الأنبياء .

ومن وجوه تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أمته أكثر الأمم مع تنزهها عن المعاصي والإرهاب لحرمته في القرآن والسنة ، وسلامة القرآن من التحريف إلى يوم القيامة .

ومن مصاديق الطاعة في قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢) (٣) الإمتناع عن الإرهاب والإنفاق فيه ، لأنه معصية وظلم للذات والغير ، ولسوء عاقبته في الدنيا والآخرة .

بين المعصية والإرهاب

المعصية لغة الخروج عن الطاعة ، ومخالفة الأمر .

أما في الإصطلاح فهي الفعل الذي يؤثم فاعله لأنه خلاف الكتاب والسنة ، ويثاب الذي يمتنع عن المعصية ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾(٤).

ويرادف المعصية : الحرام ، والمحظور ، والإثم ، والذنب ، وهي سبب لجلب سخط الله عز وجل ، ومن المعصية الجحود بالتنزيل ، والإعراض عما فيه من الأوامر والنواهي ، ومنها آفة الحسد والبغي ، والمكر ، والخداع

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة آل عمران ١٣٢.

(٣) أنظر الجزء الثامن والتسعين الذي تضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة الأنعام ١٥١.

، والغيبة والإفتراء ، والفساد ، وقد ذم الله عز وجل المنافقين بقوله تعالى ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[1].

والنسبة بين المعصية والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، وقد نزل القرآن بالنهي عن المعاصي وفعل السيئات وأنذر من تحمل أوزار وأعباء الذنوب .

وقد أخبرت السنة النبوية عن قبح المعاصي وأنها لا تجلب إلا الشر والضرر الخاص والعام .

إذ ورد عن عبد الله بن مسعود أنه (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويبعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه.

وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله فانه لا ينال ما عنده إلا بطاعته)[2].

وقد جمع الله عز وجل المعصية مع الكفر في الذم والوعيد ، قال تعالى ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[3].

والنص والإجماع على أن قتل النفس بغير حق من الكبائر ، وكذا الإصرار على صغائر الذنوب والمداومة عليها ، وفي الإرهاب قتل للنفس بغير حق ، ومقدمة لهذا القتل وإشاعة للرعب ، والنفرة من الملة فهو حرام منهي عنه .

---

(١) سورة التوبة ٦٧.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧٩/٧.

(٣) سورة الحجرات ٧.

الترغيب بالتوبة

من أسماء الله (التواب) قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١] هو الذي يقبل توبة عباده ، وكلما كرر الإنسان التوبة ولجأ إليها تكرر قبولها من عند الله ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[٢] .

ويجتهد المسلم بأن تكون توبته صادقة ، وباخلاص وعزم على عدم العودة إلى المعصية ، وهو من معاني النصوح في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

(قال زر : قلت لأبي بن كعب وما التوبة النصوح؟ قال : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : هو الندم على الذنب حين يفرط منك ، فتستغفر الله بندامتك عند الحافر ، ثم لا تعود إليه)[٤].

إذ يتوجه الخطاب والأمر في الآية إلى كل مسلم ومسلمة ، وكل من نطق بالشهادتين.

وهل تشمل الآية المنافقين ، الجواب نعم ، إذ تدعوهم الآية للتوبة من النفاق ومن المعاصي.

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية الغيرية تناقص عدد المنافقين والمنافقات ، وتضاؤل أثرهم وضررهم.

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢.

(٢) سورة الحجرات ١٢.

(٣) سورة التحريم ٧.

(٤) الدر المنثور ٣٣/٢ .

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من الذنوب فانه كان يكثر من الإستغفار والتوبة عقب الصلاة وفي المسجد ، وعلى المنبر .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إنِّي لأَتُوبُ فِي اليَوْمِ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً)[1].

لحسن التوبة والإستغفار الذاتي ، وليقتدي المسلمون به في الإجتهاد بالتوبة ، وإدراك الحاجة إليها من باب الأولوية القطعية .

ومن مصاديق التوبة التنزه عن التعدي والإرهاب والإبتعاد عنه قولاً وفعلاً ، مع إجتناب مقدماته .

و(عن النبي صلى الله عليه وآله حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الاكبر)[2].

يلزم الفورية في التوبة النصوح الصادقة والمبادرة إليها ، وعدم إرجائها لوجوبها كتاباً وسنة وإجماعاً ولأن الموت أمر وجودي ، وقريب من الإنسان في أي ساعة من ساعات يومه أو ليلته .

وتبعث التوبة والإستغفار السكينة في النفس ، وهي عنوان الشوق لرحمة الله ، والأمل بالفوز بمغفرته .

(وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها، فجعلت كُلَّما وجدت صبيًا من السبي أخذته فألصقته بصدرها، وهي تَدُور على، ولدها، فلما وجدته ضمته إليها وألقمته ثديها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أترون هذه طارحة ولدها في النار، وهي تقدر على ألا تطرحه ، قالوا: لا يا رسول الله. قال : فوالله ، لله أرحم بعباده من هذه بولدها)[3].

---

(١) تفسير الثعالبي ٧٠/١ .

(٢) البحار ٧٣/٦٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٥٨/١ .

وكما تضمنت آيات القرآن الأمر بالتوبة والحث عليها ، فانها نزلت بالإنذار والوعيد للذين يفتنون المؤمنين في دينهم وعملهم ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[1].

والمراد من الفتنة هنا العنوان الأعم ، ومنه الذين يؤذون ويمنعون المؤمنين ليرجعوا عن دينهم كما في أصحاب الأخدود ، وكما في تعذيب قريش لأصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليرجعوا عن الإسلام.

المنع من فتنة الشباب

يحرم إغواء الشباب والفتية لسلوك منهج العدوان والإرهاب وتزيين التعدي لهم ، بسوء تأويل السنن لما فيه من الإضرار بهم وبالمجتمعات .

وهل من الفتنة في المقام إغراء وإغواء الإنسان ليأتي بالمعصية أو بعمل إرهابي ، والقيام بتزيين هذا العمل له وإن أدى به إلى الهلكة والموت ، الجواب نعم ، فلابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهل منع فتنة الشباب ووقايتهم من المعاصي ومسلك الإرهاب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الجواب نعم ، لبيان أن التوبة لا تنحصر بالفعل الذاتي وحصانة النفس ومبادرة الإنسان إليها بل تشمل إعانة المسلمين وعامة الناس لمن أذنب لنجاته ، ومن لم يذنب لوقايته ، ومنه حسن التأديب وتربية الأسرة ، والإرتقاء بالتعليم ومساعدة الإنسان لإجتناب رفقاء السوء ، والذين يزينون التعدي والظلم والباطل .

والله هو الذي يقبل توبة عباده وكلما تكررت التوبة تكرر قبولها من عند الله ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورة البروج ١٠.

(٢) سورة الحجرات ١٢.

وحينما احتجت الملائكة على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١]، لأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ومن علم الله عز وجل سعة رحمته بالإنسان ، وفتح باب التوبة له إلى ما قبل مغادرته الحياة الدنيا .

وهل في قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[٣] إنذار ووعيد ، ودعوة للمبادرة للتوبة ، الجواب نعم .

وتبين خاتمة الآية ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٤] قانوناً ثابتاً يتغشى أيام الحياة الدنيا ، فالباطل وإن أظهر رأسه ببطران وجحود النعمة والطغيان بها ، وبالجهالة والضلالة فانه لابد وأن يتضاءل ويتلاشى ويزول ، وهو من معاني كلمة ﴿زَهُوقًا﴾[٥] التي لم ترد في القرآن إلا في الآية أعلاه .

وهل الإرهاب بقتل الآمنين وإرعاب الناس من الباطل الذي أنذر القرآن منه ، الجواب نعم ، وهل يستثنى الإرهاب الذي باسم الدين والملة ، الجواب لا ، لعمومات قانون قبح وزوال الباطل ، ومحق الإرهاب .

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة ق ١٩.

(٤) سورة الإسراء ٨١.

(٥) سورة الإسراء ٨١.

وجوب التوبة

من سنن التكليف في الدنيا رفع القلم عن الصغير حتى يبلغ ، حيث تتوجه له التكاليف العبادية وهي أعم من العبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج ونحوها ، إذ تشمل المعاملات والنواهي ومطلق القول والفعل.

(وقال كنانة العدوي : دخل عثمان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك .

قال : ملك عن يمينك يكتب الحسنات وآخر عن الشمال يكتب السيئات والذي على اليمين أمير على الذي على الشمال .

فإذا عملت حسنة كتبت عشرا وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أأكتب .

قال لا لعله يستغفر الله تعالى أو يتوب فإذا قال ثلاثا .

قال نعم أكتب أراحنا الله تعالى منه فبئس القرين هو ما أقل مراقبته لله عز وجل وأقل استحياء منا يقول الله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[2] .

وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك .

وملكان على شفتيك وليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد وآله .

وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك .

---

(١) سورة ق ١٨.

(٢) سورة الرعد ١١.

فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي يتداولون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل ليسوا بملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمي وإبليس مع ابن آدم بالنهار وولده بالليل)[١].

قال ابن سعد (كنانة بن نعيم العدوي : وكان معروفا ثقة إن شاء الله)[٢].

ولم يذكر كنانة مصدر الحديث وممن سمعه من الصحابة أو التابعين إذ أن كنانة العدوي تابعي .

ومن فضل الله عز وجل الإطلاق في التوبة وقبولها ، فليس من حصر للأفعال التي تأتي عليها التوبة ، نعم يستثنى من يموت على الشرك ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[٣] للقطع بأنه مات على الإصرار على الجحود ومن غير توبة ولو عند غرغرة الموت أي بلوغ الروح للحلقوم .

والتوبة تطهير للنفس ، وعصمة من المعصية ، ومن خصائص التوبة هدمها لما قبلها من الذنوب ، ومن فضل الله بعثه الطمأنينة في نفس التائب ، وفتح آفاق العمل الصالح أمامه .

ومن شرائط التوبة الندم والكف عن إرتكاب الذنوب ، مع العزيمة على عدم العودة إليها .

ولا تختص التوبة بأهل المعاصي إنما هي واجب على كل مؤمن ومؤمنة ، قال تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

وجاءت الآية أعلاه بصيغة الأمر الذي يحمل على الوجوب إلا مع القرينة الصارفة إلى الإستحباب ، وهي مفقودة في المقام ، ويدل تعدد الأمر من الله عز وجل للناس بالتوبة على موضوعيتها ، وهي من مصاديق فقر

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٧/٩ .

(٢) ابن سعد / الطبقات الكبرى ٢٢٧/٧ .

(٣) سورة النساء ٤٨.

(٤) سورة النور ٣١.

الناس وحاجتهم إلى رحمة الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[١].

والحاجة إلى صلاح الأفراد ، وسيادة السلم المجتمعي ، وانتفاء الظلم والتعدي والإرهاب .

لأن الأصل هو أن التائب لا يعود إلى ظلم نفسه وغيره بالتعدي ، وقال الله تعالى في ذم الذين امتنعوا عن التوبة ولوازمها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

وبالإسناد عن الإمام الرضا عن آبائه (قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : مثل المؤمن عند الله عز وجل كمثل ملك مقرب، وإن المؤمن عند الله عز وجل أعظم من ذلك ، وليس شئ أحب إلى الله من مؤمن تائب، أو مؤمنة تائبة)[٣] .

وفيه ترغيب بالتوبة والمسارعة فيها ، وعدم إرهاق النفس بما صدر منه في الماضي من المعاصي والذنوب شكراً لله عز وجل على نعمة محو الذنوب ، والتوجه لأداء الفرائض العبادية .

أقسام الإستعارة

الإستعارة على أقسام :

الأول : الإستعارة التصريحية : وهي استعارة يصرح فيها بلفظ المشبه به أي (المستعار منه) مع حذف لفظ المشبه (الركن الأول من التشبيه) أي المستعار له .

---

(١) سورة فاطر ١٥.

(٢) سورة النحل ٣٣.

(٣) البحار ٣٦٧/١٠ .

كما في قوله تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[١] حذف المشبه وهو الكفر وصرح بالمشبه به وهو الموت.

وفي الآية استعارة تصريحية ثانية إذ حذف الإيمان وصرح بالمشبه به وهو الحياة ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾.

كما لو قلت : تغذينا عند حاتم ، فقد صرح بلفظ المشبه به وهو حاتم الطائي ، وحذف الرجل الكريم المضيف ، والإستعارة جلية لأن حاتم هذا مات قبل البعثة النبوية وأسلم ابنه عدي بن حاتم واخوته وأحسنوا إسلامهم.

وكما في قول : أسدُ علي وفي الحُروب نعامة .

في تعيير الحجاج الذي اختبئ في قصر الإمارة من امرأة شجاعة اسمها غزالة وإن كانت تقاتل على الباطل .

وبلحاظ مثل كرم حاتم أعلاه ، يمكن القول بذبح حاتم لفرسه لإطعام جارته وأولادها الصغار ومناداته لأهل القرية ، ولم يأكل منه شيئاً مع شدة جوعه .

فقالت زوجته نوار (ثم اضطجعنا وما على الأرض منه إلا عظم أو حافر فأنشد حاتم يقول :

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا ... ولا تقولي لشئ فات ما فعل)[٢].

الثاني : الإستعارة المكنية : وهي الإستعارة التي يحذف فيها (المشبه به) وهو الركن الثاني من التشبيه ، ويرمز إليه بشئ ظاهر من لوازمه ، كما في قوله تعالى ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[٣]، إذ شبه الرأس بالوقود ، ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو كلمة (اشتعل).

---

(١) سورة الأنعام ١٢٢.

(٢) تأريخ دمشق ٣٦٤/١١ .

(٣) سورة مريم ٤.

إذ حذف المشبه به وهو النار مع وجود قرينة وهي اشتعل ، لأن الإشتعال صفة ملازمة للنار .

ومنه قوله تعالى ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[١] فقد صرح بالمشبه وهو الصبح ، وحذف المشبه به وهو الإنسان ، وذكر شيئاً من لوازمه وهو التنفس .

ومنه ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[٢] فقد صرح بالمشبه وهو الذل ، وحذف المشبه به وهو الطائر ، وذكر شيئاً من لوازمه وهو الجناح .

ومثل : طار الخبر في الأعلام ، فحذف الطائر ، وجننا بصفة له وهي طار ، والدليل على أنها استعارة أن الخبر لا يطير .

الثالث : الإستعارة التمثيلية : وهو تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة صارفة عن المعنى الأصلي ، ومن أمثلته (لكل جواد كبوة) لبيان أن الذكي والحليم قد يقع في الخطأ والإشتباه ، رجع بخُفّي حُنين.

وهذا مثل يضرب لليأس من البغية والحاجة ومن يرجع خائباً .

(قال أبو عبيد: كان حنين إسكافاً من أهل الحيرة ساومَه أعرابي في خفين فأغضبه فأراد حنين غيظه فأخذ خفّيه وجعل له أحدهما على طريقه ثم وضع له الثاني بعد مسافة فلما قدِم الأعرابي رأي الخفّ فقال ما أشبه هذا الخفّ بخف حنين ولو كان له صاحب لأخذته فلما وجد الثاني نزل عن ناقته وانصرف وتركها برحلها وحُنين يراه فبدر الى ناقته فركبها وأتى الأعرابي بالخف الثاني فلم يجد ناقته فأتى قومه فقالوا بماذا جئت من سفرك قال جئتكم بخفّي حنين)[٣].

---

(١) سورة التكوير ١٨.

(٢) سورة الإسراء ٢٤.

(٣) المخصص ٣/٧١ .

ومن الإستعارة التمثيلية : سبق السيف العذل فمن يزرع الشوك يجن الجراح.

وفي الثناء على سيف الدولة وشدة بأسه ، قال أبو الطيب المتنبي :

(إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم)[1].

وقال المتنبي :

(ومَنْ يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يَجِدْ مُرّاً به الماءَ الزُّلالاَ)[2].

في التعريض بالذين يذمون شعره .

وأركان الإستعارة هي :

الأول : المستعار منه : وهو المشبه به ، والمعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ .

الثاني : المستعار له : وهو المشبه ، وهو المعنى الفرعي ، المأخوذ من المعنى الذي وضع له اللفظ .

الثالث : المستعار : وهو اللفظ المنقول ، ووجه الشبه بين المستعار منه والمستعار له .

الرابع : القرينة : وهي المانع الذي يمنع من إرادة المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ ، والتي تدل على أن المعنى غير حقيقي والقرينة على شعبتين:

الأولى : القرينة اللفظية : تظهر في العبارة .

الثانية : القرينة الحالية : وهي التي تفهم من سياق الكلام .

ولكن قد يجمع اللفظ القرآني بين المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ والمعنى الذي استعير فيه من غير تعارض بينهما ، وهو من إعجاز القرآن .

وتعدد معاني اللفظ القرآني ، وإحاطته باللامحدود من الوقائع والعلوم وإعجاز القرآن مدرسة للتأديب والإصلاح .

---

(١) الثعالبي / يتيمة الدهر ٥٩/١.

(٢) أسرار البلاغة ٤٣/١ .

اللفظ الجامع للأصل والإستعارة / علم جديد

قوله تعالى ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

والمراد إخراج المسلمين من الكفر والضلال إلى الهداية والإيمان ، فاستعيرت الظلمات للضلال ، والنور للإيمان.

ويمكن حمل الآية على المعنى الأصلي أيضاً قبل أن تصل النوبة إلى الإستعارة ، فذات الكفر والضلالة ظلمة وانقباض للنفس ، وغشاوة على البصر ، والإيمان انشراح للنفس ، وانقداح بالبصيرة ، فيكون معنى اللفظ القرآني جامعاً للأصل والإستعارة .

والإستعارة لغة هي رفع الشئ وتحويله إلى مكان آخر كما لو قلت : استعرت من المكتبة كتاباً .

وفي الإصطلاح هي نوع من المجاز يتكون من طرفين المشبه والمشبه به ، للعلاقة بين المستعار منه والمستعار له ، وهي من ضروب البلاغة ، وجمال اللغة وتزيين اللفظ وبهاء النظم والنثر.

ومن الإستعارة قوله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾[2]، وكأن الغضب كائن حي له قابلية الفعل والسكوت ، وهذه الإستعارة لا تمنع من المعنى الأصلي وهو أن الغضب أمر طارئ على الإنسان خارج عن اختياره في حال السكينة والهدوء .

لذا ترى الإنسان يندم على ما فعل في حال الغضب ، وجاء القرآن والسنة بالتحذير من استحواذ الغضب على الإنسان .

---

(١) سورة البقرة ٢٥٧.

(٢) سورة الأعراف ١٥٤.

وهذا التعدد في المعنى دعوة للحيطة والحذر من دبيب الغضب إلى النفس .

ومن الإستعارة قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]، وقيل استعمال النطق والكلام للقرآن استعارة إذ أنه كتاب.

ولكن هذه الإستعارة لا تنفي المعنى الأصلي ، وهو أن القرآن ناطق تنفذ كلماته إلى شغاف القلوب ، وهو ناطق لأنه كلام الله .

لبيان أن الوقوف عند المعنى الأصلي للفظ القرآني بيان لإعجاز القرآن ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، قال تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[2] فالقاص في القرآن هو الله ، فلا ينتقل إلى الإستعارة .

وقد ورد لفظ ﴿نَقُصُّ﴾ خمس مرات في القرآن بنسبة قصص وأخبار القرآن إلى الله تعالى والقرآن يفسر بعضه بعضاً ، منه قوله تعالى ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا...﴾[3].

وقد يكون الإنتقال بمعنى اللفظ القرآني إلى الإستعارة من رأس تفريط بمصداق وشاهد من شواهد إعجاز وبلاغة القرآن ، وكيف أن آياته تصاحب الناس وتكلمهم.

ويمكن القول بقانون القرآن خير جليس ، فهو يحدثك بكلام الله ، وقصص الأنبياء والأمم السابقة ، وأحكام الشريعة .

فتبعث الإنسان على عرض أعماله على القرآن ، وعلى الصدور عنه في النوايا والمقاصد وعالم الأفعال .

---

(١) سورة النمل ٧٦.

(٢) سورة الأنعام ٥٧.

(٣) سورة الأعراف ١٠١.

وفي أحد التفاسير المعاصرة ذكر لفظ الإستعارة أكثر من ستمائة مرة ، وإن كان نصفها تقريباً في باب الأدب والشرح .

وأدعو علماء التفسير والبلاغة إلى إعادة النظر في الكلمات القرآنية التي قالوا أنها استعارة بالوقوف أولاً عند الأصل وهل يمكن حمل الكلام على حقيقته وقبل صرفه إلى الإستعارة من غير تعارض بينهما.

مثلما ذكرتُ مجئ اجتماع الحقيقة والمجاز في لفظ واحد ، واجتماع العطف والإستئناف في حرف (الواو) والفاء ، والعلم عند الله.

ومن منافع هذا العلم تشعب صيغ البشارة والإنذار ، وكثرة الشواهد القرآنية على القبح الذاتي للظلم والإرهاب ، وسوء الأثر الذي يتركانه.

التسليم بنزول التوراة والإنجيل

النسبة بين ما أنزل الله عز وجل قبل القرآن وبين التوراة والإنجيل عموم وخصوص مطلق ، لتعدد وكثرة الكتب التي نزلت على الرسل قبل نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن إعجاز القرآن تصديقه بالكتب السماوية السابقة ، وبيانه بأن اليهود والنصارى أهل كتاب سماوي .

لبيان مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالسلم المجتمعي ولزوم الإمتناع عن إيذائهم ، فهم يختلفون عن مشركي قريش ورغم الخصومة في المدينة مع اليهود وقيام بعض رؤسائهم بايذاء النبي محمد فان آيات القرآن تترى في نزولها وتتضمن الإخبار بأنهم أهل كتاب سماوي ، وقال تعالى ﴿لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾[1].

وأقرب اسم تفضيل مما يدل على وجود أهل ملل ومذاهب أخرى يودون المسلمين ويحسنون معاملتهم ، وهو من أسرار بقاء أحكام القرآن

---

(١) سورة المائدة ٨٢.

ملائمة لكل زمان .

إذ تدعو الآية أعلاه المسلمين لرفع لواء السلم والأمن في الصلاة مع أهل الأرض ، وفيه منع للإرهاب .

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾(١)، وهل تدل هذه الآية على سلامة القرآن من التحريف ، الجواب نعم .

فمن وجوه التحدي في نزول القرآن سلامته من التحريف والزيادة والنقصان ، وحفظ الله عز وجل للقرآن من مصاديق قوله تعالى ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٢).

وفيه حجة ودعوة للمسلمين للشكر لله عز وجل على هذه النعمة ، ومن المصاديق الفعلية لهذا الشكر الصبر وكف الأيدي عن الإضرار بالناس فقد جاء القرآن بالرأفة وقانون التراحم بين الناس .

وقد صدرت لي الأجزاء (٢٤٥ و٢٤٧ و٢٥٨) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بخصوص قانون (علم الإحصاء القرآني غير متناه).

ولا بأس بتأليف كتاب خاص بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على سلامة القرآن من التحريف .

التوراة والإنجيل لغة

أختلف في أصل لفظ التوراة وهل هو عربي او أعجمي معناه بالعبرية (الشريعة) (التعليم) .

والقول بأنه عربي معناه الضياء والنور ، وهو المختار ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

وقال الفراء : أصلها تفعلة أي تورية بفتح التاء وسكون الواو وفتح الراء

---

(١) سورة الكهف ٢٧.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) سورة الأنبياء ٤٨.

والياء الا انه صارت الياء الفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

وأختلف في الإنجيل ايضاً، على ثلاثة وجوه :

الأول : انه اسم عبراني.

الثاني : سرياني.

الثالث : عربي .

والمختار هو الأخير ، وهو مشتق من نجَلت الشئَ أي استخرجته للدلالة على أن الإنجيل ظهر وبرز بنزوله ولم يستطع أعداء عيسى عليه السلام من حجبه عن الناس .

ورد في حديث الألواح وما وجد موسى عليه السلام في التوراة في الثناء على أمة محمد ، قال موسى (يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونه ظاهراً فاجعلها أمتي . قال تلك أمة أحمد)[١].

وورد الخبر عن وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من التابعين ويكثران من الأخذ من كتب أهل الكتاب .

وذكره ابن عساكر باسناد ضعيف عن أبي هريرة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

اما الصحابة والمسلمون عامة فان صدورهم أوعية لحفظ القرآن وتثبيته والمنع من تضييعه ، ويدل بالدلالة التضمنية على عدم حدوث التحريف في القرآن .

ومن الشواهد على هذا المدح وجوب قراءة القرآن في الصلاة الذي يتعاهد آيات القرآن وحفظها عن ظهر قلب ويساعد في سلامة الذاكرة.

وقال الزمخشري (التوراة والإنجيل اسمان اعجميان، وقال تكلف اشتقاقهما من الورس والنجل، ووزنهما بتفعلة وإفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيين)[٣].

---

(١) الدر المنثور ٣٢٢/٤ .

(٢) أنظر تأريخ دمشق ١١٩/٦١.

(٣)الكشاف ٤١٠/١.

وليس المدار والأهم في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾[1] هو المعنى أو الإشتقاق اللغوي ، إنما الأهم هو الشهادة من عند الله عز وجل بأنه أنزل كتاب التوراة على موسى ، وأنزل كتاب الإنجيل على عيسى عليهما السلام ، وأن تنزيل الكتب السماوية ليس أمراً مستحدثاً بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال تعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾[2].

وفيه دعوة من وجوه :

الأول : قانون إلتقاء أهل الديانات السماوية .

الثاني : قانون منع الضغائن بين المسلمين وأهل الكتاب .

الثالث : قانون حرمة الإرهاب مع المسلمين وأهل الكتاب والناس جميعاً .

وهذه الحرمة من مصاديق قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3].

منافع الإقرار بالتوراة والإنجيل

ترى ما هي منافع التسليم بنزول التوراة والإنجيل فيه وجوه :

الأول : التصديق بنزول القرآن من عند الله عز وجل لما فيه من القطع والجزم بنزول صحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل والزبور من عند الله عز وجل ، ولقانون الكتب السماوية السابقة مقدمة لنزول القرآن وبشارة متتالية برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة مع كثرة الكتب السماوية النازلة قبل القرآن .

إذ أخرج (عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟

(١) سورة آل عمران ٣.
(٢) سورة الأحقاف ٩.
(٣) سورة آل عمران ٦٤.

قال مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى ادريس ثلاثين صحيفة ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

قلت يا رسول الله : فما كانت صحف إبراهيم، قال : أمثال كلها أيها الملك المتسلط المبتلي المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردها ولو كانت من كافر.

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع .

وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال ، فإن في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعاً للقلوب وتفريغاً لها .

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ، فإن من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه .

وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث مرمة لمعاش ، أو تزوّد لمعاد ، أو تلذذ في غير محرم .

قلت يا رسول الله : فما كانت صحف موسى؟ قال : كانت عبراً كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، ولمن أيقن بالموت ثم يضحك ، ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها ، ولمن أيقن بالقدر ثم ينصب ، ولمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل .

قلت يا رسول الله : هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى ، قال : يا أبا ذر نعم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[1])[2].

---

(١) سورة الأعلى ١٤-١٩.

(٢) الدر المنثور ٢٤٦/١٠ .

ومن شكر المسلم لله عز وجل على تواتر البشارة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماوية ، وعلى ألسنة الرسل السابقين نشر الأمن والسعي في السلم المجتمعي ، وحبس الجوارح عن الإضرار بالناس والممتلكات العامة .

لذا ورد (عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا ضرر ولا ضرار من ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه)(1).

الثاني : بيان معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي تثبيت نزول التوراة والإنجيل بين الناس إلى يوم القيامة .

الثالث : بعث الود في نفوس المسلمين لأهل الكتاب السماوي من اليهود والنصارى ، وإجتناب الإبتداء بقتالهم .

أما التعدي فهو حرام سواء على أهل الكتاب أو غيرهم من أهل الأرض ، لتتجلى في قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(2)

مسائل :

الأولى : حرمة التعدي .

الثانية : قانون التضاد والتنافي بين الإنتساب للإسلام وبين التعدي والإرهاب إذ يفيد سياق الآية أعلاه توجه الخطاب والنهي عن التعدي إلى الذين آمنوا وعامة المسلمين ، فلا تصل النوبة إلى الإيمان .

فلم تختص الآية بالمؤمنين ، والإيمان اعتقاد بالقول وتصديق بالقول والفعل ، وعمل بالأركان .

الثالثة : قانون مصاحبة النهي عن التعدي لأجيال المسلمين ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني .

---

(١) البيهقي / السنن الكبرى ٦/٦٩ .

(٢) سورة البقرة ١٩٠.

الرابعة : قانون التنزه عن التعدي على الناس بالقول والفعل والجارحة وسيلة للفوز بحب الله سبحانه .

الخامسة : قانون امتناع المسلم عن الإرهاب والتعدي من الصراط المستقيم في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(١).

الرابع : موضوعية الكتاب السماوي في حسن المعاملة .

الخامس : بيان قانون الكتاب السماوي صلة بين أهل الملل السماوية .

وفيه دعوة للأمن المجتمعي والسلم بين الدول بالجامع المشترك ، وهو التنزيل ومضامينه القدسية .

وبلحاظ الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(٢) يتجلى قانون وهو لا يقدر على تنزيل الكتاب من السماء إلا الله عز وجل ، وفيه دعوة للناس للشكر لله عز وجل على نعمة التنزيل هذه ولزوم العمل بما فيه من الأوامر والنواهي ، والسعي للبشارة بالجنة واجتناب أسباب دخول النار ، قال تعالى ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٣)(٤).

وذكرت الآية أعلاه زُحزح على المبني للمجهول لبيان أن الله عز وجل هو الذي ينحي ويبعد المؤمن عن النار بعمله الصالحات ، أما الإرهاب وسفك الدماء وترويع الناس في عوائق دون دخول الجنة إلا أن يشاء الله عز وجل .

وتترشح عن الإيمان أمور :

الأول : قانون الإيمان يحبس النفس والجوارح عن الإرهاب .

---

(١) سورة الفاتحة ٦.

(٢) سورة آل عمران ٢.

(٣) سورة آل عمران ١٨٥.

(٤) أنظر الجزء التاسع بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة.

الثاني : قانون براءة الإيمان من الإرهاب .

الثالث : الملازمة بين الإيمان والخلق الكريم .

الرابع : قانون حب الله للمؤمنين الذين لا يعتدون ولا يظلمون ، والإرهاب تعد وظلم .

الخامس : قانون بغض الله عز وجل للظالمين المفسدين في الأرض .

آيات وشواهد من التضاد بين القرآن والإرهاب

لقد نزلت سور القرآن بالدعوة للنجاة من العذاب يوم القيامة ، وتتجلى هذه الدعوة بالإيمان وأداء الفرائض العبادية وهو ضد للإرهاب والعنف وفيه وجوه :

الأول : قانون التضاد بين آيات القرآن والإرهاب ، وابتداء هذا التضاد بنزول أول آيات القرآن ، وأول آية نزلت من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1] وهي دعوة للعلم واكتساب المعارف التي ترضي الله عز وجل ، وبينها وبين الإرهاب تناف وتضاد ، وفيها دعوة للناس للصلاح والإنتفاع الأمثل والعام من العلم وسبل الإرتقاء فيه .

الثاني : التضاد بين دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السلمية للإيمان ، وبين تلقي المشركين لها بالعنف والإضطهاد والتهديد والإرهاب .

الثالث : اضطرار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للهجرة من مكة للنجاة من قتله من قبل المشركين ، وهذه الهجرة والنجاة ليلتئذ بالوحي إذ نزل جبرئيل وأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة .

الرابع : قيام كفار قريش بعد هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتجهيز الجيوش لمحاربته بما لم تفعله أمة مع إيمان الرسل والأنبياء السابقين وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي .

ليتجلى الإرهاب الصاجر من المشركين بابشع صورة بمعركة بدر وأحد والخندق باصرارهم على القتال ، لتسيل الدماء من الطرفين ، ويتحقق

---

(١) سورة العلق ١.

مصداق تساؤل الملائكة كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[١].

فقد أفسد المشركون وأشاعوا الفاحشة وسفكوا الدماء بالوأد والثأر والغزو بين القبائل ، ثم أغاروا وهجموا على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

ليكون من مصاديق جواب الله عز وجل للملائكة على تساؤلهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] نصر الله عز وجل للمسلمين في معركة بدر بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

وهذا النصر محطة مباركة في استئصال الإرهاب من الأرض ، لبيان أمور :

الأول : قانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرب على الإرهاب .

الثاني : قانون آيات القرآن واقية للناس افراداً ومجتمعات من العنف والبطش .

الثالث : قانون تجدد منافع النصر في معركة بدر في الأزمنة اللاحقة للتنزيل ، وهل هو من مصاديق الشكر لله الوارد في خاتمة الآية أعلاه ، ولزوم شكر أجيال المسلمين لله عز وجل على نعمة النصر هذه ، التي غيرّت مجرى التأريخ ، الجواب نعم .

الرابع : قانون ملازمة تقوى الله للنصر على أهل الشرك والكفر المعتدين.

---

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

الخامس : قانون دعوة آيات القرآن للسلم المجتمعي ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١).

ويتجلى قانون العموم الإستغراقي لهذه الآية في إعجازها ، إذ يتوجه فيها الخطاب والأمر من الله إلى كل مسلم ومسلمة إلى يوم القيامة بحمل لواء السلم ، والتعاون في الدعوة إليه وعدم الإمتناع عنه إن جاء من الغير بدليل قوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(٢).

والأمر في الآية خاص موجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن حكمه عام متجدد في كل زمان .

فيجتمع عند المسلمين الدخول في السلم وقبوله سواء اثناء القتال أو بعده ، وفيه غلق لباب الإرهاب وسفك الدماء ، فان قلت قد وردت آيات تأمر بالقتال منها قوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(٣).

والجواب يفيد الجمع بين هذه الآيات أن قتال المسلمين للدفاع وعند الإضطرار ، وتدل عليه السنة النبوية التي هي بيان وتفسير للقرآن .

لذا صدرت لي تسعة وعشرون جزء من هذا السِفر المبارك بعنوان (لم يغز النبي (ص) أحداً) وهذه الأجزاء هي :

(١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-

(١) سورة البقرة ٢٠٨.

(٢) سورة النساء ٧٦.

(٣) سورة النساء ٧٦.

-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٦-
-١٧٧-١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-
-١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-
-٢٠٤-٢١٢-٢١٦-٢٢١-٢٢٩-
٢٣٩-٢٥٦-٢٦١-٢٦٦)

لبيان حمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكلمة التوحيد ومعها لواء السلم الذي يتغشى السنة النبوية القولية والفعلية والدفاعية ، والتي تلتقي مع القرآن في محاربته الإرهاب أمس واليوم وغداً .

قانون الرد بالأحسن استئصال للإرهاب

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار امتحان واختبار والناس فيها مشارب شتى ، ومنهم الذي يخشى الله بالغيب ، ومنهم الذي يلهث وراء الدنيا ، ولا يتورع من إيذاء الغير فبعث الله عز وجل الأنبياء لإقامة العدل ونشر ألوية السلم المجتمعي ، وإشاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وبعث النفرة من التعدي والظلم والإرهاب .

لينزل القرآن بقانون الرد على الأمر الحسن بالأحسن ، وعلى التعدي والإساءة بالأحسن والصبر واللطف ، لبيان قانون الملازمة بين الإيمان والرد بالأحسن لقوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون ٩٦.

وقد ورد ذات الأمر في قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١) .

وتوجه الأمر في الآيتين إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن حكمه عام إلى أجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة .

وفيه إعانة للصحابة بالمشورة بالأحسن وما فيه الرفق واللطف لقوله تعالى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٢) ، وكذا فيه دعوة للوزراء والقادة بالمشورة بالعفو والصفح وما فيه خير ونفع خاص وعام .

وتدل الآية أعلاه من سورة فصلت في مفهومها على النهي عن الإبتداء للغير بالإساءة ، فالذي يحترز من رد الإساءة بمثلها يمتنع عن الإبتداء بظلم الغير ، والإساءة له .

وبينت الآية أعلاه من سورة فصلت التباين بين الحسنة والسيئة بالذات والأثر ، فاذا أساء فرد أو جماعة يأتي الأمر بمقابلة الإساءة بالإحسان والحلم والصبر ، مما يدل على وجوب الإمتناع عن الإرهاب الإبتدائي وعلى حرمته مطلقاً ، سواء ابتداء أو رداً على إساءة ، إذ تجمع الآية أعلاه مكارم الأخلاق من جهات :

الأولى : إجتناب رد الإساءة بمثلها ، وفيه منع من تكرار أو زيادة الإساءة من الطرف الآخر، وهو من إعجاز القرآن في تنمية وسيادة الأخلاق الحميدة في المجتمعات .

الثانية : تنزه المسلمين عن الحسد ، والرغبة بزوال النعم التي عند الناس ، قال تعالى ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾(٣).

---

(١) سورة فصلت ٤٣.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة الإسراء ٢٠.

الثالثة : الصبر على الإساءة والمقرون بقصد القربة إلى الله ، وفيه شاهد بأن الصبر أمر وجودي ونية وعزم ، وفيه الأجر والثواب ، قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾(١).

الرابعة : قانون مقابلة السيئة بالإحسان طرد للضغائن وهو الذي تدل عليه الآية أعلاه .

الخامسة : ورد لفظ (ادفع) مرتين في القرآن ، وكلاهما ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) ووردت الآية أعلاه من سورة فصلت بالإطلاق، وذكرت الآية الثانية خصوص السيئة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(٣) وهي من سورة المؤمنون.

وكل منهما نزلت في مكة قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان أن القرآن أمر النبي محمداً بمقابلة الإرهاب بالإحسان ، والخطاب في الآية خاص ، ولكن حكمها عام ومتجدد في كل زمان وتقديرها على وجهين :

الأول : يا أيها الذين آمنوا ادفعوا بالتي هي أحسن السيئة .

الثاني : يا أيها الناس ادفعوا بالتي هي أحسن السيئة .

وهذا العموم من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٤)، ونوع طريق لوقف ومنع التعدي والإرهاب .

---

(١) سورة النحل ١٢٧.

(٢) سورة فصلت ٣٤.

(٣) سورة المؤمنون ٩٦.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧.

سرايا السلام

لقد قام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة إلى المدينة بأرسال سرايا من أصحابه للقرى والمدن للدعوة إلى الله ونبذ الشرك ولهدم الأصنام ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

ويمكن تقسيمها تقسيماً استقرائياً بلحاظ عدد ووظائف هذه السرايا :

الأول : السرايا قبل صلح الحديبية .

الثاني : السرايا بعد صلح الحديبية الذي تم في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة .

الثالث : السرايا بعد فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

والجامع المشترك بين هذه السرايا هو إعلاء كلمة التوحيد وهداية الناس إلى الإيمان وبناء قواعد السلم الأهلي ، والأمن العام .

وفي السنة التاسعة للهجرة أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام ومعه (١٥٠) من الأنصار على إبل بعددهم لهدم صنم قبيلة طي واسمه الفُلُس ، وبعث معه راية سوداء ولواء أبيض فشنوا الغارة مع الفجر .

وجرت مقاومة حول الفلس من زواره وعماره سرعان ما انتهت فهدموا الفلُس وحرقوه (ووجدوا في خزانة الفلس ثلاثة أسياف رسوب والمخذم وسيف يقال له اليماني وثلاثة أدراع)[2].

و(قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَحَدّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنّ رَسُولَ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلّمَ بَعَثَ إلَيْهَا عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَهَدَمَهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا سَيْفَيْنِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الرّسُوبُ وَلِلْآخَرِ الْمِخْذَمُ . فَأَتَى بِهِمَا رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلّمَ فَوَهَبَهُمَا لَهُ فَهُمَا سَيْفَا عَلِيّ عليه السلام)[3].

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) عيون الأثر ٢/٢٤١.

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ١/٨٧.

وهرب عدي بن حاتم إلى الشام ، ووقعت أخته سفّانة في السبي ، واستعمل الإمام علي عليه السلام على السبي أبا قتادة على السبي وعبد الله بن عتيق على الماشية والرثة [١] .

ولما وصلوا إلى المدينة أنزل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السبي في حظيرة أمام المسجد ، ولما مّر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم قامت سفّانة وكَلَمته وكانت فصيحة اللسان .

وعن الإمام علي عليه السلام أنها قالت (يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط وأنا ابنة حاتم طيىء .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مؤمنا لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله تعالى يحب مكارم الأخلاق فقام أبو بردة بن ينار فقال يا رسول الله والله يحب مكارم الأخلاق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق)[٢].

لبيان قانون التنزه عن الإرهاب والظلم طريق إلى الجنة ، وقانون الإرهاب برزخ وحاجب عن الأمن في عالم البرزخ ويوم القيامة .

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (القبرُ روضةٌ من رياض الجنة أو حُفرةٌ من حُفَر النيرانِ)[٣].

---

(١) الرثة : المتاع .

(٢) البداية والنهاية ٢/٢١٣.

(٣) تفسير ابن السعود ٢/٥.

الرد الحسن على الإساءة

يحتمل الرد على الإساءة وجوهاً :

الأول : رد الإساءة بمثلها أو أشد منها .

الثاني : الصبر والحلم وكف الجوارح بالإمتناع عن الرد .

الثالث : الرد بالأحسن مثل الرد بالسلام والهبة والهدية والثناء ، وهو حسن ، ولكنه ثقيل على النفس الإنسانية ، فجاءت الآية أعلاه لتجعله سهلاً على النفس ، ويقصده المسلمون بشوق طلباً للأجر والثواب لتتجلى منافع الرد بالأحسن في الصلاح والمودة بين الناس ، وإطلاعهم على إعجاز القرآن ، والمعجزات الحسية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الدفع بالأحسن الإمتناع عن الثأر القتل .

وصحيح أن حكم الآية عام إلا أن من دلالات توجه الخطاب والأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بقوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] دعوة للمسلمين والناس جميعاً لقراءة مصاديق عملية لهذه الآية في سيرة وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم القولي والفعلية ، فكان يصبر على أذى المشركين ، ويمتنع عن الدعاء عليهم أو لعنتهم ، وقيل (يا رسول الله ، ألا تلعن قريشاً بما أتوا إليك؟

فقال : لم أبعث لعاناً إنما بعثت رحمة : يقول الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2])[3].

---

(١) سورة فصلت ٣٤.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) الدر المنثور ١١٢/٧.

وفي المرسل عن التابعي ابن التابعي (خالد بن أبي عمران[١] قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو على مضر إذ جاءه جبريل فأومأ إليه أن اسكت فسكت .

فقال يا محمد : إن الله لم يبعثك سباباً ولا لعاناً ، وإنما بعثك رحمة للعالمين ، ولم يبعثك عذاباً ، ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ، ثم علمه هذا القنوت : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ، ولك نصلي ونسجد ، إليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق)[٢].

وهل يحضر الرد بالأحسن في القبر مع صاحبه .

الجواب نعم ، فهو عمل صالح بذاته وأثره لبيان قانون مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الأخلاق ، وهو من الشواهد على الوحي.

إذ استمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بذات نهج الرد بالأحسن حتى بعد سيادة حكم الإسلام وإنقياد قبائل الجزيرة إلى أحكام الشريعة .

قانون الإسلام تثبيت دائم للسلم

لقد كان العرب في الجزيرة يغزو بعضهم بعضاً فتسفك الدماء ، وتسبى الحرائر والصبيان ليباعوا في اليوم الثاني في سوق النخاسة ، وانتشر الوأد عندهم ، وهذه الأمور أسباب للإنقراض ، وشاء الله عز وجل أن يحفظ مجاوري البيت الحرام ، ويشع منه ضياء الرسالة الخاتمة إلى مشارق ومغارب الأرض فتلقاها المشركون بالصدود والعداوة والإرهاب ، فنزل القرآن بلزوم إظهار الصبر والحلم ومكارم الأخلاق وهو من خصائص النبي محمد

---

(١) تولى القضاء في أفريقيا (تونس وما حولها) توفي سنة ١٢٣ هجرية .

(٢) الدر المنثور ٤٠٤/١٠ .

صلى الله عليه وآله وسلم وكان سبباً بدخول طوائف من الناس في الإسلام ونماء ملكة الرحمة ، والميل إلى السلم والصفح ونبذ الخصومة والشقاق.

وهل من موضوعية في هذا الإصلاح لتلاوة المسلمين القرآن خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني في الصلاة ، الجواب .

ولقد حج سبعون ألفاً من المسلمين مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة ، والتي توفى بعدها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بثمانين يوماً .

وقد اتخذ من هذا الموسم مناسبة لبيان أحكام ومناسك الحج وما تدل عليه من الخشوع لله عز وجل ، والإنقطاع لأداء الفرائض العبادية ، واجتناب الإضرار بالناس في معايشهم ونفوسهم .

لقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحرص على إشاعة الأمن المجتمعي ، ويزجر عن سفك الدماء ومما قاله في حجة الوداع ما يدل على حرمة الإرهاب والتعدي ، ومنه ما ذكره أبو بكرة من خطبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ ومنها :

قال (أليس بالبلد الحرام ؟ قلنا: بلى.

قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت ، قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلَغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[1].

وتقدير قوله (فرب مبلغ أوعى من سامع) أي رب أناس من الأجيال اللاحقة من المسلمين يتلقون أحكام التنزيل من السنة النبوية ومضامين خطبة حجة الوداع فيعملون بها وينتفعون منها أكثر من الذي سمعها .

---

(١) السير النبوية لابن كثير ٣٨٨/٤.

وفيه ترغيب ودعوة للعلماء وعامة المسلمين لتوثيق السنة النبوية ، ونشر أحكام القرآن والعمل بها ، وفيها إصلاح للمجتمعات ، ومنع من سفك الدماء والإرهاب .

وقال فيها أيضاً (فَلَا تَظْلِمُنّ أَنْفُسَكُمْ اللّهُمّ هَلْ بَلّغْت ، فَذُكِرَ لِي أَنّ النّاسَ قَالُوا : اللّهُمّ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلّمَ : اللّهُمّ اشْهَدْ)[1].

والتعدي على الحقوق والممتلكات العامة والخاصة من ظلم الإنسان لنفسه وغيره ، فجاءت السنة النبوية بالتأكيد على الزجر عنه أمس واليوم وغداً .

تحريم الإرهاب / بحث أصولي

ضد التحريم الواجب والجواز والإذن والرخصة والإباحة والبراءة والسماح والتحليل ، لبيان أن أضداد التحريم هي الأكثر ، وفيها تخفيف ، وبيان لقانون الدار الدنيا دار الإباحة والحلية إلا ما دل الدليل على حرمته والنهي عنه .

والتحريم في الإصطلاح هو خطاب الشرع الذي يدل على طلب الإمتناع والكف عن الفعل بدليل قطعي أو ظني ، ويترتب على عدم الإمتناع والكف عن المحرم العقاب .

ومنها التحريم المتعدد في قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

---

(١) الروض الأنف ٣٨٣/٤.

(٢) سورة الأنعام ١٥١.

والخطاب في هذه الآية عام للناس جميعاً ، وتبين ستة من الأمور المنهي عنها ، وهل يدخل معها الإرهاب ، الجواب نعم ، لما فيها من النهي عن سفك الدماء بالإضافة إلى أن القيام بالفعل الإرهابي إضرار بالوالدين وإيذاء لهما .

وفي آية أخرى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والنسبة بين البغي والإرهاب عموم وخصوص مطلق .

وفي حرمة التوحش ورد (عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء ، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً)[2].

لبيان قانون من المشتركات بين الناس في التحليل والتحريم ، فتضمنت الآية تحريم كل من :

الأول : الشرك بالله .

الثاني : عقوق الوالدين ، وإيذاؤهما ، قال تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3].

الثالث : قتل الأولاد ، والنسبة بينه وبين الوأد عموم وخصوص مطلق ، فقتل الأولاد أعم .

الرابع : الاقتراب من الفواحش الظاهرة كالسرقة ، والمراد من الاقتراب اتيان مقدماتها .

الخامس : اجتناب الفواحش الخفية كالزنا .

---

(١) سورة الأعراف ٣٣.

(٢) الدر المنثور ٤٣٦/٢.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

السادس : قتل النفس التي حرم الله عز وجل ، ومنه التفجيرات العشوائية والإرهاب الذي يؤدي إلى القتل وسفك الدماء ، والثأر بقتل غير القاتل.

وجاء الإستثناء بالحق مثل القصاص بأمر الحاكم الشرعي .

وهذه الآية من سورة الأنعام وهي مكية لذا ورد عن الضحاك في الآية أعلاه (كان المشركون من أهل مكة يغتالون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : من قتلكم من المشركين ، فلا يحملنكم قتله إياكم على أن تقتلوا له أباً ، أو أخاً ، وأحداً من عشيرته ، وإن كانوا مشركين فلا تقتلوا إلا قاتلكم)[١].

لبيان نهي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل أي إنسان وإن كان مشركاً بالله عز وجل ، والمراد من المشرك هو الذي يعبد الأوثان واتخذها شركاء مع الله ، لبيان النهي عن قتل المسلم والكتابي من باب الأولوية القطعية .

وتتعدد ألفاظ التحريم شرعاً منها النهي والإجتناب كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، ويدل قوله تعالى ﴿رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾، على إرادة الحرمة وليس الكراهة .

بالإضافة إلى آيات أخرى تدل على حرمتها ، أما الكراهة والتي تلتقي مع التحريم في نهي الشارع عن متعلق كل منهما ، وليس من عقوبة على الذي يأتي المكروه من قبل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أما أنا فلا آكل متكئاً)[٣].

وأفردت في رسالتي العملية (الحجة) باباً لكل من :

---

(١) الدر المنثور ٦/٢٧٠.

(٢) سورة المائدة ٩٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٥/١٥٦.

الأولى : مكروهات الوضوء[١].

الثانية : مكروهات الصلاة[٢] .

الثالثة : مكروهات الصيام[٣].

وذكرت في رسالتي (مناسك الحج) مكروهات الإحرام منها الإحرام بالثياب واللباس الذي يوجب السترة ، والإحرام بالثياب السود[٤]، ودخول الحمام وتدليك الجسد فيه ، والمزاح بالجوارح خشية سقوط الشعر أو الجرح والإدماء ، ولتعلق الأمر بالنسك والعبادة والإنقطاع إلى الله عز وجل.

ويدل على تحريم الإرهاب الكتاب والسنة والإجماع ، كما يمكن استقراؤه من مفهوم سنة السلم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وسعيه للصلح مع المشركين .

وليس في هذا الزمان مشركون عبدة أوثان ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٥] مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بسنن وقواعد السلم المجتمعي ، ونبذ الحروب والإقتتال ، وتدل السنة القولية والفعلية على اجتناب التعرض للأخطار وما لا تعتاده النفوس من المنفرات .

وقد أخبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قانون الحج جهاد ، إذ ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يذكر حج بيت الله الحرام قال (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو أحد الجهادين هو جهاد الضعفاء

---

(١) رسالتي العملية (الحجة) ج١ ص٥٧.

(٢) رسالتي العملية (الحجة) ج٢ ص ٤٠ .

(٣) رسالتي العملية (الحجة) ج ٢ ص ١٩٦.

(٤) أنظر كتابنا الموسوم مناسك الحج ص ٩٨.

(٥) سورة الحشر ٧.

ونحن الضعفاء، أما انه ليس شئ أفضل من الحج إلا الصلاة في الحج ، ها هنا صلاة وليس في الصلاة حج)[١].

لبيان أن موضوع الجهاد لا ينحصر بالدفاع إنما يشمل العبادة والزهد وتحمل الأذى في طاعة الله من غير إساءة إلى أحد من الناس ، ويتجلى قانون الإرهاب حرام بالحرمة التكليفية والقانونية والعرفية المجتمعية.

وقد تقدم ذكر وجوه النسبة المنطقية بين النهي والتحريم في الجزء الخامس والستين بعد المائتين[٢].

رسالة الرحمة حرب على الإرهاب

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣].

من خصائص الأنبياء مجئ كل واحد منهم بالمعجزة التي تدل على صدق نبوته ، ومن خصائص هذه المعجزة تعدد أفرادها ومصاديقها ، فمثلاً ناقة صالح كانت ترد الماء يوماً ، وإبل وأنعام القوم يوماً ، ولكنها حينما ترد الماء يكفي حليبها القرية كلها في ذات يومها .

حتى الذي ليس له أنعام يحتلب منها ، مما يدل على قانون انتفاع الجميع الغني والفقير من المعجزة .

ليتجلى الإعجاز في كل يوم ، فمن لم ير أنها خرجت من صخرة صماء بناء على طلب قوم صالح يرى المعجزة تتكرر كل يوم .

وهل كان قتل الناقة من الإرهاب ، الجواب نعم ، فجاءهم العذاب لبيان أن عاقبة الإرهاب سبب للضرر الخاص والعام ، قال تعالى ﴿فَقَالَ لَهُمْ

---

(١) علل الشرائع ٢/٢٤٧.

(٢) أنظر الجزء (٢٦٥) من هذا السِفر المبارك ص ٢٩٧.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[١] وكذا ذات التعدد المعجز بالنسبة لعصا موسى عليه السلام.

لقد ورد لفظ (كذبوه) بالإفراد والتثنية عشر مرات في القرآن ، كلها بخصوص تكذيب الناس للأنبياء .

فانعم الله عز وجل على الناس برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء بالمعجزة العقلية وهو القرآن ليكون حجة مصاحبة للأجيال وسبيل هداية ، ولا يستطيع فرد أو جماعة أو سلطان إزاحة آياته وسوره من القلوب والمصحف ومنافعه في المجتمعات ، ويتجلى التحدي السماوي بقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢].

فبعد أن انكر أكثر الناس المعجزات الحسية للأنبياء تفضل الله بالمعجزة العقلية الخالدة وهو القرآن فيتلو المسلمون والمسلمات آيات القرآن خمس مرات في اليوم.

وهل هذه التلاوة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، والحرب على الإرهاب ، الجواب نعم من وجوه :

الأول : تلاوة المسلمين القرآن خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني رحمة وباعث للرأفة بين الناس .

الثاني : قانون تعاهد المسلمين لتلاوة كلام الله خمس مرات كل يوم في مشارق ومغارب الأرض ، وليس من أمة من الأولين والآخرين رزقها الله هذه النعمة .

الثالث : قانون انقطاع المسلمين إلى الذكر برزخ دون الإرهاب ، فاعلاً أو متلقياً للفعل الإرهابي .

(١) سورة الشمس ١٣-١٥.

(٢) سورة الحجر ٩.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

الرابع : عمل المسلمين بأحكام القرآن وما فيه من الحلال والحرام حصانة من الإرهاب .

فمن خصائص قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] الحجب الواقية التي يجعلها الله عز وجل على المؤمن والطائفة المنقطعين إلى الله عز وجل وكأنهم يعتزلون الدنيا ، ويعزفون عن السباق على زينتها ، وما فيها من السلطان والجاه ، قال تعالى ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[٢].

لبيان قانون حرمة الإرهاب مع الذين لم يقاتلوا المسلمين سواء كانوا مسلمين أو أهل كتاب أو غيرهم من ملل أهل الأرض.

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣] السنة النبوية القولية والفعلية وما فيها من الرحمة والعفو والرأفة ، قال تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤].

لبيان محاسن الأخلاق التي يتصف بها النبي قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥]، ترى لماذا لم يكن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جافي قاسي القلب .

الجواب لأنه لا يتكلم ولا يفعل إلا ما أمره الله عز وجل به ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]، وفيه وجوه :

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة النساء ٩٠.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة آل عمران ١٥٩.

(٥) سورة القلم ٤.

الأول : قانون الوحي رحمة عامة .

الثاني : قانون سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهاج مبارك ، يتوارثه المسلمون في كل زمان .

الثالث : قانون السنة النبوية واستحضارها واقية من الإرهاب والظلم والعنف والتعدي .

وهو يدل قانون الوحي رحمة على حرمة الإرهاب ومنافاته للسنة النبوية ، الجواب نعم .

العصمة من الجفاء

لقد كانت سيرة وأخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ترجمة عملية للقرآن بطيب الكلام وطلاقة الوجه ، وكظم الغيظ والمبادرة إلى العفو والصفح من غير شروط .

و(عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحسن الناس خلقا.

وعن عطاء ، عن ابن عمر : قيل: يا رسول الله، أيّ المؤمنين أفضل ، قال : أحسنهم خلقا)[٢].

و(عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اتقِ الله حيثما كنت ، واتبعِ السيئة الحسنة تمحُها ، وخالقِ الناس بخلق حسن)[٣].

ويتجلى قانون عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الجفاء والغلظة بالوحي ويدل عليه أول الآية ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٤]، فمن رحمة الله عز وجل السنة النبوية وما فيها من الصلاح والإصلاح .

---

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) الدر المنثور ٣٤٤/٦ .

(٣) الدر المنثور ٤٣٦/٢ .

(٤) سورة آل عمران ١٥٩.

وهل قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾(١)(٢)، من رحمة الله في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجواب نعم من جهات :

الأول : من رحمة الله بعث الخوف والرعب في قلوب الذين يحاربون الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : من مصاديق رحمة الله برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منع محاربة المشركين له .

الثالث : تفضل الله عز وجل بالقاء الرعب في قلوب المشركين سبب لإنحسار وجاهتهم وسلطانهم .

الرابع : إزاحة الموانع دون تدبر الناس في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به من المعجزات .

الخامس : إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا بالنبوة والتنزيل حرب على الظلم ، واستئصال للإرهاب .

السادس : يدل قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾(٣)، على سلامة المسلمين من الفزع والرعب ، للتضاد بينهم وبين المشركين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٤) .

---

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) أنظر الجزء الثالث والعشرين بعد المائة من هذا السِفر والذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

(٤) سورة البقرة ٦٢.

وهل الآية أعلاه دعوة للمسلمين لإجتناب الظلم والتنزه عن الإرهاب ، الجواب نعم ، فهم في غنى عنه ، ولا يلجأون إليه ، إنما يتبعون منهاج وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العفو والمغفرة والرحمة للناس جميعاً .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كريماً ينفق ما يأتيه عطاء من لا يخشى الفقر .

وعن أنس قال (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه)[1].

وقوله على الإسلام أي من أجل الإسلام ونفعه الخاص والعام .

قال أنس (ما سئل رسول الله شيئا إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى أهله فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

وإن كان الرجل ليجئ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يريد بذلك إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه من الدنيا وما بينها)[2].

و(عن يسار بن الحكم قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزمن العراق ، وكان معطاء كريماً ، فقسمه بين الناس ، فبلغ ذلك قوماً من العرب ، فقالوا : أنأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنسأله ، فوجدوه قد فرغ منه ، فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾[3] قال : محبوسة ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ يلومك الناس ﴿مَحْسُورًا﴾ ليس بيدك شيء .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن المنهال بن عمر وقال : بعثت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابنها فقالت : قل له اكسني ثوباً ، فقال : ما

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٣٩/١ .
(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٤٩/٧ .
(٣) سورة الإسراء ٢٩.

عندي شيء ، فقال : ارجع إليه فقل له اكسني قميصك ، فرجع إليه فنزع قميصه فأعطاه إياه ، فنزلت ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾[١])[٢].

قانون الرحمة العامة معجزة خاصة

لقد رزق الله عز وجل كل نبي من الأنبياء معجزة حسية متحدة أو متعددة مما هو أهم علم أو فن فيه شرف ورفعة في زمانهم بما يعجز معه أولو الصنعة الإتيان بمثلها .

فمثلاً كان قوم فرعون يولون عناية فائقة بالسحر فجاء موسى بعصاه التي ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[٣].

وكان الناس أيام عيسى عليه السلام مشغولين بالطب وإكرام الطبيب الحاذق فجاء عيسى بعلاج الأمراض المستعصية بإذن من الله عز وجل ، كما ورد في التنزيل ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤].

ولم يرد لفظ ﴿الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ في القرآن إلا مرتين بخصوص معجزات عيسى عليه السلام ، والأكمه الذي يولد أعمى ، وهو المشهور و(البرص) مرض جلدي يصعب الشفاء منه .

وكان عيسى يشفي المرضى بدعائه ، والمسح بيده على العلة والداء

---

(١) سورة الإسراء ٢٩.

(٢) الدر المنثور ٦/٢٦٤ .

(٣) سورة الأعراف ١١٧.

(٤) سورة آل عمران ٤٩.

أما إحياء الموتى فكان يضرب بعصاه الميت أو القبر فيحيى الإنسان ويكلمه ، وقد أحيا عيسى عليه السلام أربعة أنفس.

واختلف بالذي يحييه عيسى عليه السلام هل يعود ميتاً سريعاً أم يبقى مع الأحياء ، والمختار المستحدث هو التعدد والتباين ، ومنهم من يعود ميتاً كما في سام بن نوح ، وقال وهب بن منبه (دعا عيسى عليه السلام بِاسم اللّه الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه. فقال : قد قامت القيامة.

قال : لا ولكني دعوتك باسم اللّه الأعظم. قال : ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزّمان. وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب،

ثم قال : مُت. فقال : بشرط أن يعيذني اللّه من سكرات الموت. فدعا اللّه عز وجّل ففعل)[1].

ومنهم من يبقى حياً ويولد له والله واسع كريم يهب بالأوفى والأتم والأحسن ، وهم الأكثر أي ثلاثة من مجموع أربعة ، إذ أحيا عيسى عليه السلام العازر إذ ورد عن وهب (وكان عازر صدّيقاً فأرسل أخته إلى عيسى أنّ أخاك عازر يموت فأته وكان بينه وبين داره ثلاثة أيّام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيّام .

فقال لأخته : انطلقي بنا إلى قبره ، فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة. فقال عيسى : اللهم ربّ السماوات السّبع و الأرضين السّبع ، إنّك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك ، وأُخبرهم أنّي أُحيي الموتى بإذنك فأحيي عازر. قال : فقام عازر وودكه تقطر.

فخرج من قبره وبقي وولد له.

وابن العجوز مُرّ به ميّتاً على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا اللّه عيسى عليه السلام فجلس على سريره ونُزّل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له.

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٨٤/٣.

والبنت العاقر قيل له : أتُحييها وقد ماتت أمس ، فدعا اللّه فعاشت فبقيت وولد لها)[١].

لبيان سعة فضل الله عز وجل وإقامة الحجة على الناس بتعدد وكيفية المعجزة التي يأتي بها النبي من عند الله عز وجل واستدامة المعجزة الحسية فترة من الزمن ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

ومن معاني قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، تجدد مصاديق التراحم بين المسلمين ، وبينهم وبين الناس إلى يوم القيامة ليتجلى قانون التضاد بين الإرهاب والتراحم بين المسلمين والناس جميعاً ، وتدل الآية أعلاه على سيادة أحكام التنزيل وإنقطاع الظلم والإرهاب .

الشورى سلم

قال الله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٤].

هل الإنتخابات في هذا البلد أو ذاك أمس واليوم وغداً من مصاديق هذه الآية ، الجواب نعم ، والآية وأن وردت بصيغة الجملة الخبرية فانها تدل على الإنشاء والأمر إذ أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، قال تعالى في خطاب وأمر إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥].

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٨٣/٣ .

(٢) سورة آل عمران ١٧٥.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة الشورى ٣٨.

(٥) سورة آل عمران ١٥٩.

قوله تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ أي أشغلكم عما يجب عليكم ومنه التدبر فيما جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المعجزات الباهرات ولأن واجب الناس هو عبادتهم لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

والتكاثر المكاثرة ، وجمع الأموال وتعدد الأملاك والتباري والتباهي بالمال والأولاد والجاه ومتاع الدنيا.

والمقابر : جمع قبرة ، وهي الموضع الجامع للقبور .

وقوله تعالى ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[(٢)] كناية عن الموت ، ، ولم يرد لفظ (زرتم) في القرآن إلا في الآية أعلاه .

قال (ابن السكيت: زُرْته زَوراً وزيارة وزُوارة وازدرْته - أتيته)[(٣)].

أي أن معنى الزيارة يشمل المجئ والقصد .

فمع أن النبي محمداً لا ﴿يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[(٤)]، فقد أمره الله بمشورة أهل بيته وأصحابه رجالاً ونساءً لبيان قانون انتفاء التزاحم أو التعارض بين الشورى وبين الوحي وأن النبوة تتضمن الإنصات لأقوال المؤمنين وعامة الناس ، وقانون إشاعة لغة الحوار والإحتجاج.

ومع أن لفظ (شاورهم) و(شورى) لم يرد في القرآن إلا مرة واحدة فقد سميت سورة كاملة من القرآن باسم سورة الشورى وهي مكية أي نزلت قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة لبيان تأسيس الشورى في الإسلام من بدايات الدعوة لموضوعيتها ونفعها العام .

---

(١)سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة التكاثر ٢.

(٣) المخصص ٣/١٠٣.

(٤) سورة النجم ٣-٤.

محاربة النبي (ص) للإرهاب

و(عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت علي ثالثة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما يواري ابط بلال)[١].

لقد صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أذى الكفار مع شدته ، ولم يرد عليهم .

وعندما تم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة سلماً من غير قتال يعتد به ، أعطى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أماناً عاما للناس.

وقال (من أغلق بابه فهو أمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن)[٢].

فمع شدة إيذاء أبي سفيان للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الأوائل ،وتجهيزه الجيوش لقتالهم فان النبي محمداً أعطى الأمان له ولمن دخل بيته ، لتكون رسالة أمان لكل أهل مكة بالأولوية القطعية ، وفيه دعوة رسالية إلى الصحابة من المهاجرين والأنصار والذين دخلوا الإسلام يوم الفتح وما بعده لإجتناب القتل والثأر والإنتقام .

وهل فيه حض لأجيال المسلمين على إجتناب الإضرار بالناس بالقتل أو الجرح أو تلف الأموال ، الجواب نعم ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣].

وفيه أيضاً دعوة لهم لنشر الأمن وإجتناب البطش والعنف أو ايجاد الأسباب له.

---

(١) الدر المنثور ٢٨/٨.

(٢) أنظر سيرة ابن هشام ٤٠١/٢ .

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

النفاق نشوءً وإضمحلالاً

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١).

النفاق لغة إخفاء خلاف الظاهر ، بمعنى وجود تضاد بين ظاهر الإنسان وباطنه في القول والفعل ، أصله من نافقاء اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب خفي ، فنعت به المنافق لأنه يدخل الإسلام علانية ، وهو في باطنه يخفي معاني الخروج عن الإسلام.

والنفاق في الإصطلاح هو الإضمار في القلب بخلاف ما يعلنه من الإيمان ، والتباين بين ظاهره الحسن بصفة الإيمان ، وباطنه السئ ، فهو يحضر صلاة الجماعة مع المسلمين ولكنه يضمر الشك والريب .

وقد يخرج في الكتائب على الظاهر وطمعاً في الغنائم .

ولا يعلم التباين بين ظاهر وباطن الإنسان إلا الله عز وجل ، ليدل فضح القرآن للمنافقين على صدق نزوله من عند الله عز وجل ، وقد نعتهم الله بالكذب في آيات عديدة منها ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة ٦٧.

(٢) سورة التوبة ١٠٧.

(٣) سورة الحشر ١١.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(١).

إذ يعلنون بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التصديق برسالته ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

إذ كانوا يخفون الكفر ، كما يظهرون الشك والريب في منتدياتهم ، والمختار المستحدث أن النفاق من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً من جهة ما يخفيه المنافق من الكفر أو الشك أو الريب .

ولم يكن النفاق موجوداً قبل هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا في السنة الأولى للهجرة ، إنما حدث بعد معركة بدر ، وصيرورة المسلمين في حال من القوة والمنعة ، فاظهر بعضهم الإيمان وهو لا زال في شك وإنكار للمعجزات وحسد فاخبر الله عز وجل عنهم .

وقد يظن الإنسان انحصار النفاق بالرجال وهو المتبادر خاصة بلحاظ العادات آنذاك وخصائص المجتمع القبلي ، فتفضل الله عز وجل وذكر المنافقات أيضاً خمس مرات في القرآن بصيغة الذم والوعيد لتنزيه بيوت المسلمين من النفاق .

وتوعد الله المنافقات بسوء العاقبة بدخول النار واللبث الدائم فيها ، قال تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾(٢).

ووردت سورة في القرآن باسم سورة المنافقين لبيان صفاتهم وذمهم كما تضمنت سورة التوبة فضحهم وتعيين خصالهم المذمومة ليحذر عامة المسلمين منهم ، لذا فمن أسماء سورة التوبة (الفاضحة) لهتكها أستار المنافقين ، وورد فيها لفظ (منهم) عشر مرات في بيان صفاتهم ، أربعة منها

---

(١) سورة المنافقون ١.

(٢) سورة التوبة ٦٨.

باضافة حرف العطف الواو (ومنهم) لبيان أن ذكر المنافقين في هذه السورة أكثر من هذه العشرة.

ومنها ما تضمن نهي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن إكرام المنافقين عند موتهم ، قال تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١).

و(عن جابر قال : مات رأس المنافقين بالمدينة ، فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكفنه في قميصه ، فجاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أبي أوصى أن يكفن في قميصك ، فصلى عليه وألبسه قميصه وقام على قبره ، فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾(٢))(٣).

ثم نزلت العزمة والبيان العام في سورة المنافقين بقوله تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٤).

فقد نزل القرآن بإنذارهم المقرون بالإصلاح ، وكان تثبيت قواعد الإيمان في المجتمعات سبباً لاستئصال النفاق ومن أسرار عدم ذكر القرآن لأسمائهم دعوة الله عز وجل لهم بالتوبة والإنابة ، وتوبة الكثير منهم ولأن أحكام الآية القرآنية متجددة إلى يوم القيامة .

لقد تحمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأذى الشديد من كفار قريش ونزل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(١).

---

(١) سورة التوبة ٨٤.

(٢) سورة التوبة ٨٤.

(٣) الدر المنثور ١٣٢/٥ .

(٤) سورة المنافقون ٦.

وهذه الآيات من سورة الحجر وهي سورة مكية ليصبح الأذى بعد الهجرة مضاعفاً ومتعدداً فيأتي من قريش وحلفائهم باصرارهم على القتال وغزو المدينة كما في معركة بدر وأحد ، والخندق ، ويأتي من داخل المدينة بنشوء فئة المنافقين .

لبيان الإعجاز في نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم مجتمعين ومتفرقين باتخاذه سلاح الصبر والتحمل واللجوء إلى الإنقطاع إلى العبادة وأداء الفرائض العبادية هو وأصحابه ، وتوالي نزول آيات القرآن .

وفيه دعوة لكل مسلم للتنزه عن التعدي والإنتقام والثأر وصيغ الإرهاب ، وهذا التنزه من مصاديق الأسوة في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢].

لقد كان المنافقون أفراداً ومن معجزات القرآن والنبوة الغيرية توبة أكثرهم بتوالي نزول آيات القرآن ، ونصر النبي محمد بالمعجزة .

إذ تضاءل النفاق مع تقدم الأيام ، وهو من الحكمة بعدم قيام النبي محمد بقتلهم بل صبر عليهم.

العزة لله سبحانه

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً بلواء التوحيد ، وآتاه المعجزة العقلية وهو القرآن ، وأجرى على يديه المعجزات الحسية ، فآمن به رهط من الناس في مكة وحاربه المشركون بالقول والفعل وتمسكوا بالشرك وعبادة الأوثان وتجاهروا بتكذيب الرسالة ، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٣] ، وفيه مواساة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين للصبر في سبيل الله ، وتحمل الأذى من غير انتقام وبطش ، والله

---

(١) سورة الحجر ٩٧-٩٩.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) سورة يونس ٦٥.

عز وجل يعلـم أن الشرك في الجزيرة إلى زوال ، وأن المشركين سيكونون على أقسام :

الأول : الذي يدخل الإسلام .

الثاني : الذي يموت على الكفر .

الثالث : الذي يقتل كافراً في حربهم على النبوة والتنزيل ، ومنهم سبعون في معركة بدر ، واثنان وعشرون في معركة أحد .

والأكثر عدداً هو القسم الأول أعلاه ، ومن الشواهد عليه حينما خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة في السادس من شوال من السنة الثامنة بعد فتحها ومعه أصحابه وعددهم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار ، خرج معهم ألفان من مسلمة الفتح ، وهل هو معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم ، وفيه مصداق للآية أعلاه بأن العزة لله عز وجل ودعوة للمسلمين للزوم الصبر في ملاقاة الأذى من غيرهم من أهل الملل والنحل .

لقد نعتوا النبي محمداً بأنه ساحر وأنه مجنون ، وضربوا الحصار على بني هاشم ثلاث سنوات ليسلموا لهم النبي محمداً فأبوا عليهم .

ويدل قوله تعالى ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، أن القوة الكاملة والقدرة التامة لله وحده ، وهو القادر على كل شئ ، وهو الذي له القوة على نحو الإطلاق ، وفي التنزيل ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

ومن معاني آية العزة لله وحده منع المؤمنين من العنف والإرهاب ، والحرب على الذين كفروا بذريعة تعظيم شعائر الله أو الجهاد في سبيله ، ويدل عليه ما ورد (عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل ، فيقول : يا رب هذا قتلني . قال : لمَ قتلته؟ فيقول لتكون العزة لك . فيقول : فإنها لي .

(١) سورة يونس ٦٥.

(٢) سورة البقرة ١٦٥.

ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول : يا رب قتلني هذا . فيقول الله : لمَ قتلت هذا؟ فيقول : قتلته لتكون العزة لفلان . فيقول : إنها ليست له ، بؤ بإثمه)[1]، وفيه مسائل :

الأولى : قانون قبح سفك الدماء .

الثانية : الإنذار من القتل بغير حق .

الثالثة : جاء الحديث بذكر الرجل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (الرجل آخذ بيد الرجل) لإرادة الغالب في القتل بين الناس ، إذ يشمل القتل على وجوه :

الأول : قتل الرجل للمرأة .

الثاني : قتل المرأة للرجل .

الثالث : قتل الرجل للرجل .

الرابع : قتل المرأة للمرأة .

الرابعة : وجوب الإقرار بالعالم الآخر والوقوف بين يدي الله عز وجل.

الخامسة : من مصاديق قوله تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2]، بخصوص الآخرة معرفة المقتول لقاتله ، وإن كان القتل غيلة وغدراً ومباغتة أو في الحروب العامة ، ومجئ سهم غارب ونحوه مما لا يعرف راميه .

السادسة : تحريم العنف والإرهاب والقتل بدعوة العزة لله ،

السابعة : لا أصل لاقتران الإيمان بالعنف والقتل ، وهو الأول والآخر وهو الرزاق ذو القوة المتين .

الثامنة : إقامة الحجة على القاتل يوم القيامة وإبطال حجته بأن القتل في سبيل الله .

---

(١) الدر المنثور ٣/١٩٩ .

(٢) سورة ق ٢٢.

التاسعة : الله عز وجل لا يرضى أن يُقتل الناس في سبيله وطلباً لعزته ، فهو العزيز في كل الأزمنة وخارج الزمان ، وفي التنزيل ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[1].

العزيز من الأسماء الحسنى

أسماء الله عز وجل توقيفية من الكتاب والسنة ، والله أعلم بنفسه وعظمته وسلطانه ، ولا يصح تحريف أو تعطيل أو تكييف الأسماء الحسنى ، ومن خصائص المسلمين تلقي أسماء وصفات الله عز وجل بالقبول والرضا والغبطة ، والتوجه بالدعاء بها ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

ومن منافع الدعاء رقة القلب ، ونماء ملكة الرحمة والرجاء بالإصلاح .

ورد اسم الله (العزيز) نحو سبع وثمانين مرة في القرآن ، كما ورد مرة واحدة بلفظ رب العزة .

والعزيز لغة هو القوي الشديد الذي لا يغلب.

ومن معاني (العزيز) :

الأول : المنيع الذي لا يغالب

الثاني : القاهر للخلائق .

الثالث : القوي الذي لا نظير له .

والله هو العزيز في كل الأحوال والأزمنة وخارج الأزمنة قال تعالى ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[3].

وقد أخبر القرآن بالعزة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أيضاً كما في قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] بما يفيض عليهم الله عز وجل من عزته ولطفه .

---

(١) سورة فاطر ١٠.

(٢) سورة الأعراف ١٨٠.

(٣) سورة النساء ١٣٩.

فتكون هذه العزة زاجراً عن الظلم والتعدي.

والله هو العزيز في الدنيا وفي الآخرة ، فلا يصح لأحد من العباد القيام بالعنف والإضرار بالناس طلباً للعزة لله .

ويبين الحديث النبوي المتقدم أن الله عز وجل يؤاخذ على هذا العمل ، ويحاسب القاتل كما لو كان القتل من أجل الدنيا ، كما ورد لفظ العزيز في وصف القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[٢] لبيان أن كلام الله معصوم من التحريف والزيادة والنقصان .

لقد أخبر الله عز وجل بأن الغلبة له وللرسل ، وأنه قاهر الذين كفروا ، قال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٣].

وتبعث الآية السكينة في نفوس المؤمنين بتحقق النصر في الميدان بفضل ومدد من الله عز وجل وفي الأحكام والسنن من غير أن تصل النوبة إلى الظلم والإرهاب ، ويبعث تعدد وكثرة اسم (العزيز) لله عز وجل في القرآن الناس للخضوع لله والإقرار بأنه القاهر ، وتفويض الأمور له سبحانه.

من قتل نفساً بغير نفس

من آيات اللطف الإلهي في آيات القرآن زجرها عن الظلم وعن القتل ، لقد كان القتل شائعاً في الجزيرة العربية وبقاع كثيرة من الأرض .

تقع الحروب بين الناس لأسباب شخصية بسيطة فتعطل الأعمال وتصادر وتنهب الأموال ، وتسفك الدماء الكثيرة وتسبى النساء .

وقد يقع القتل بين الأفراد وفي داخل الآسرة الواحدة ، فنزل القرآن ببعث النفرة من القتل ، والإخبار عن شدة عذاب القاتل يوم القيامة وأن مصيره الإلقاء في النار قبل غيره من عامة أهلها .

---

(١) سورة المنافقون ٨.

(٢) سورة فصلت ٤١ .

(٣) سورة المجادلة ٢١.

وورد عن أبي سعيد الخدري قال (يخرج عنق من النار يوم القيامة ، فيتكلم بلسان طلق ذلق ، له عينان يبصر بهما ولسان يتكلم به ، فيقول : إني أمرت بكل جبار عنيد ، ومن دعا مع الله إلهاً آخر ، ومن قتل نفساً بغير نفس ، فتنضم عليهم فتقذفهم في النار قبل الناس بخمسمائة سنة)[1].

لقد أخبر قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾[2]، عن قانون وهو أن قتل فرد واحد من الناس كأنه قتل للناس جميعاً ، ولا يقدر على هذا القول وما يتضمنه من الأحكام والأثر إلا الله عز وجل .

وذكرت الآية أعلاه أن ما فيها من الحكم كتبه وفرضه الله عز وجل على بني إسرائيل وهو عام شامل للناس جميعاً ، وذكر بنو إسرائيل في الآية لإقامة الحجة عليهم ، ولمنعهم من محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإشاعة القتل في الأرض .

وقد وردت آيات أخرى في الإنذار من القتل ، ومنها قوله تعالى ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[3]، وفيه إنذار للذي يقتل الناس بغير حق كالقصاص ، فان الله عز وجل يمكن أولياء المقتول من القتل ولو بعد حين .

والسلطان في قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[4]، أعم من القصاص والثأر .

---

(١) الدر المنثور ٢٩/٦.

(٢) سورة المائدة ٣٢.

(٣) سورة الإسراء ٣٣.

(٤) سورة الإسراء ٣٣.

وهل الذين يقتلون بالعملية الإرهابية ممن جعل الله عز وجل لأوليائهم سلطاناً ، الجواب نعم ، ولا تنحصر الولاية في المقام بالولاية الشخصية بل هي أعم ، وقد تتولى الولاية والأمر دولة أو منظمة ، ويسخر فيها الرجال والأجهزة والأموال ، فلابد من الإحتراز وترك التعدي وقتل الآخرين ، وقتل النفس ظلماً من الكبائر .

وعن (أَنَسَ بْنَ مَالِك قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ الْكَبَائِرَ أَوْ سُئِلَ عَنْ الْكَبَائِرِ فَقَالَ الشِّرْكُ بِاللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَالَ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ قَالَ قَوْلُ الزُّورِ)[1].

ونزل القرآن وجاءت السنة النبوية بتحريم الظلم مطلقاً ، والإنذار بأنه سبب لتأكل الحسنات ، وانتزاعها يوم القيامة من صاحبها .

وعن عبد الله بن مسعود (عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام في أرض العرب ، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك بالمحقرات ، وهي : الموبقات يوم القيامة .

اتقوا المظالم ما استطعتم ، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنه ستنجيه ، فما زال عبد يقوم فيقول : يا رب ظلمني عبدك مظلمة ، فيقول امحوا من حسناته ، ما يزال كذلك ، حتى ما يبقى له حسنة من الذنوب.

وإن مثل ذلك كسفر نزلوا بفلاة من الأرض ، ليس معهم حطب ، فتفرق القوم ليحتطبوا ، فلم يلبثوا أن حطبوا ، فأعظموا النار ، وطبخوا ما أرادوا ، وكذلك الذنوب)[2].

أي أن صغائر الذنوب تجتمع على العبد لأن الله عز وجل يحصي كل شئ ، وأن ظلم الإنسان لغيره مما لا يغتفر .

---

(١) مسند أحمد ٤٢٢/٢٤.

(٢) مسند أبي يعلي الموصلي ٣٨٢/١٠.

(وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتقوا السبع الموبقات الإشراك بالله والسحر وقتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات)[1].

والموبقات هي الكبائر من المعاصي والسيئات .

قانون آيات المدد استئصال للإرهاب

قد تقدم ذكر هذا العنوان في الجزء الثلاثين بعد المائتين ، لقد أنعم الله عز وجل على الناس بالخلافة في الأرض ، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] ومن مصاديق الخلافة في الأرض المدد من عند الله عز وجل بالنبوة والتنزيل وسبل الهداية بما يصلح الناس لأمور الدين والدنيا .

وقد يأتي المدد للفرد والجماعة والأمة ، وهو من فضل الله عز وجل بأن جعل قلوب العباد بيده يقلبها كيف يشاء ، وليس من حصر لمصاديق المدد من عند الله عز وجل ، ومنه المدد والعون لدفع واستئصال الإرهاب ، وفي التنزيل ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[3].

وهل نزول الملائكة من المدد للغلبة على الإرهاب والظلم ، الجواب نعم ، فحينما استنفرت قريش أهل مكة لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة بذريعة تعرضه وأصحابه لقافلة أبي سفيان والتقى الفريقان عند آبار بدر أصرت قريش على القتال لظنها النصر لرجحان كفتها بالعدد والعدة فنزل الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥٠/١.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة المدثر ٣١.

ومن إعجاز القرآن عدم تسميتهم بالجيوش إنما قال ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[١] لبيان أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يقصد القتال ولم يطلبه ، ولا يرتضيه.

ويتجلى قانون كل آية قرآنية نازلة هي مدد من عند الله ، ودعوة للناس للإيمان ، ولكن الذين كفروا أصروا على القتال ، وأغراهم التباين الكبير في العدة والعدد بينهم وبين المسلمين ، إذ يبلغ عددهم أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين ، ويتسع الفارق في العدة والخيل والإبل .

ومنع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه من المهاجرين والأنصار من الإبتداء بالقتال أو رمي السهام .

واجتهد بالدعاء ، فلم ينم ليلة المعركة ، ولكن المشركين أصروا على القتال وأشعلوا الحرب فتفضل الله عز وجل وأنزل ألفا من الملائكة كما في قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٢] ، وفيه زجر للظالمين وشاهد تأريخي بأن التعدي والإرهاب لا يؤدي إلا لخسارة أصحابه أنفسهم وشأنهم .

ومن خصائص القرآن أنه كتاب الرحمة من عند الله ، وهو يدعو إلى التراحم والتآخي بين الناس ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣] فتسخير التعدد في الأعراق والأنساب للتآلف والتوادد بين الناس ، واستدامة الحياة بالأحسن .

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

(٢) سورة الأنفال ٩.

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

ومن خصائص الحياة الدنيا تغشي رحمة الله للناس جميعاً على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ، فكون الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، وأن الآخرة هي دار الحساب والجزاء لم يمنع من توالي رحمة الله على كل فرد وجماعة وأمة .

وفيه دعوة للإنسان لرحمة الآخرين القريب والبعيد ، والإمتناع عن الظلم والإرهاب ، قال تعالى ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾[1].

مواطن استحضار التسمية

قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2].

يأتي المسلم بالبسملة عند الإبتداء بالعمل أو بداية أمر ما مثل أول الصباح لجوءً إلى الله ، وتوكلاً عليه ، وإقراراً بأن علم الغيب وما يقع لنا من جهة أفراد الزمان والمكان لا يعلم به إلا الله تعالى ، لتكون البسملة سبيلاً لتنجز الخير وتوالي النعم ، وواقية من البلاء والفتن ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3].

لقد ابتدأ نزول القرآن بالأمر بالقراءة وطلب العلم والمعارف والإرتقاء في الدين والدنيا في مرضاة الله كما في قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[4].

لتصاحب التسمية المسلمين مجتمعين ومتفرقين في أعمالهم ، وهي حصن من التعدي والإرهاب بذاتها ، وبموضوع القراءة الذي تذكره الآية أعلاه .

ومن مواطن ذكر التسمية في السنة النبوية العملية وجوه :

---

(١) سورة الإسراء ١٠٠.

(٢) سورة العلق ١.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

(٤) سورة العلق ١.

الأول : كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأتي بالبسملة عند قيامه من النوم وعند إرادة النوم أيضاً .

وعن الصحابي حذيفة بن اليمان قال (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك أموت وأحيا وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[1].

لبيان الحاجة إلى شكر الله عز وجل عند أول النوم ، وعند الإستيقاظ ، وعند انتهاء يوم وبداية يوم جديد .

الثاني : عند الإبتداء بالحديث والخطبة عدا خطبة صلاة الجمعة ، والعيدين والإستسقاء والكسوف لورود النص بابتداء كل منها بقول (الحمد لله).

الثالث : كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينطق بالبسملة عند الوضوء .

وبالإسناد عن الصحابي سهل بن سعد الأنصاري الخزرجي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه، ولا صلاة لمن لم يصل على النبي، ولا صلاة لمن لم يحب الأنصار)[2].

ويجمع هذا الحديث بين الوجوب والإستحباب والكيفية النفسانية ، فالوضوء للصلاة واجب ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا

(١) تفسير القرطبي ٢٢٧/١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦١/٦ .

يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

أما ذكر البسملة أو التسمية عند الإبتداء بالوضوء فهو مستحب ، وأما الكيفية النفسانية فهي حب الأنصار ، والإقرار بفضلهم في بناء صرح الإيمان.

الرابع : كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يرّغب المسلمين بالتسمية والبسملة في صباح كل يوم ، ومساء كل ليلة ليتغشى اسم الله عز وجل المسلم وعمله ساعات النهار والليل ، وفيه واقية من الظلم والتعدي.

وعن عثمان بن عفان قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شئ)[2].

لبيان كيفية التسمية في المقام ، والنسبة بين التسمية والبسملة عموم وخصوص مطلق ، فالتسمية أعم ، كما جاءت النصوص بالإتيان بكلمات التوحيد في الصباح والمساء .

و(عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَا أُعَلِّمُكَ قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه .

قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَات وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَات وَإِلَّا كُنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّه عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ مُحَرَّرِينَ وَإِلَّا كَانَ فِي جُنَّةٍ مِنْ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَا قَالَهَا حِينَ يُمْسِي إِلَّا كَذَلِكَ)[3].

---

(١) سورة المائدة ٦.

(٢) النسائي / السنن الكبرى ٩٤/٦ .

(٣) مسند أحمد ١١/٤٨ .

الخامس : التسمية رُقية وعلاج من الآلام ، و(عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعا يجده في جسده فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)[١].

وهذا الدعاء والإستعاذة لا يمنع من مراجعة الطبيب ، والإستعانة بالأسباب.

السادس : الإتيان بالتسمية ذكر لله عز وجل سواء في مناسبة أو من غير مناسبة مع الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله ، لأن آنات الزمان كلها دعاء لذكر الله عز وجل .

السابع : عند الذباحة ، وهي سنة يحرص المسلمون في كل زمان على التقيد بها ، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم ذَبَحَ يَوْمَ الْعِيدِ كَبْشَيْنِ .

ثُمَّ قَالَ حِينَ وَجَّهَهُمَا إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ)[٢].

الثامن : عند دخول المسجد وعند الخروج منه .

التاسع : الستر من الجن عند دخول الكنيف ، وعن الإمام علي عليه السلام (قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم : سِتْرُ مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ)[٣].

---

(١) النسائي / السنن الكبرى ٢٤٩/٦ .

(٢) مسند أحمد ٤٠/٣٠ .

(٣) سنن ابن ماجه ٣٧١/١ .

العاشر : عند الإبتداء بالأكل ، سواء عند الإنفراد أو مع الجماعة ، ومع نسيان المسلم التسمية في أوله يأتي بها إذا ذكرها .

الحادي عشر : عند إدخال الميت القبر ، وهي ساعة يحتاج الميت فيها البسملة عسى أن تكون واقية له من ضغطة القبر وعذاب البرزخ .

(عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا وضعتم موتاكم في القبر فقولوا بسم الله وعلى سنة رسول الله)[١].

وصحيح أن الحديث ورد بخصوص الدفن ، ولكنه تذكير للمسلم بعاقبة الدنيا ، وأنه لابد وأن يغادرها إلى القبر مما يلزم معه التنزه عن البغي والظلم والإرهاب كيلا يلاقيه أحد يوم القيامة يطالبه بمظلمة وينتزع من حسناته ما هو محتاج إليها ، وقد يكون هذا الإنتزاع سبباً لخفة كفة الميزان ، قال تعالى ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[٢].

وقد وردت النصوص بقيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالذكر والإتيان بالبسملة في مواطن عديدة ، وتضمنتها كتب الأذكار ، وهذا الذكر دعوة لكل مسلم لإستحضار ذكر الله عز وجل في كل عمل يقوم به ، ومن معاني هذا الإستحضار الحرص على صحة العمل شرعاً .

ويبعث الحرص على الذكر المسلم إلى الإمتناع عن الحرام ومنه الظلم والتعدي ، لقانون مدرسة الذكر إصلاح ، وقانون ذكر الله باب للهداية ونزول رحمة الله ، وقانون اللجوء إلى ذكر الله واقية من البغي والإرهاب .

---

(١) النسائي / السنن الكبرى ٢٦٨/٦ .

(٢) سورة الأعراف ٩.

نداء الإيمان

لقد اختص الجزء التاسع والخمسون بعد المائتين من هذا السفر بتفسير الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾(١).

ولا يحصي عدد الذين استمعوا لآيات القرآن فآمنوا بالله عز وجل والنبوة إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق قانون القرآن معجزة عقلية ، وقوله تعالى ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾(٢).

ومن خصائص تلاوة القرآن أمور :

الأول :قانون تلاوة القرآن هداية ورشاد.

الثاني : قانون تلاوة القرآن مادة للصلاح ، وفيها البشارة والإنذار .

الثالث : قانون الإستماع والإنصات للقرآن سكينة وأمان ، ومناسبة للثواب.

الرابع : قانون تلاوة القرآن عصمة من الظلم والجور والغلبة بغير حق .

الخامس : قانون تلاوة القرآن حرب يومية على الإرهاب .

فان قلت كيف تكون تلاوة القرآن حرباً يومية على الظلم والتعدي والإرهاب ، الجواب بحضورها خمس مرات في اليوم لتلاوة كل مسلم ومسلمة للقرآن في الصلاة على نحو الوجوب العيني ، ونفاذ معانيها القدسية إلى شغاف القلوب وظهورها على الجوارح بالرفق والإحسان .

السادس : يتجلى بتلاوة القرآن التصديق بنزوله من عند الله عز وجل.

وتدل الآية أعلاه على كفاية سماع الناس للقرآن لإقرارهم بالتوحيد ، ودخولهم الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣.

(٢) سورة الجن ٢٨.

فالمراد من المنادي فيها هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه زجر عن العنف والإرهاب والذي لا يؤدي إلا الى النفرة والصدود والضرر العام سواء من ذات الفعل الإرهابي او من أثره أو رد الفعل القاسي الذي يأتي من الغير.

وهل تقف صفة المنادي في الآية أعلاه عند حال نزول آيات القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي أيام حياته أم أنها متجددة.

الجواب هو الثاني وهي كالخطاب الخاص الذي يكون حكمه عاماً ، ليكون من معانيه وجوه :

الأول : تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن في الصلاة من مصاديق النداء إلى الإيمان .

الثاني : قانون اتخاذ المسلمين تلاوة القرآن دعوة للهداية ، وجذب قلوب الناس ، وصرف أذاهم عن المؤمنين .

الثالث : قانون تلاوة القرآن حضور لأحكام التنزيل ومسائل الحلال والحرام بين الناس .

الرابع : قانون تلاوة القرآن زاجر عن الإرهاب لما في آياته من الدعوة إلى الرحمة والتراحم والرفق والنهي عن الظلم والتعدي .

الخامس : تلاوة المسلمين القرآن كل يوم باعث للصدور عنه في عالم القول والفعل ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

السادس : قانون تلاوة القرآن استئصال للنفاق .

بين التعدي والإرهاب

لقد خاطب الله عز وجل المسلمين على نحو الخصوص بقوله ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١).

وهل يشمل هذا الخطاب غير المسلمين من أهل الكتاب والكفار ، الجواب نعم لوجوه :

---

(١) سورة البقرة ١٩٠.

الأول : القبح الذاتي للتعدي .
الثاني : ترتب العقاب الإلهي على التعدي .
الثالث : قانون التعدي ظلم .

وقد حرم الله عز وجل الظلم بين الناس ، وعن (أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا .

يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[1].

لبيان النهي عن الظلم مطلقاً قليله أو كثيره ، وأزاء الناس جميعاً .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)[2].

والنسبة بين التعدي والإرهاب عموم وخصوص مطلق فالتعدي أعم ، ويكون وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : التعدي حرام .
الصغرى : الإرهاب وإرعاب الناس من التعدي .
النتيجة : الإرهاب وإرعاب الناس حرام .

وهل صيرورة سماع آيات القرآن سبباً متجدداً للإيمان من معاني كون القرآن معجزة عقلية ، الجواب نعم.

وفيه شاهد بأن القرآن معجزة حسية كما أنه معجزة عقلية ، ولم تجتمع هاتان الصفتان في كتاب سماوي إلا في القرآن.

وبه ينفرد عن الكتب السماوية السابقة .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٧٧.
(٢) المحرر الوجيز ٢/٣٢٨ .

قانون الإنصات للقرآن برزخ دون الإرهاب

من الإعجاز العقلي للقرآن أيضاً أنه مع إيمان الإنسان بالتوحيد والنبوة تتوجه إليه الأوامر التكليفية وأحكام الحلال والحرام الواردة في القرآن ، ويقوم بتلاوة آيات القرآن كل يوم على نحو الوجوب العيني خمس مرات في الصلاة بشوق ورضا ، وفيه وجوه :

الأول : قانون صرف القرآن المسلم عن إيذاء الناس .

الثاني : قانون سماع آيات القرآن ترغيب بالتقوى والخشية من الله.

الثالث : النسبة بين الإنصات لآيات القرآن وبين الإرهاب هو التضاد .

الرابع : قانون استدامة سماع الناس لآيات القرآن إلى يوم القيامة .

الخامس : قانون حاجة الناس في كل زمان لسماع التنزيل .

السادس : قانون سماع القرآن استئصال للإرهاب ، لذا يجب نشر لغة ومناهج تلاوة وسماع آيات القرآن فهي عنوان الرحمة ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

السابع : قانون الإرهاب ضد للرحمة والتراحم ورقة القلوب .

الثامن : قانون الإنصات للقرآن برزخ دون التعدي والظلم والقهر .

التاسع : قانون الإستماع للقرآن عبادة ، ومادة للتدبر في مضامينه القدسية ، وقد شمل نفع القرآن الجن وعالم الحيوان ، وورد في الجن في التنزيل ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[2].

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود (أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي فلم يرد عليه وكان الرجل قبل ذلك يتكلم في

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤.

(٢) سورة الجن ١٣.

صلاته ويأمر بحاجته - فلما فرغ رد عليه ، وقال : إن الله يفعل ما يشاء وإنها نزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١))(٢).

وموضوع وأحكام الآية أعم من سبب النزول ، وفيها دعوة يومية متجددة للإنصات لقراءة القرآن في الصلاة وخارجها ، وهل فيها ترغيب بالتلاوة ، الجواب نعم ، لدلالة اللازم على الملزوم ، ووجود المسبَب على السبب .

قانون سماع القرآن صلاح

من خصائص القرآن تجدد موضوع آياته ، ففي كل يوم هناك من يؤمن بالتوحيد ويتوب إلى الله ويصدق عليه قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ وهل تشمل الآية أجيال المسلمين أم أنها خاصة بأيام التنزيل لأن هذه الأجيال ورثت الإيمان .

الجواب هو الأول وهو من معاني الإعجاز العقلي للقرآن ، وبيان موضوعية سماع القرآن في إيمان كل مسلم ، وهذا السماع تأديب وصلاح ، وزجر عن الإرهاب والتعدي لبيان فضل الرسالة الخاتمة على المسلمين والناس جميعاً .

وفي تلاوة القرآن منافع منها :

الأول : التفقه في الدين .

الثاني : الشفاء من الدرن .

الثالث : الوقاية من الفتن .

إذ ورد (عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله عز وجل، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عِصْمَة لمن

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤.

(٢) الدر المنثور ٣٩٩/٤ .

تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، لا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد)[١].

الرابع : قانون بعث التلاوة السكينة في النفس .

وعن عبد الله بن مسعود (قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اقرأ عليّ ، فقلت : يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل .

قال : نعم ، فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٢]، قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان)[٣].

وفيه دعوة للمسلمين لقراءة بعضهم على بعض القرآن ، والتدبر في معانيه والتسليم بجهاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تلقي القرآن والعمل بأحكامه وما فيها من نشر للرحمة والإحسان وسبل الصلاح ، وحرمة الظلم والعنف والعدوان .

زوال الرق حرب على العنف والإرهاب

من الإعجاز في الشريعة الإسلامية بخصوص الرق وجوه :

الأول : لا يسترق إلا الذي يحارب الإسلام ، فلا يقتل ولا يدخل السجن بل يسترق ويعمل وينتج .

الثاني : قانون الرفق أمن من الإرهاب ، وصيرورة المحارب مملوكاً ثم يعتق دعوة للإصلاح ، وحضّ للناس لإجتناب محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان ضرر الحروب .

الثالث : قانون الرق دعوة للإيمان ، إذ يعيش بين ظهراني المسلمين ويراهم في صلاتهم وصيامهم ، ويعلم أن دخوله الإسلام باب لعتقه والتعجيل به .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢١/١ .

(٢) سورة النساء ٤١.

(٣) تفسير ابن كثير / السيرة النبوية ٨٠/١ .

الرابع : جواز زواج العبد من الأمة بأذن المولى وإنجابه الأولاد ، وإذا عتق أحدهما يتبعه الأولاد .

وهل يجوز زواج العبد من الحرة ، مشهور علماء الإسلام قال بعدم جوازه لفقد شرط الكفاءة وهو الحرية ، وبه قال الحنفية والمالكية ، وعلى قول راجح عند الحنابلة .

وودت نصوص من أئمة أهل البيت بجوازه ، بلحاظ أن التكافؤ في الإسلام .

وأحكام الرق ومنها أم الولد وما فيها من التخفيف في الإسلام مدرسة فقهية متكاملة الإركان .

الخامس : ترغيب القرآن والسنة بعتق العبيد إذ جعل الله عز وجل هذا العتق كفارة في القتل الخطأ ، ومظاهرة الزوجة ، وحنث اليمين باستثناء اليمين الغموس الذي لا تنفع معه الكفارة .

فلا كفارة في اليمين الكاذبة التي تجعل الحق باطلاً ، والباطل حقاً ، وتسمى اليمين الغموس أي التي تغمس صاحبها في النار .

وكذا لا كفارة في التعدي والإرهاب لأنه ظلم محض .

ومن إعجاز القرآن ورود كلمة (تحرير) خمس مرات في القرآن كلها بخصوص العتق .

وجاءت ثلاثة منها في آية واحدة بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

(١) سورة النساء ٩٢.

ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية قانون حسن معاملة الرقيق ، وسرعة انقطاع الرقيق ، لبيان تنزه الإسلام عن صيغ العنف والبطش ، ولموضوعية التساوي في الحقوق والواجبات ،

ولم يقع الرق في الإسلام إلا في حالات نادرة عند محاربة الإسلام ، وكون الشخص خطراً على السلم المجتمعي ولزوم الحد من ضرره .

ووردت أحاديث نبوية عديدة في العناية بالرق وبيان إخوتهم لا سيادتهم.

و(عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم .

وأخرج البخاري في الأدب عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بالمملوكين خيراً ويقول : أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم من لبوسكم ، ولا تعذبوا خلق الله .

وأخرج ابن سعد عن أبي الدرداء : أنه رؤى عليه برد وثوب أبيض ، وعلى غلامه برد وثوب أبيض . فقيل له فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اكسوهم مما تلبسون ، وأطعموهم مما تأكلون .

وأخرج البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والبيهقي في الشعب عن علي قال : كان آخر كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)[1].

ولم يكن عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رهط من العبيد ، ولم يغادر الدنيا عن عدد من العبيد .

وروى أبو طاهر المخلص (عن سهل بن يوسف عن أبيه عن جده[1] أعتق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه أربعين نفسا)[2].

---

(١) الدر المنثور ١١٨/٣ .

والخبر ضعيف رواية ودراية في وقائع السنة النبوية اليومية ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عنده أربعون أو أكثر من العبيد أيام مرضه .

قانون عتق العبيد سلم مجتمعي

لقد جعل الله عز وجل عتق الرق وسيلة يتقرب بها المسلم إليه تعالى ، ليبادر المسلمون والمسلمات بعتق العبيد ، لذا من الإعجاز في الكتاب والسنة ابتداء العتق من أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وكل نظام الرق في الإسلام وترغيب المتاب والسنة بالعتق حرب على الحروب والعنف والإرهاب .

وقد قرن الله تعالى الإحسان إلى العبيد والإماء بوجوب التوحيد وعبادته وحده ، فقد قال تعالى مخاطباً المسلمين والمسلمات ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٣] وكان الرق واحة التساوي في المعاملة ، وخير باب للإحسان والرفق .

و(عن المعرور بن سويد قال : مررنا بأبي ذر بالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله فقلنا : يا أبا ذر لو جمعت بينهما كان حلة فقال : إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) الظاهر المراد من جده هو الصحابي سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري ، صحابي معمر (٨ق.هـ - ٩١هجرية) .

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢٥٠/١٢ .

(٣) سورة النساء ٣٦.

فلقيت النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه وأمه .

قال : يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيدكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم)(١).

وعن أبي مسعود البدري قال: كنت أضرب غلامًا لي ، فسمعت من خلفي صوتًا (اعلم، أبا مسعود : لله أقدر عليك منك عليه) فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال (أما لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار))(٢).

ومن سنن الإسلام الرفق بالعبيد ، والإمتناع عن ضربهم أو التعدي عليهم ، ورد عن (معاوية بن سويد قال : لطمت مولى لنا فهربت ثم جئت قبيل الظهر فصليت خلف أبي فدعاه ودعاني ثم قال امتثل منه فعفا .

ثم قال كنا بني مقرن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ليس لنا إلا خادم واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (أعتقوها) قالوا ليس لهم خادم غيرها قال (فليستخدموها فإذا استغنوا عنها فليخلوا سبيلها)(٣).

ولفظ الخادم اسم مشترك يطلق الغلام والجارية .

وعن (عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه يورثه وما

(١) تفسير القرطبي ١٧١/٥ .

(٢) شخصية الرسول وأثره ١٢/١.

(٣) صحيح مسلم ١٢٧٩/٣ .

زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت ان يضرب له اجلا أو وقتا إذا بلغه عتق)[١].

لبيان تنمية الكتاب والسنة لملكة الرفق والإحسان للجار أياً كانت ملته وحاله وللعامل والخادم مسلماً كان أو غير مسلم ، وغيرهم من الناس .

سقوط الجزية في هذا الزمان

الجزية لغة من جزي يجزي إذا كافأ من أساء إليه ، وقال تعالى ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٢] وفرضت الجزية في السنة الثامنة للهجرة.

ومعنى صاغرين أي خاضعين لأحكام وأنظمة الدولة كرعايا لها غير خارجين عن النظام العام ، فمن مصاديق الرحمة العامة في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فرض الجزية على البالغين من غير المسلمين الذين يذب ويدافع عنهم الإسلام ، ويخرج المسلمون للمرابطة في الثغور ، ويشتركون في القتال دفاعاً عن بيضة الإسلام.

ولكن أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس ونحوهم يبقون في صناعاتهم وزراعاتهم تحت راية وذمة الإسلام .

وينتفعون من المرافق العامة للمسلمين والجسور والأنهار والسدود والآبار والخدمات العامة ، ويدفعون جزية قليلة ، وبشروط تسهيلاً وتخفيفاً عنهم ، وسميت جزية للإجتزاء بها ، وتسمى ضريبة الرؤوس ، وهي بين اثني عشر وثمانية وأربعين درهماً فضة مرة واحدة في السنة فهي حولية ، ولا تفرض ضريبة معها .

ومقدار الجزية يزيد قليلاً أو ينقص عما يدفعه المسلم أيضاً من الزكاة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١١/٨.

(٢) سورة التوبة ٢٩.

والخمس ، وزكاة الفطر أو الكفارات ونحوها .

وأمر الله عز وجل النبي محمداً بأخذ الزكاة من المسلمين ، قال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[1] والخمس ، ويجوز دفع الجزية إلى فقراء أهل الكتاب ، أي أن هؤلاء الفقراء معفون من الجزية ويعطون منها .

وقد صالح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل نجران في السنة العاشرة للهجرة وفيها بيان لحقوق الإنسان (وكتب لهم كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب النبي محمد رسول الله لأهل نجران إذ كان عليهم حكمه أن في كل سوداء وبيضاء وصفراء[2] وثمرة ورقيق ، أو أفضل عليهم ، وترك لهم ، على ألفي حلة ، في كل صفر ألف حلة.

وفي كل رجب ألف حلة ، كل حلة أوقية ، ما زاد الخراج أو نقص ، فعلى الأواق يحسب .

وما قضوا من ركاب أو خيل أو درع ، أخذ منهم بحساب ، وعلى نجران مثوى رسلي عشرين ليلة فما دونها ، وعليهم عارية ثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيرا ، وثلاثين درعا.

إذا كان كيد باليمن دون معذرة ، وما هلك مما أعاروا رسلي ، فهو ضمان على رسلي حتى يؤدوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، على أن لا يغيره أسقف من سقيفاه ، ولا واقف من وقيفاه ، ولا راهب من رهبانيته ، وعلى أن لا يحشروا[3] ولا يعشروا[1] .

---

(١) سورة التوبة ١٠٣.

(٢) إرادة مختلف المحاصيل والثمار ، ومن معانيه السوداء العبيد والصفراء المذهب والبيضاء الفضة أو القمح

.

(٣) أي لا يحشرهم المسلمون في جهاد وقتال ، ولا يُكرهوا على تجهيز بعض المسلمين إلى القتال بسلاح أو خيل ، إلا أن يتبرعوا فيلقى المتبرع الثناء .

ولا يطأ أرضهم جيش ، من سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران ، وعلى أن لا يأكلوا الربا ، فمن أكل الربا من ذي قبل ، فذمتي منه بريئة ، وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم ، شهد عثمان بن عفان ومعيقيب ، وكتب)[٢].

ومشهور علماء الإسلام عدم فرض الجزية على المشركين ، وقال أبو حنيفة تفرض على غير المسلمين جميعاً ، وتؤخذ من عبدة الكواكب اذا كانوا عجماً وليسوا من العرب .

أما المشركون الذين لا تقبل منهم الجزية فهم مشركو العرب ، وقال مالك بأخذ الجزية من أهل الكتاب ومن أهل الشرك والجحود عربياً أو أعجمياً إلا المرتد ، فاذا رضي المشركون بالجزية أخذت منهم .

أما الشافعية والحنابلة والإمامية فقالوا لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب ومنهم المجوس.

والجزية ضريبة مالية لا تعوض مع دفع أجور الكتابي الذي يستعين به المسلمون ، والذي يتطوع لمساعدتهم .

وتدل أحكام الجزية على قانون عدم إكراه النبي محمد أحداً على الإسلام ويدل عليه قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٣]، وقانون إقرار الإسلام أهل الديانات الأخرى ، وقانون تعاهد الإسلام للكنائس والدير على دينهم ، ويحرم المساس بها .

وبخصوص المجوس ورد عن (عبد الرحمن بن عوف : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : سنّوا بهم سنة أهل الكتاب)[٤].

وهو الوارد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذ قال (أن رسول

---

(١) أي لا يؤخذ عشر أموالهم .

(٢) ابن زنجويه المتوفى سنة (٢٥١) هجرية / كتاب الأموال ١٠٣/٢ .

(٣) سورة البقرة ٢٥٦.

(٤) الثعلبي / الكشف والبيان ١١٧/٦ .

الله صلى الله عليه وآله قال : سنوا بهم سنة أهل الكتاب، يعني المجوس)[1].

سنوا بهم سنة اهل الكتاب أي اقبلوا منهم الجزية ، ولا يكرهون على ترك دينهم .

وفي مرسلة أبي يحيى الواسطي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذ سئل (عن المجوس أكان لهم نبي؟ فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل مكة أن اسلموا وإلا نابذتكم بالحرب فكتبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله ان خذ منا الجزيه ودعنا على عبادة الاوثان.

فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وآله إني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، فكتبوا اليه يريدون بذلك تكذيبه صلى الله عليه وآله زعمت انك لاتأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثم أخذت الجزية من مجوس هجر .

فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وآله ان المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه اتاهم نبيهم بكتابهم في اثنى عشر ألف جلد ثور)[2].

ويبين كثرة مجلدات نبي المجوس ما للقرآن من الإعجاز باحاطته باللامحدود من الوقائع والأحداث مع الثناء على أهل البيت والصحابة والتابعين لحفظ القرآن وسلامته من التحريف والتلف .

وعن (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِى بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ قَالَ : هَذَا كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عِنْدَنَا الَّذِى كَتَبَهُ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَذَكَرَهُ وَفِى آخِرِهِ : وَإِنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلاَمًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ فَدَانَ دِينَ الإِسْلاَمِ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ .

وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ أَوْ يَهُودِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُفْتَنُ عَنْهَا وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ دِينَارٌ وَاف أَوْ عِوَضُهُ مِنَ الثِّيَابِ فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ .

---

(١) الطوسي / الأمالي ٤١٥/١ .

(٢) تهذيب الأحكام ١٢٣/١٠ .

هَذَا مُنْقَطِعٌ وَلَيْسَ فِي الرِّوَايَةِ الْمَوْصُولَةِ.)[١].

ولا جزية على النساء والصبيان ، والشيوخ والرهبان ، والعبيد ، والمعتوه ، وفاقد العقل .

ولا جزية في هذا الزمان ، ويكون حكم سقوطها بسبب انتفاء الموضوع ، فهي مثل عتق العبيد في الكفارات مع وروده في القرآن كما في قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢].

وقد ذكر تحرير الرقبة خمس مرات في القرآن ، منها ثلاثة في الآية أعلاه ، وليس من رقبة في هذا الزمان فتحريرها سالبة بانتفاء الموضوع لبيان وجوه:

الأول : قانون إكرام القرآن للإنسان مطلقاً .

الثاني : بعث الله عز وجل المسلمين للقضاء على الرق بالإحسان .

الثالث : الأجر العظيم على عتق العبد والأمة ، وإن كان كفارة .

الرابع : ذكر القرآن للرق والعبيد بلغة تحريرهم وعتقهم مع التأكيد على إخوتهم لعامة المسلمين .

و(عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم)[٣].

---

(١) سنن البيهقي ٤٢٩/٢.

(٢) سورة النساء ٩٢.

(٣) الدر المنثور ١١٨/٣ .

وعن الإمام علي عليه السلام فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أن قال : أوصيكم بالضعيفين النساء وما ملكت أيمانكم .

الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم .

وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي أمركم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم عليكم بالتواصل والتباذل .

وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئا منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[2].

وهذا الحديث أعم من الجزية سواء أعطى الجزية أو لم يعطها ، وكان كتابياً أو غير كتابي ، فلا يصح ظلمه أو التعدي عليه وإرهابه وإخافته ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[3].

وهل أحكام القوانين التي تتضمن المساواة والعدل وعدم التعدي بين أفراد الشعب وغيرهم من العهد الذي تذكره الآية أعلاه ، الجواب نعم ، لأنه عهد عام وعقد إجتماعي ، ونظام متسالم عليه .

وعن (ابن إسحاق قال فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاه الجزية وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم كتابا فهو عندهم .

---

(١) الطبراني / المعجم الكبير ٩٧/١ .

(٢) تفسير القرطبي ١٠١/٨.

(٣) سورة الإسراء ٣٤.

فكتب ليحنة بن رؤبة بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبي ورسوله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة أساقفتهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر .

فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن إسحاق وكتب لأهل جرباء وأذرح بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة)[1].

لبيان اللطف النبوي مع أهل الكتاب والرفق بهم ، وفيه دعوة للمسلمين للإحسان للناس ليأمن الناس جميعاً منهم .

الإسلام دين الرفق

الرفق هو العطف والسمت ورشحات الحنان والإحسان ، ولم ترد كلمة الرفق في القرآن ولكنها من معاني الرأفة والرحمة ولين الجانب سواء بالقول أو الفعل ، قال تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[2].

والرفق ضد الخشونة والعنف لبيان أن الإسلام دين الرحمة والرفق ، وهو ضد الإرهاب سواء الإرهاب الفكري أو القولي أو الفعلي .

وفي خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[1] وفيه وجوه :

---

(١) تأريخ دمشق ٤١/٢.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

الأول : قانون الملازمة بين النبوة ولين المعاملة

الثاني : بيان مصداق لقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] .

الثالث : سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعوة لأجيال المسلمين للتنزه عن العنف والإرهاب .

الرابع : قانون الإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجب ، وفيه الأجر والثواب ، ويتجلى الوجوب بآيات منها ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٣] .

وقد صدرت الأجزاء (٢٤٥-٢٤٧-٢٥٨) من هذا السفر بعنوان (الإحصاء القرآني غير متناه) ولا بأس باحصاء آيات الرحمة والرفق بالناس الواردة في القرآن والأحاديث النبوية ، وكذا السنة الفعلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل منها ترجمة فعلية لهذه الآيات وتثبيت لسنن الرفق في المجتمعات ، لبيان وجوه :

الأول : قانون كل آية من آيات الرفق في القرآن حرب على الإرهاب .

الثاني : قانون شواهد الرفق في السنة النبوية زاجر عن الإرهاب .

الثالث : دلالة آيات الرفق على حرمة الإرهاب والإضرار بالناس وسفك الدماء .

وهل من الرفق بالناس سواء في المعاملة أو الإحتجاج ، قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) سورة القلم ٤.

(٣) سورة الحشر ٧.

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١] الجواب نعم ولم يرد لفظ ﴿جَادِلْهُمْ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه .

وقوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٢]، من آيات الرفق بالذات والغير ، ومصداق لإستدامة السلم المجتمعي ومنع للخصومة والشقاق .

التلاوة عصمة من الإرهاب

من خصائص تلاوة القرآن أنها تلين القلب وتزيح الكرب والهموم ، وتبعث على التفكر في حقيقة الدنيا وأنها إلى زوال وأن لقاء الله قريب وفيه وجوه :

الأول : قانون تلاوة القرآن تهذيب للنفوس .

الثاني : قانون التلاوة سكينة وأمل ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣].

الثالث : قانون تلاوة القرآن حاجز دون القسوة والعنف .

الرابع : قانون في تلاوة القرآن ثواب عظيم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثواب تلاوة القرآن (فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم ألم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر)[٤].

والمراد من (الم) الحروف المقطعة في فاتحة سورة البقرة ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

---

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة فصلت ٣٤.

(٣) سورة الرعد ٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٢١/١ .

وهل في سماع آيات القرآن أجر وثواب ، الجواب نعم ، وهي سبب لنزول رحمة الله والغيث والرزق الكريم على الناس ، وهو من رشحات قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢).

ومن الإعجاز العقلي للقرآن إفادة سماع آياته الإتعاظ والتفقه .

ونزلت الآية أعلاه في تحريم كلام المأموم عند قراءة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإمام وموضوعها أعم من سبب النزول عند قراءة النبي محمد في الصلاة بدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾(٣).

فان قلت قد صنعوا في هذا الزمان الطائرات والإنسان الآلي واستنساخ الحيوان .

والجواب المراد في الآية أعلاه هي الأصنام بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

والطالب هنا الأصنام ، والمطلوب الذباب فلا يرد الذباب للأصنام ما سلبه منها .

أما الصناعات الحديثة فهي من خلافة الإنسان في الأرض ومصاديق قوله تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة١-٢.

(٢) سورة الأعراف ١٠٤.

(٣) سورة الحج ٧٣.

(٤) سورة العلق ٥.

ففي قراءة القرآن ثواب ، وفي الإستماع له ثواب ، سواء من التالي وكذا في الإنصات له أو بواسطة الهاتف لفرصة الثواب لمن لا يقرأ ويكتب أو يشق عليه تعلم العربية .

ليكون التعلم والتفقه والأجر في الآية من وجوه :

الأول : قراءة القرآن .

الثاني : قصد الإستماع للقرآن .

الثالث : التفقه والثواب بالإنصات للقرآن ، أي من مقابلته بكلام أو إعراض عنه .

الرابع : العمل بمضامين الآية القرآنية .

ويمكن تسمية الحياة الدنيا دار تلاوة التنزيل ، والإستماع لها ، وهو فرع قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ومن مصاديق الرحمة العامة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سماع الناس جميعاً للقرآن والإصغاء له طوعاً وانطباقاً ومع القصد أو بالعرض ، ومختلف الأسباب .

ولتكون كل من تلاوة القرآن والإستماع لها ، والإصغاء والتدبر في مضامينه حصناً من الإرهاب ، وزاجراً عن الظلم والتعدي .

وهناك تضاد بين تلاوة القرآن وإخافة الناس فتفضل الله عز وجل وشرّع الصلاة خمس مرات في اليوم على كل مسلم ومسلمة ، ووجوب تلاوة القرآن فيها لتكون برزخاً دون إرعاب وإيذاء الناس لبيان قانون تلاوة القرآن أمن وسلام .

ويدعو الله عز وجل المسلم إلى التدبر في مضامين آيات القرآن ويستحضرها عند العمل ولا ينساها ، قال تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة الأعلى ٦.

والنسبة بين النسيان والسهو بينهما عموم وخصوص مطلق، فالنسيان أعم من السهو ، إذ أن الأول غياب وزوال الصورة عن المدركة والحافظة فقد لا يذكرها الإنسان لو التفت إليها، أما السهو فهو زوال طارئ للصورة عن المدركة ، مع بقائها في الحافظة .

ويمكن تقسيم السهو إلى قسمين:

الأول : السهو في الشئ والعمل، ومنه تشريع سجود السهو .

الثاني : السهو عن الشئ الواجب والذي يلحق بالغفلة ، قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1] أي لاهون ، فلم تقل الآية (في صلاتهم).

ومن خصائص المؤمنين الحرص على تعاهد أداء الصلاة في أوقاتها ، وترقب حلول هذه الأوقات المباركة ، العزوف عن التطرف العنيف ، والإمتناع عن إيذاء الآخرين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[2].

الصبر على الأذى صارف للإرهاب

يمكن تقسيم أيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى قسمين :

الأول : الإقامة في مكة من حين البعثة النبوية إلى أوان الهجرة إلى المدينة.

الثاني : الإقامة في المدينة من السنة الأولى للهجرة إلى السنة الحادية عشرة منها حيث غادر إلى الرفيق الأعلى .

واتصفت إقامته في مكة بالصبر وتحمل الأذى الشديد من قريش من غير أن يقع قتال ولمعان للسيوف ، نعم من الصحابة من مات تحت التعذيب مثل سمية بنت خِباط أم عمار بن ياسر وهي سابع من أسلم وأول شهيد في

(١) سورة الماعون ٤-٥.

(٢) سورة النساء ١٠٣.

الإسلام ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر على آل ياسر وهم يعذبون من قبل رؤساء قريش في حر الظهيرة برمضاء مكة ويقول لهم (صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة)[١].

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحسية وجوه :

الأول : توالي دخول الناس الإسلام مع استمرار الدعوة سراً .

الثاني : إزدياد عدد الداخلين في الإسلام يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر.

الثالث : تحمل أهل البيت والصحابة الأذى الشديد في مرضاة الله ، مع أن حصار قريش شمل بني هاشم جميعاً ، وفيهم المسلم والكافر ، واستثنت قريش من الحصار أبا لهب لشدة عداوته للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتنزل سورة كاملة في ذمه وزوجه ، قال تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[٢].

وليكون مثال أبي لهب في الدنيا قليلاً ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ[٣] . * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ[٤]﴾[٥].

---

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١٨١/٢.

(٢) سورة المسد ١-٥.

(٣) أنظر الجزء الخامس والستين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) أنظر الجزء الثامن والستين بعد المائتين من هذا السِفر الذي تضمن تفسير هذه الآية والآية التي بعدها .

(٥) سورة آل عمران ١٩٦.

وهل يمكن القول بأن من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد الحسية تحمل بني هاشم مسلمهم وكافرهم الحصار الإقتصادي والإجتماعي في شعب أبي طالب من قبل كفار قريش من غير أن يسلموه إلى كفار قريش ، الجواب نعم ، لبيان الصبر على الإرهاب الفكري والنفسي والإقتصادي ، والثواب عليه .

وهل كان هذا الحصار سبباً في دخول رهط من الناس في مكة وخارجها الإسلام ، الجواب نعم لما فيه من بعث النفرة من الظالمين والإرهاب .

مقابلة النبي (ص) الإرهاب بالحلم

النسبة بين سعي مشركي قريش للقتال وبين الإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب أعم يشمل الفكر والإجتماع وأحوال النفس ، وبعث الخوف بين الناس .

لذا سعى المشركون في إخافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه الأوائل وقاموا بتعذيبهم ولم يقابل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا الأذى الشديد إلا بالصبر ومواصلة الدعوة إلى الله وتبليغ آيات القرآن التي تنزل عليه ، وكل آية مدرسة في البشارة والإنذار ، والوعد والوعيد .

ومن الشواهد على صيغة السلم في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إمتناعه عن رد الظلم والإرهاب الجسدي بمثله ، فحينما فرضت قريش الحصار على بني هاشم في شعب أبي طالب .

واشتد البلاء على أصحابه (قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم.)[1] فكانوا أول سفراء الإسلام .

وعندما أجمع رؤساء قريش على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه نزل جبرئيل في نهار تلك الليلة وأمره بالهجرة إلى المدينة ليبيت الإمام علي عليه السلام في فراشه تورية على كفار قريش الذين عزموا على الهجوم عليه أوان السحر ، وفيه إعجاز من جهات :

الأولى : الهجرة الوقت المناسب .

ويدل قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] على إنحصار نجاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل ليلتئذ بالوحي ونزول جبرئيل ، ولو لم ينزل جبرئيل ويأمر النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة لقتله كفار قريش في فراشه ولم يذب عنه أي أحد ، سواء بنو هاشم أو غيرهم .

ويدل على أن الأمر الإلهي للنبي محمد بالهجرة نصر له لبيان قانون الهجرة نصر ، وتم هذا النصر بالسلم ، وفيه زجر عن الإرهاب لتحقق الأمن والنصر والسلامة بالهجرة والإعراض عن القوم الكافرين .

الثانية : السلامة من القتل بالمعجزة وهي أمر جبرئيل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة في تلك الليلة .

الثالثة : إقامة الحجة على الذين كفروا ، من وجوه :

الأول : عجز وخيبة الذين كفروا .

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤/٢.

(٢) سورة التوبة ٤٠.

الثاني : لحوق الإثم للذين كفروا لعزمهم على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إدراك الناس أن هجرة النبي محمد نصر له وهو الذي أكدته الآية أعلاه .

الرابع : زجر الذين كفروا عن الإرهاب ، وسل السيوف لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : الثناء من الله على الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة قبل خمس سنوات من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وإخبار بأن هجرتهم نصر للإيمان .

السادس : ترغيب المسلمين الذين في مكة بالهجرة واللحوق بالنبي محمد وبيان قانون الهجرة نصر .

الرابعة : سلامة الإمام علي عليه السلام عند المبيت في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع هجوم المشركين عليه وقت السحر ظناً منهم أنه النبي محمد لإرادة قتله .

ولم يعلم المشركون أن الله عز وجل كتب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم السلام من القتل حتى يتلقى جميع آيات وسور القرآن التي كانت تنزل تباعاً ، ويتم تبليغ رسالته ، نعم قال تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1].

ويمكن القول وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : كل إنسان يموت .

الصغرى : الرسول إنسان .

النتيجة : الرسول محمد يموت .

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤.

اختيار الهجرة سلام

لقد بقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الإسلام في مكة عشر سنوات ، وتحمل وأهل بيته وأصحابه الأذى الشديد ، ولكن عندما أرادوا قتله في فراشه نزل جبرئيل وأمره بالهجرة إلى المدينة (يثرب) في معجزة حسية غيرّت مجرى التأريخ إلى يوم القيامة .

ويدل اختيار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة في ذات الليلة التي أراد المشركون قتله فيها على قانون مقابلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإرهاب بالإعراض عن المشركين وبالصبر والحلم ، وهو خلاف أنماط السلوك آنذاك إذ يقابل الناس العنف بمثله ، وقد يلجأ بعضهم إلى الغدر والغيلة عند تعذر الملاقاة بالمثل .

ليكون إظهار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصبر شاهداً على أنه يتصرف بالوحي من عند الله لبناء مجتمع يتصف بالإيمان وخال من الإرهاب والعدوانية وحب البطش الذي يظهر في الغزو والنهب أو في ذات الأسرة بوأد البنات ، قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[1].

ويدل تلقي المسلمين وعامة العرب هذه الآية بالقبول على صدق وجود وانتشار عادة الوأد عند بعض القبائل .

لقد جاءت مدرسة النبوة بأمر مستحدث وهو ملاقاة الإرهاب بالحلم ، ليكون مناسبة للتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإنصات إلى آيات التنزيل .

ولم يرض المشركون بتلاوة القرآن في البيت الحرام ، فصاروا يصفقون ويصفرون فنزلت الحروف المقطعة في أوائل السور لينصت الناس لها ، وإرادة معناها والمقاصد منها، ثم تأتي الآيات الأخرى .

---

(١) سورة التكوير ٨-٩.

ترى لماذا كان المشركون يصفقون عند تلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وخارجها ، الجواب لرؤيتهم إصغاء زوار المسجد الحرام لتلاوة القرآن ، ونقل ما يسمعونه إلى بلداتهم وقراهم ، وفيه مسائل :

الأولى : قصر الآيات والسور المكية .

الثانية : تضمن السور المكية الإنذار والوعيد منها ﴿الْحَاقَّةُ*مَا الْحَاقَّةُ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ* كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[1].

الثالثة : ذم السور المكية لعبادة الأوثان .

وكان المشركون يظنون أنها تتضمن سبّ آبائهم لأنهم غادروا الدنيا على عبادة الأوثان ، فاتجهوا إلى الإرهاب وتعذيب المسلمين الأوائل وإنكار التنزيل ، ليكون صبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه دعوة متجددة في كل زمان للمسلمين بالتحلي بالصبر ، ونبذ الإرهاب ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

ولم يهاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحده ، إنما فتح باب الهجرة للمسلمين والمسلمات من أهل مكة وغيرها ، وكان العرب يتنقلون خلف الكلأ والماء ، ولكن الصحابة هاجروا للنجاة بدينهم بسلام ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) سورة الحاقة ١-٦.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

إصرار المشركين على القتال

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إمتناعه عن الإبتداء بالقتال ، وعن مباغتة مشركي قريش في حال الحضر والسفر مع كثرة أسفارهم ، وضربهم في التجارة بين مكة والشام ، وبينها وبين اليمن قال تعالى ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾(١).

ولم يحسدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تجارتهم ، ولم يخش افتتان المسلمين بهم وبكثرة أموالهم وأسفارهم ، فقد نزل قوله تعالى ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾(٢)(٣).

وهل الآية أعلاه من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(٤).

الجواب نعم لما فيها من عصمة المسلمين من الإفتتان بالمشركين وكثرة أموالهم وأولادهم ، والجاه والسيادة التي لهم .

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حالما وصل إلى المدينة بناؤه المسجد النبوي ، وصار أهلها يدخلون الإسلام جماعات ، وتوافد عليها المهاجرون من مكة وغيرها ، مما جعل المشركين يستشيطون غضباً.

ولم يكتفوا بالإرهاب بل لجأوا إلى الهجوم وسل السيوف وإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في ميدان القتال ، وكأنهم يقولون لئن نجا في ليلة الهجرة فإنا سنستأصل الإسلام في ميدان القتال.

---

(١) سورة قريش ١-٢.

(٢) سورة آل عمران ١٩٦.

(٣) أنظر الجزء الخامس والستين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة الزمر ٣٦.

وأشد ما يكون على الدعوة إلى الصلاح هو القتال لأن الظالمين في كامل عدتهم وحسن التنظيم ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

لقد أرادت قريش الإجهاز على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار قبل أن يكثر عددهم ، وتتسع دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويأتي مهاجرو الحبشة .

فاعلنت قريش النفير إلى معركة بدر بذريعة إرادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الإستيلاء على قافلة أبي سفيان .

وليس من موضوع لهذا الإدعاء وسبب النفير ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٢).

ومن مكر الله عز وجل نزول الملائكة لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مع ضعفهم وقلة عددهم وعدتهم ، وهو الذي يدل عليه قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣).

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، أن المشركين أرادوا الإجهاز عليكم مع قلتكم والنقص في أسلحتكم ومؤنكم وعدتكم .

إذ كان خروج المشركين للقتال ، وإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر عدد من أصحابه وأسر الآخرين وادخالهم مكة مقيدين بالحبال كي يمتنع الناس عن دخول الإسلام ، وهذا التعدي من الإرهاب ، أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فكان خروجهم من المدينة يومئذ على وجوه :

---

(١) سورة .

(٢) سورة الأنفال ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

الأول : إنها سرية استطلاع حول المدينة .

الثاني : عرض قوة الإسلام

الثالث : إقامة الصلاة في الجادة العامة .

وفي حديث مستفيض للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال (جعلت لي الأَرْض كلها مسجداً وطهوراً)[١].

الرابع : إخبار أهل القرى والمسافرين عن الإسلام ، وبيان صيرورة المسلمين أمة .

الخامس : ترغيب الناس بدخول الإسلام .

السادس : إرسال رسالة إلى أهل مكة بسلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين وحسن استقبال الأنصار لهم .

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن ذات هجرته معجزة ، وترغيب بالهجرة لسلامة الدين ، وفيه منع للإرهاب وعزوف عن أسباب الأذى والضرر ، قال تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[٢].

السابع : قدرة المسلمين على الدفاع ، قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٣].

ومن صفات الله عز وجل أنه (قدير) وقد ورد هذا الاسم في القرآن نحو خمسين مرة لبيان عظيم قدرة الله ومنه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فلم يرد لفظ (لقدير) في القرآن إلا في الآية أعلاه في الوعد بالنصر للمؤمنين لما وقع عليهم من الظلم ، ويدل في مفهومه على النهي عن الإرهاب والتطرف العنيف ومقابلة الظلم بمثله .

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٣٧/٩ .

(٢) سورة النساء ١٠٠.

(٣) سورة الحج ٣٩.

الثامن : زجر المشركين الذين حول المدينة من الإغارة عليها ، ومنعهم من الإنصات لتحريض قريش ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

التاسع : بيان صيغة السلم للإسلام ، وعدم التعرض لأموال وأنعام المشركين ممن حول المدينة ، وفيه دعوة لهم للإسلام ، لذا لم يقل القرآن (يوم التقى الجيشان) وكذا بخصوص معركة أحد إنما قال تعالى ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1] ، بدليل عدم فرار جماعة من المسلمين يوم معركة بدر ، ولتوثيق ما جرى في معركة أحد ، وبيان شد ظلم المشركين وضراوة المعركة.

وكأن هذه الآيات تقول (جمع يريد القتال ، وجمع يريد السلم ودفع القتال) إذ كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينادي وسط الميدان (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).

ففي الميدان وأثناء القتال يريد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين كلمة التوحيد وحدها ، ولكن المشركين أصروا على القتال ، فخسروا المعارك ، وأصابتهم الخيبة ، ولحقهم الخزي إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾[2] لبيان سوء عاقبة الإصرار على القتال ، ولتتجلى مصاديق الحكمة في منهاج النبوة بامتناع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبتداء بالقتال أو السعي له وتهيئة مقدماته .

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

التضاد بين الفلاح والإرهاب

الفلاح هو النجاح والفوز ونيل البغية وإدراك السعادة والهناء في الدنيا ، وهو في الآخرة خلود في النعيم ، وغنى بلا فقر ، وسلامة من الحزن ، وعصمة من الخوف والفزع .

ووردت مادة الفلاح أربعين مرة في القرآن بصيغ متعددة منها الماضي كما في قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١] ، والمضارع ، وهو الأكثر إذ ورد ثلاثاً وعشرين مرة منها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٢] وبصيغة اسم الفاعل منه قوله تعالى ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

وهل الإرهاب يخفف الميزان من الحسنات ، الجواب نعم ، فهو ضرر بالذات والأثر في الدنيا والآخرة ، إذ يأخذ الناس الذين تضرروا من الفعل الإرهابي من حسنات الذي قام به والذي خطط له ، والذي أعان عليه بالمال أو القول ومطلق الفعل .

ومن مصاديق التكامل في الشريعة الإسلامية وبعث القرآن الناس للسعي للدنيا والآخرة الإنذار من أسباب الحرمان من الفلاح في النشأتين ، ومنه الظلم والتعدي ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[٤].

والنسبة بين الظلم والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب شعبة من الظلم ، ليكون وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : عاقبة الظلم الخيبة والخسران .

الصغرى : الإرهاب ظلم .

---

(١) سورة المؤمنون ١.

(٢) سورة يونس ١٧.

(٣) سورة المؤمنون ١٠٢.

(٤) سورة الأنعام ١٣٥ .

النتيجة : عاقبة الإرهاب الخيبة والخسران .

ومن وجوه الإبتلاء والاختبار في الحياة الدنيا رفقاء السوء ، وإغواء الشيطان ، وتزيين ما هو خلاف الفلاح ، وتصويره وكأنه أمر مندوب ومستحب ، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وآيات الفلاح في القرآن مدرسة في مناهج القول والعمل ، قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[3] لبيان قانون أن الصلاة والخشوع والإنقطاع إلى الله تعالى حاجة في الدنيا والآخرة .

ومن خصائص القرآن تفضل الله بجعله ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[4] ومنه آيات حجب الفلاح عن الإنسان بالدنيا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[5] و﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[6] وفيه زجر عن الإرهاب لما فيه من الذم للذين يرتكبون الذنوب والمعاصي والجرائم .

ومن فضل الله عز وجل جعله الطريق إلى الفلاح والنجاح مفتوحاً إلى حين مغادرة الإنسان إلى عالم البرزخ حيث يلقاه منكر ونكير بالمساءلة الإبتدائية ، قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾[7].

---

(١) سورة الجاثية ١٨.

(٢) سورة البقرة ١٨٩.

(٣) سورة المؤمنون ١-٢.

(٤) سورة النحل ٨٩.

(٥) سورة يونس ١٧.

(٦) سورة الأنعام ١٣٥ .

(٧) سورة القصص ٦٧.

وأيهما أكثر في الحياة اليومية سبل الفلاح أو طرق الضلالة ، الجواب هو الأول ، إذ تفضل الله عز وجل وقرّب عمل الصالحات للإنسان .

متى بدأ الزجر عن القتل

من إعجاز القرآن بيانه للقبح الذاتي للقتل والضرر الشخصي والمجتمعي المترتب عليه ، لذا كان الملائكة أول من حذر الناس من القتل من قبل أن يهبط آدم إلى الأرض ، وجاء تحذيرهم بالخطاب والتوسل إلى الله عز وجل ، بعد أن أخبرهم الله عز وجل بخق آدم وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] لعلمهم بأن قلوب وجوارح الناس ستكون بيد الله عز وجل ، وهو القادر على إصلاحهم ، تسألوا كيف ينال مرتبة الخلافة السامية في الأرض من يقتل غيره ظلماً وجوراً ، كما ورد في التنزيل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2] ليكون من الفساد المذكور في الآية أعلاه بخصوص القتل وجوه :

الأول : قانون سفك الدماء فساد .

الثاني : فزع وإخافة الناس من القتل ، فيقع القتل على نحو القضية الشخصية ، ولكن الخوف يدخل إلى نفوس كثير من الناس .

وجاء زمان العولمة ليكون الفعل الإرهابي الشخصي سبباً لدخول الخوف إلى قلوب الملايين من البشر من مختلف الأمصار ، وهذا الخوف لا يكون مجرداً بذاته فقد يصاحبه رد فعل وتأثر وظلم وتعد على الأبرياء بلحاظ الهوية والملة والإنتساب ، لبيان قانون العمل الإرهابي ضرر محض على الفرد والجماعة والأمة .

الثالث : إقتران القتل بالتخريب وتلف الأموال .

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

الرابع : شكوى الملائكة من الحروب التي تقع بين بني آدم ، وهل يدل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] على زجر الناس عن الإقتتال والحروب ، الجواب نعم لأولوية الأخوة النسبية ، والإلتقاء في خلافة الأرض .

الخامس : يدل تساؤل الملائكة في مفهومه على حرمة سفك الدماء ، والقتل ثأراً وطمعاً وسعياً في الفساد ونهب الأموال .

وهل تعلم الملائكة بالآثار الإجتماعية العامة للقتل والإرهاب فلجأت إلى الله عز وجل تسأله تنزيه الأرض منها ، المختار نعم ، لبيان أن هذا التفسير من فضل الله وليس المقصود به فئة مخصوصة إنما هو حكم عام بخصوص الإرهاب أمس واليوم وغداً ، بلحاظ قانون التفسير مرآة لأحكام القرآن ، وبيان لشواهد تضئ مسالك العاملين بها .

و(عن ابن عباس قال : لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2] وقد كان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان ، ففسدوا في الأرض ، وسفكوا الدماء ، فلما أفسدوا في الأرض بعث عليهم جنوداً من الملائكة ، فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور .

فلما قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما فعل أولئك الجان فقال الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة البقرة ٣٠.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر مثله ، أي أنهم قاسوا الشاهد على الغائب وعملوا بأصل الإستصحاب .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : كان إبليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث ، فكان خازناً من خزان الجنة .

وخلقت الملائكة كلهم من نور غير ذلك الحي ، وخلقت الجن من مارج من نار . وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت ، فأول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء وقتلوا بعضهم بعضاً .

فبعث الله اليهم إبليس في جند من الملائكة فقتلهم حتى ألحقهم بجزائر البحور واطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغتر بنفسه وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة .

فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [1] كما أفسدت الجن قال ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول : إني قد أطلعت من قلب ابليس على ما لم تطلعوا عليه من كبره واغتراره)[2].

ولم يرفع عبد الله بن عباس الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن (أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر ، والأبيض ، والأسود ، وبين ذلك والسهل ، والحزن ، والخبيث ، والطيب)[3].

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) الدر المنثور ٦٥/١.

(٣) الدر المنثور٦٨/١.

لبيان أن الإختلاف في لون البشرة والطائفة لا يخرج بني آدم من الأخوة النسبية .

فتفضل الله عز وجل وبعث الأنبياء والمرسلين ، وأنزل الكتب السماوية لهداية الناس جميعاً ، وإصلاحهم ، وقهر النفس الغضبية والشهوية .

لقد ابتدأ زجر الناس عن القتل من حين أخذ الله عز وجل على الناس العهد والميثاق وهم أرواح في عالم الذر ، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1] كما جاء على لسان الملائكة بتضرعها إلى الله لتنزيه الأرض من سفك الدماء بقولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2].

قانون ملازمة الرعب للشرك بالله

وردت كلمة (الرعب) أربع مرات في القرآن تتعلق بالذين كفروا قال تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾[3].

وقد صدر الجزء الثالث والعشرون بعد المائة من هذا السِفر خاصاً بتفسير هذه الآية الكريمة .

لبيان مسائل :

الأولى : لا يلقي الرعب في عامة القلوب إلا الله عز وجل .

الثانية : إلقاء الرعب عقوبة حالية في الدنيا .

---

(١) سورة الأعراف ١٧٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

الثالثة : قانون الرعب زاجر عن إتصال تعدي وظلم الذين كفروا ، إذ نزلت هذه الآية في معركة أحد .

الرابعة : قانون الرعب سلاح من عند الله عز وجل موجه للذين كفروا ليكفوا أيديهم عن محاربة النبوة والتنزيل .

الخامسة : من الخصائص التي انفرد بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قذف الله عز وجل الرعب في قلوب أعدائه ، وهل فيه حجة على المؤمنين بحرمة الظلم والإرهاب ، الجواب نعم .

إذ أن كف الأيدي عن الإرهاب من الشكر لله عز وجل على نعمة إلقاء الله عز وجل الرعب في قلوب أعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأثر هذا الرعب في وهنهم وضعفهم .

وفي سبب نزول الآية أعلاه ورد (عن السُّدي قال: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجِّهين نحو مكة، انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق.

ثم إنهم ندموا فقالوا: بئس ما صنعتم، إنكم قتلتموهم، حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم! ارجعوا فاستأصلوهم .

فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب، فانهزموا. فلقوا أعرابيًّا، فجعلوا له جُعْلا وقالوا له: إن لقيت محمدًا فأخبره بما قد جمعنا لهم .

فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد، فأنزل الله عز وجل في ذلك، فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما قُذف في قلبه من الرعب فقال ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾[1])[2].

لقد كان عدد جيش المشركين ثلاثة آلاف قتل منهم اثنان وعشرون ، بينما عدد الصحابة سبعمائة قتل منهم سبعون غير الذين تفرقوا وانهزموا .

---

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) تفسير الطبري ٢٨٠/٧.

وهل من موضوعية لعبادتهم الأوثان في اختراق الرعب لقلوبهم ، الجواب نهم .

وهو الذي تدل عليه الآية أعلاه بقوله ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ .

لبيان إلقاء الرعب في قلوب مشركي قريش لإجتماع محاربتهم لله ورسوله ، وعبادتهم الأوثان .

ويبين هذا التعليل ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾ قانون مصاحبة الرعب للذين كفروا من حين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى أن يغادروا الدنيا إلا الذين تدركهم التوبة ، ويدخلون الإسلام ، قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1].

الرعب سلاح أمن

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً بالمعجزة الحسية والعقلية فآمنت طائفة من أهل مكة ، ولكن رؤساء الشرك خافوا على مقامات العز ووفرة المال التي عندهم ، وأبوا الإنصياع لأحكام الحلال والحرام .

فتلقوا بعثته والتنزيل بالجحود ، وأصروا على البقاء على الكفر ثم قاموا بالهجوم على المدينة لإرادة قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معركة بدر فأمر الله عز وجل الملائكة بالنزول لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وتفضل الله عز وجل بالقاء الرعب في قلوب المشركين ، فلا يقدر مخلوق على النفاذ إلى القلوب لبيان أمور :

الأول : قلوب العباد بيد الله عز وجل .

الثاني : قانون لا سلطان على قلوب الناس إلا لله عز وجل .

الثالث : فضل الله عز وجل في إصلاح القلوب .

(١) سورة طه ٨٢.

الرابع : قانون الحاجة للدعاء لإصلاح القلوب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[١].

ومن صلاح القلوب تسليم عامة الناس بالقبح الذاتي للإرهاب ، وإنكارهم لفعله .

وقال تعالى ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[٢].

و(عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما أصيب بصره يقول : لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى ، فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس ، وأوحى الله إليهم ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وتثبيتهم أن الملائكة عليهم السلام تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول : ابشروا فإنهم ليسوا بشيء والله معكم كروا عليهم.

فلما رأى إبليس الملائكة ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾[٣] وهو في صورة سراقة ، وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم فإنه كان على موعد من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه.

ثم قال : واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه في الحبال ، فلا تقتلوا وخذوهم أخذاً)[٤].

---

(١) سورة الفرقان ٧٧.

(٢) سورة الأنفال ١٢.

(٣) سورة الأنفال ٤٨.

(٤) الدر المنثور ٤/٤٢٣ .

وهل يجلب الظلم لصاحبه الرعب ، الجواب نعم ليكون كابوساً يجعل السهاد مصاحباً له ، ويمنعه من الرقاد بطمأنينة .

فالرعب سلاح مانع من العدوان ، ويبعث الأمن العام ، وهو سبب للسلم المجتمعي ، وكفاية شر الأشرار .

وبالإسناد (عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم أُوتِيتُ خَمْسًا لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ كَانَ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَيُرْعَبُ مِنِّي الْعَدُوُّ عَنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ .

وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي .

وَبُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَقِيلَ لِي سَلْ تُعْطَهْ فَاخْتَبَأْتُهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)(١).

والمراد من الأحمر والأسود الناس جميعاً على اختلاف اجناسهم وصورهم وهو مصداق لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾(٢).

قَالَ الْأَعْمَشُ فَكَانَ مُجَاهِدٌ يَرَى أَنَّ الْأَحْمَرَ الْإِنْسُ وَالْأَسْوَدَ الْجِنُّ)(٣).

ويدل الحديث على أن النبي محمداً لم ينتصر بالسيف أو الغزو إنما بتأييد ومدد من عند الله ومنه قذف الرعب في قلوب أعدائه لأنهم مشركون عبدة للأوثان ، أصروا على محاربة الله ورسوله بالسيوف .

وهذا القول لا يتعارض مع جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت والمهاجرين والأنصار في الميدان وسقوط أربعة عشر شهيداً في معركة بدر وسبعين في معركة أحد وغيرهم إنما أظهر الحديث قانون تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن عدوه يخاف منه مسيرة شهر .

---

(١) مسند أحمد ٣٠٣/٤٣ .

(٢) سورة سبأ ٢٨.

(٣) مسند أحمد ٣٠٣/٤٣ .

والمراد من الشهر بعد المسافة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين المشركين ، وفضل الله في إخافتهم ، وكان بين المدينة واعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قرى ومدن أخرى أقل من مسيرة شهر .

ولبيان أن الله عز وجل خفف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة في قتالهم إذ يقاتلون مشركين امتلأت قلوبهم بالرعب والفزع والخوف .

ويأتي الرعب للذين كفروا في ميدان القتال أيضاً كما في قوله تعالى ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1].

وفي هذا الحديث أعلاه مسائل :

الأولى : يدل هذا الحديث على أن النبي محمداً لم يغز أحداً ، وقد صدرت تسعة وعشرون جزء من تفسيري للقرآن (معالم الإيمان) بخصوص لم يغز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً.

الثانية : هذا الرعب من مصاديق الرحمة في قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

الثالثة : نزول الملائكة في معارك الإسلام الأولى لبعث الرعب في قلوب المشركين ، وفيه نصوص وأخبار عديدة .

الرابعة : تأكيد أن نصر النبي والصحابة في معارك الإسلام الأولى بفضل من الله ، لذا نسب الله عز وجل النصر لنفسه في معركة بدر ، إذ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال ١٢.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

الخامسة : هذا الحديث زاجر عن الإرهاب والعنف ، ودعوة لاتخاذ الإحتجاج والبرهان سبيل الجهاد .

السادسة : اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفوز بسلاح الرعب .

السابعة : لا يعلم ولا يحصي عدد المعارك وغزو المدينة الذي امتنع عنه الكفار بسبب الرعب الذي ملأ قلوبهم إلا الله عز وجل ، وهو من مصاديق قانون التخفيف في الحياة الدنيا ، وقوله تعالى ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾(١) وعمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٢).

لكل آية من القرآن غايات حميدة ، وليس من حصر لمصاديقها، وتتضمن بالذات والعرض أسباب الهداية والصلاح ، ويمكن تقسيم غايات الآية القرآنية إلى قسمين :

القسم الأول : الغايات الدنيوية : وهي التي تتعلق بسبل الفلاح في الدنيا وماهية الأفعال.

القسم الثاني : الغايات الأخروية للآية القرآنية: وهي المنافع والثمرات والحسنات التي ترد للمسلم في عالم البرزخ ويوم القيامة من تعاهده للآية القرآنية ، وبين هذا القسم والقسم الأول عموم وخصوص مطلق من جهة نوع ومقدار وكم ومدة النفع من الآية القرآنية.

لقانون الإنتفاع من تلاوة القرآن والعمل بأحكامه في الآخرة من اللامتناهي .

---

(١) سورة الأنفال ٦٦.

(٢) سورة الرعد ٣٩.

قانون حضور الاحتضار

الحضور من الشهود نقيض المغيب ، ويقال بحضرة فلان أي بمشهد منه .

والاحتضار أوان الإشراف على الموت وسوق الروح ومغادرتها البدن .

وهذا العنوان والقانون (حضور الاحتضار) مستحدث هنا لما فيه من الدعوة العامة للإستعداد للموت ، والزجر عن الإرهاب وإزهاق الأرواح بغير حق ، ومن أظهر معانيه :

حال احتضار الذي يشرف على الموت وأن الإحتضار ينزل به ، بدليل قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد﴾[1] خطاب سماوي موجه لكل إنسان مسلماً كان أو كتابياً أو كافراً وعلى نحو العموم الإستغراقي ، فالآية تتحدى الناس جميعا من وجوه :

الأول : سكرات الموت أمر حتمي تأتي بأمر الله عز وجل ، وهي أمارة ومقدمة لقبض ملك الموت روح الإنسان .

الثاني : سكرة الموت حق وأمر حتم ، نعم هي من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب مختلفة شدة وضعفاً ، وكذا في قصر أو طول مدتها .

ولم يرد لفظ (سكرة) في القرآن إلا في هذه الآية ، وورد لفظ (سكرات) في الحديث النبوي .

الثالث : قانون هروب كل إنسان من سكرة الموت ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[2].

وأصل الحيد (الميل عن الشئ يقال : حدت عن الشئ أحيد حيداً ، ومحيداً إذا ملت عنه وابتعدت وهو محيد منه .

وإذا كان الموت أمراً وجودياً ، كما تدل عليه آيات عديدة منها ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[1] ، ومنها ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[2].

---

(١) سورة ق ١٩.

(٢) سورة الجمعة ٨.

فهل احتضار الميت أمر وجودي ، الجواب نعم ، وهو مقدمة للموت وهو الذي يدل عليه قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾(٣).

فهذه السكرة تأتي وتحل بالإنسان وفي الآية دعوة للمسلم للإجتهاد بالدعاء لتخفيف سكرات الموت عنه ، ولزوم اجتناب سفك الدماء والتفجيرات العشوائية ، والتبرأ والتنزه عن التعدي والإرهاب بجعل أفراد يلاقون سكرات الموت بالعنف والظلم ، وبعمر منخرم وبغير أوان الموت .

إن استحضار الإنسان لشدة حال الإحتضار الذي ينتظره يجعله بعيداً عن الإرهاب ، وعن الإضرار بالناس وإزهاق الأرواح .

السنة النبوية اليومية

قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(٤).

المراد من قرآن الفجر في الآية أعلاه صلاة الصبح يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار إذ تجتمع فيها ، وأول وقت صلاة الصبح هو الفجر الصادق.

وعليه الكتاب و(السنة النبوية اليومية) ، وهذا مصطلح مستحدث هنا.

إذ يمكن تقسيم السنة النبوية بلحاظ أفراد الزمان بخصوص الوقائع اليومية الثابتة التي يؤديها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم ، ومنها الصلاة خمس مرات في اليوم جماعة ، صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء .

ويمتد وقت صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ومنها كثرة تسبيح النبي

---

(١) سورة الملك ٢.

(٢) سورة الأنعام ٦١.

(٣) سورة ق ١٩.

(٤) سورة الإسراء ٧٨.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلاوته للقرآن خارج الصلاة والبشارة والإنذار والخلق الكريم.

فمن معاني قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١] تجدد مصاديق هذا الخلق بقول وفعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كل يوم من أيام حياته ، وفيه دعوة للمسلمين للصلاح ، والإمتناع عن الفساد والإرهاب لقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢].

وقد ذكرت في رسالتي العملية الحجة والمسجلة بدار الكتب والوثائق في بغداد برقم ٣٤٥ لسنة ٢٠٠١ وفي الصفحة ٢١٥ من الجزء الأول منها ((مسألة١٢) وقت صلاة الفجر ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وعليه النص والإجماع، ويعرف طلوع الفجر باعتراض البياض الأفقي الحادث المتصاعد في السماء).

وفي صحيحة عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام قال (لكلّ صلاة وقتان ، وأوّل الوقتين أفضلهما ، وقت صلاة الفجر حين ينشقّ الفجر إلى أن يتجلّل الصبح السماء)[٣].

ووقت طلوع الفجر هو أوان إمساك الصائم يحرم عليه بعد طلوع الفجر الأكل والشرب وسائر المفطرات ، وعليه الكتاب والسنة النبوية وإجماع المسلمين .

وصحيح أن وقت صلاة الفجر يمتد إلى طلوع الشمس ، ولكن لا يصح تأخيرها إلى قبيل طلوع الشمس بل يجب المبادرة إليها .

ومن الآيات في المقام التباين في طلوع الفجر بين بقاع الأرض ، ولا تمر بضع دقائق على أهل الأرض إلا وهناك صلاة تصلى في بلدة أو قرية وهو

---

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) الوسائل ١٠٢/٥ .

من معاني قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، بالصلاة .

والمراد من الوقت هو الوقت المخصوص للفريضة ، وصلاة الصبح ركعتان .

والنسبة بين وقت الصلاة ووقت فضيلتها عموم وخصوص مطلق فالثاني جزء من الأول ، ويبدأ وقت فضيلة الصبح من حين طلوع الفجر وأول الوقت هو أفضل أوقات أداء الصلاة.

ولزوم تعاهد المسلم للصلاة خمس مرات في اليوم حباً وطاعة لله عز وجل ، وهو برزخ دون الإرهاب أو الإنشغال بمقدماته .

ويبعث قيام المسلم بالوضوء وتهيئة مقدمات الصلاة السكينة في نفسه وتجعله راضياً مكتفياً بالفوز بنعمة كونه من المصليين ، وهو سبب للتنزه عن ظلم الآخرين .

إن ابتداء السلم نهاره بتلاوة القرآن وركوع وسجود طاعة لله عز وجل حبس للجوارح من التعدي والإرهاب .

وفيه دعوة عملية للناس للإطمئنان للمسلم ، لبيان أن السنة النبوية اليومية تبدأ النهار بذكر الله مع طلوع الفجر ، وتختتم بالتلاوة والإستغفار وصلاة العشاء .

وهذا الإصطلاح الجديد (السنة النبوية اليومية) ليس في طول السنة القولية والفعلية أو هو قسيم لهما ، إنما هو علم مستقل تستقرأ منه المواعظ ، كشعبة من الوحي ، ولتنظيم المسلم عمله اليومي اقتباساً من أنوار الوحي والتنزيل ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٢].

(فجر: الفَجْرُ: ضَوْءُ الصَّبَاحِ انفجر الصبح. وتَفْجيرُ الماء)[٣].

وفي الحديث (أُعَرّسُ إِذا أَفْجَرْت وأَرْتَحِل إِذا أَسْفَرْت أَي أَنزل للنوم

(١) سورة الذاريات ٥٦.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) المحيط في اللغة ١١٢/٢.

والتعريس إذا قربت من الفجر وأرتحل إذا أضاء)[١].

ومن منافع الصلاة أنها حرز وأمان ، وفيه نصوص متواترة (وأخرج مسلم والبيهقي عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله في ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم)[٢].

ومن خصائص رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابتداء المسلمين نهارهم بصلاة الصبح مع طلوع الفجر ، ليكون افتتاح للعمل بذكر الله بصيغ الخشوع والخضوع له سبحانه ، وفيه تهذيب للنفس وتنمية لملكة التقوى ، وواقية من التعدي والظلم طيلة النار .

ومن الإعجاز في الشريعة الإسلامية أداء الصلاة خمس مرات في أوقات متفرقة من كل يوم لتكون التلاوة والذكر في كل صلاة طمأنينة للقارئ والسامع مسلماً كان أو غير مسلم عند أدائها وإلى حين الدخول في الصلاة التالية وهو من مصاديق الآية التالية .

وصلاة الصبح باب للرزق الكريم ، ومن أسرار تسمية صلاة الصبح ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ في قوله تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٣]، صدور المسلمين طيلة النهار عن آيات وأحكام القرآن لما في صلاة الصبح من تلاوة القرآن وما فيها من سنن الصلاح والرشاد والوقاية من الظلم والتعدي والإرهاب .

---

(١) لسان العرب ٤٥/٥.

(٢) الدر المنثور ١٠٣/٢.

(٣) سورة الإسراء ٧٨.

حرمة الإبادة الجماعية

لقد صادقت الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨ على اتفاقية منع الإبادة الجماعية في البند الثاني من الاتفاقية ، وثمة تعريف لمصطلح الإبادة الجماعية بأنه "أيّ من الأفعال التالية، المرتكَبة بقصد التدمير الكُلّي أو الجُزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، بصفتها هذه:

قتل أعضاء من الجماعة.

إلحاق أذى جسدي أو معنوي خطير بأعضاء من الجماعة.

إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يُراد بها تدميرها المادي كُلياً أو جزئياً.

فرض تدابير تستهدف الحيلولة دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

نقل أطفال من الجماعة، عنوةً، إلى جماعة أخرى.

وتفرض الاتفاقية إلزاماً عاماً على الدول الموقّعة بأن "تمنع وقوع الإبادة الجماعية وأن تعاقب مرتكبيها .

ومن خصائص النبي محمد مجيؤه بحرمة الإبادة الجماعية والقتل العشوائي ، ونزل القرآن بتنزيه المسلمين عن استحواذ النفس الغضبية ، وعن حب الإنتقام ، ولم يكن قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلا دفاعاً ضد هجمات المشركين ، وكان يترك المدبر والهارب ، ويقبل توبة التائب .

لقد أسس القرآن لقواعد الحرب التي تتقوم بالدفاع ، إذ يقسم الكفار إلى قسمين :

الأول :الحربي الذي يحمل السيف على الإسلام .

الثاني : غير الحربي .

فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لا يتعرضون لغير الحربي ، ولا لأمواله ، أما الحربي فان قاتل المسلمين ووقع في الأسر فان الله عز وجل أوصى بالعناية به ، كما ورد في قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ

عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1]، مع تحريم الأذى الجسدي ، وإن وقع في الرق فان العتق ينتظره بالكفارة بسبب يمين يحلفها المسلم ويريد حنثها ، أو ظِهار ، أو القتل ، أو العتق هبة وتقرباً إلى الله تعالى في تحرير الرقاب .

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً لبسط الأمن في الأرض ، وشيوع النكاح وكثرة الإنجاب ، وقد رغّب الله عز وجل بالزواج ، وضمن الرزق للناس بآيات عديدة منها قوله تعالى ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، لإنقطاع المسلم إلى عبادة الله ، والكسب للعيال وتربية الناشئة .

لقد سعى المشركون للإبادة الجماعية لأهل البيت والصحابة وفق تعريف الأمم المتحدة لمصطلح الإبادة الجماعية أعلاه من عدة جهات ، فأخزى الله المشركين ، ليشكر المسلمون الله عز وجل بتحليهم بالإمتناع عن الظلم والتعدي والإرهاب .

قانون النبي (ص) يقاتل كُرهاً

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يخطط لغزو مكة ودخولها فاتحاً لتحرير البيت الحرام من الأوثان ومجاوريه من عبادتها ، وحتى حينما توالى هجوم المشركين على المدينة فالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يجمع أصحابه للسير لفتح مكة أو استشارتهم للهجوم على مكة بعد الهجرة ، إنما سار بهم لأداء العمرة برؤيا وحي ، إذ قال الله تعالى ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ

(١) سورة الإنسان ٨.

(٢) سورة النور ٣٢.

مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[1].

وأول معارك الإسلام هي معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

وسبب هذه المعركة دعوة صادرة من قافلة أبي سفيان ، إذ كتب إلى قريش بتعرض القافلة من قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، ولا أصل أو موضوع لهذه الدعوى ، إذ قام أبو سفيان رئيس القافلة بإرسال ضمضم بن عمرو إلى قريش لتنفر لإنقاذ القافلة ، فجعلوا الخروج في ثلاثة أيام .

(فتجهز الناس سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم أحدٌ إلا أبا لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وعزم أمية بن خلف الجمحي على القعود، فإنه كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً، فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار وما يتبخر به .

وقال : يا أبا علي استجمر، فإنما أنت من النساء. فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به ، وتجهز وخرج معهم. وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود ، فقال له أخوه شيبة: إن فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا، فامض مع قومك، فمشى معهم .

لتكون الأسماء الأربعة أعلاه من بين أسماء القتلى يوم بدر .

فلما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة ابن الحارث فخافوا أن يؤتوا من خلفهم، فجاءهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي، وكان من أشراف كنانة، وقال: أنا جار لكم فاخرجوا سراعاً وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألف رجل، وكانت خيلهم مائة فرس)[2].

---

(١) سورة الفتح ٢٧.

(٢) الكامل في التأريخ ٢٨١/١.

وسرعان ما تبين زيف وبطلان هذه الدعوى وأن النبي محمداً لم يتعرض للقافلة ، وواصلت القافلة سيرها إلى مكة ، فكتب لهم أبو سفيان أن أرجعوا فقد سلمت القافلة .

إذ (أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم؛ فقد نجاها الله، فارجعوا .

فقال أبو جهل ابن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب، تجتمع لهم بها سوقٌ كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا أبداً؛ فامضوا)[1].

فظاهر كلامه أنه صرف النظر عن القتال ولكن عندما رأت قريش النبي محمداً وأصحابه اصطفت للقتال ، وأرادوا استئصال المسلمين الذين كان عددهم أقل من ثلث عدد جيش قريش ، وليس عندهم من السلاح والمؤون ما يكفي .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يرغب بعدم وقوع القتال ، وأمر أصحابه بعدم الإبتداء بالقتال ، وبالصبر إذا تم التعدي عليهم ، وكان يأمل إنصراف جيش المشركين .

لبيان قانون امتناع المسلم عن الإبتداء باستعمال السلاح ، وقانون حرمة الإضرار بالناس تأسياً برسول الله ، ومن باب الأولوية .

فاذا كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتحمل أذى المشركين ، فلا يصح الخروج على القوانين والأعراف والتعدي على الناس وأموالهم ، ولا نشر الخوف والرعب بينهم .

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ١/٤٤٤.

العناية بالجار

من خصائص الإسلام توصية الكتاب والسنة بالجار مطلقاً ، سواء كان مسلماً أو غير مسلم ، غنياً أو فقيراً .

قال تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[1] لبيان مجئ القرآن والسنة بالعناية بالجار والإحسان له وتحمل أذاه ، بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الكريمة ، وورد عنه انه قال (ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه)[2].

ترى كم دار من الجيران وصلت اليهم إفاضات هذه النعمة ونالوا من تلك المكرمة والعطف واللطف ذي التركيبة السماوية الخاصة والسنخ القدسي والمصدر الملكوتي.

والجيران جمع جار وهو لغة الملاصق في السكن من الجور أي الميل لأن ظل بيته يميل على بيتك وقد يراد منه معنى الإجارة والألفة .

والجار شرعاً هو ما وردت الإشارة اليه فيما رواه الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : كل اربعين داراً جيران بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله [3].

وفي المقام وجوه :

الأول : حسن الجوار واجب شرعي وعقلي .

الثاني : قانون حسن الجوار برزخ دون الإرهاب والتهديد .

الثالث : حسن الجوار من مكارم الأخلاق .

الرابع : قانون التضاد بين حسن الجوار والإرهاب .

---

(١) سورة النساء ٣٦.

(٢) صحيح البخاري ٥٣/٤.

(٣) الكافي ٨٩٧/٢.

الخامس : حرمة التطرف العنيف مع الجار .

السادس : حسن الجوار صلة اجتماعية تطيل العمر ، وتبعث على السكينة ، وهناك تضاد بين الإرهاب والسكينة .

وروى أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (أمر مناديه ينادي : ألا إنّ أربعين داراً جوار ، ولا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)[١].

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٢]، وصية النبي بعموم الجيران ، وسعة الجوار لأربعين داراً من كل جهة ، وتشمل الآية أعلاه الصاحب بالسفر .

(وقال مُجَاهِد أيضا في قوله ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ يعني الرفيق في السفر)[٣].

وعن (أبي شريح الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)[٤].

و(عن ابن عمر : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة ، يقول : يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه)[٥] مما يدل بالأولوية القطعية على حرمة إيذاء وخيانة الجار والغدر به .

وبالإسناد (عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما زال جِبرِيل يوصيني بالْجَارِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِثُه)[٦].

ويتعلق موضوع الجزية وأهل الذمة بدفع غير المسلمين الذين في حماية الدولة الإسلامية .

---

(١) تفسير البحر المحيط ١٢٧/٤ .

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٩٨/٢.

(٤) الدر المنثور ١١٥/٣.

(٥) الدر المنثور ١١٥/٣.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٩٨.

والمواطنة عقد كريم ورد ذكره في القرآن بلفظ الشعوب ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

وقدم القرآن الشعوب على القبائل لبيان الألفة والروابط الإجتماعية والعقدية والنفسية بين أبناء الشعب الواحد بالفطرة ، ولأن الرابطة بين أفراد الشعب الواحد أكبر وأعم .

وتبعث هذه الآية على التآلف بين الناس وإن اختلفت مللهم ومذاهبهم ، فتنصهر المذاهب في بودقة المواطنة والشعب الواحد لبناء البلد بعيداً عن الظلم والتعدي ، فلما حرم الإسلام إيذاء الجار وان كان من ملة أخرى ، فان أبناء الشعب الواحد يحرم بينهم الظلم والتعدي والإرهاب .

والمختار أنه لا جزية في هذا الزمان لأن الدول بنيت على دساتير وقوانين وضعية عامة يتساوى فيها الناس في الحقوق والواجبات .

والتزاماً باقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته الكريمة وورد عنه انه قال : ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه[2].

ترى كم دار من الجيران في الأجيال المتعاقبة وصلت اليهم افاضات هذه النعمة نعمة حسن الجوار ونالوا من تلك المكرمة واكلوا من ذلك الطعام المبارك ذي التركيبة السماوية الخاصة والسنخ القدسي والمصدر الملكوتي ، الجواب لا يحصي أفراد هذه النعمة إلا الله ، وهو من مصاديق ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات ١٣.

(٢) صحيح البخاري ٥٣/٤.

(٣) سورة الجن ٢٨.

بين المواطنة وأهل الذمة

لقد جاء الكتاب والسنة بحرمة القتل وسفك الدماء مطلقاً ، والنسبة بين الإرهاب والقتل عموم وخصوص من وجه ، فمادة الإلتقاء القتل ، ومادة الإفتراق تعدد أضرار الإرهاب بالأنفس والأموال والحقوق وأحوال المجتمع ، وتعدد أسباب القتل .

و(عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)[1].

و(عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَقْتُلُ نَفْسًا مُعَاهَدَةً إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَرَائِحَتَهَا أَنْ يَجِدَهَا قَالَ أَبُو بَكْرَةَ أَصَمَّ اللَّهُ أُذُنِي إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَقُولُهَا)[2].

وأهل الذمة هم الكتابيون من اليهود والنصارى ونحوهم في بلاد الإسلام ، فهم في ذمة الإسلام ، والنسبة بينهم وبين المواطنة في هذا الزمان عموم وخصوص مطلق ، فالمواطنة أعم لتشمل هذه النصوص إلى جانب حرمة قتل الأخ في المواطنة حرمة إيذائه لموضوعية القوانين والتساوي في الحقوق والواجبات .

وتشمل هذه الأحاديث أهل البلاد المختلفة لتعدد المذاهب والملل في كل بلدة ، والتقارب بينها وموضوعية حرمة الجوار ، والإحسان إلى الجار مطلقاً مع اختلاف المشارب والمذاهب رحمة من عند الله عز وجل ، وباب لسيادة الأمن العام ومناسبة للعمل والبناء .

---

(١) الدر المنثور ١٩٢/٣ .

(٢) مسند أحمد ٤٢٨/٤١.

إحصاء آيات النهي عن الإرهاب وتحريمه

لقد صاحب الإحصاء بني آدم ، وله موضوعية في الحياة اليومية والعبادات والمعاملات لبيان أن الإحصاء حاجة عامة للناس .

ومن أسماء الله (المحصي) فهو الذي أحصى كل شئ بالأجزاء والكليات ، وفي التنزيل ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1] ولم يرد الفعل ﴿يَعْزُبُ﴾ في القرآن إلا مرتين في ذات موضوع انفراد الله عز وجل باحصاء الخلائق الموجود والمعدوم .

ويمكن القول أن القرآن كتاب الإحصاء لما فيه من العلوم ، ولمجئ السنة النبوية بالبيان والتفسير لآيات القرآن ، وذكر الوقائع التي تتعلق بآيات القرآن إلى جانب أسباب النزول .

وتتقوم الأصول العقائدية بالبيان والتصريح والتكرار في آيات متعددة ، كما في آيات التوحيد والرسالة والإيمان بالملائكة واليوم الآخر .

ولا تصل النوبة إلى الإستنباط في الأصول لأن المدار على النص ، وحتى التكاليف تكررت في القرآن وبالتصريح مثل إقامة الصلاة وإتيان الزكاة .

وقد أنزل الله عز وجل القرآن وفيه تحريم الظلم في آيات متعددة ، ولم يرد لفظ (الظلم) في القرآن ولكن وردت آيات تنهى عن الظلم وأخرى تتضمن الإخبار عن العقاب الأليم للظالمين ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

والنسبة بين الظلم والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالإرهاب فرع من الظلم ، وهو ظلم للذات والغير .

ونزلت آيات تنهى عن التعدي وتصرح بحرمته ، والإنذار على فعله ،

---

(١) سورة يونس ٦١.

(٢) سورة يونس ٤٤.

منها قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١).

والإرهاب تعد على الناس والحقوق والأنظمة ، وهو ضد وخلاف ما جاءت به الشرائع السماوية ، وهذا الضد تظهر قبحه سنن السلم والإحسان العام في باب العقائد والأحكام ، إذ نزلت آيات القرآن بالدعوة إلى السلم والصلح والموادعة ، قال تعالى ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ...﴾(٢).

ومن الآيات التي تنهى وتحرم الإرهاب الفعلي والفكري الآيات التي تنهى عن الظلم والتعدي .

وهل تدل آيات إيذاء الأنبياء على النهي عن الإرهاب ، الجواب نعم ، لقانون إيذاء الأنبياء إرهاب ومدرسة للإتعاظ من سيرتهم وقصصهم ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(٣).

لذا جاء في دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾(٤).

وإحصاء الآيات القرآنية التي تنهى عن الإرهاب منطوقاً ومفهوماً حاجة في هذا الزمان لما فيه من الفقاهة والتعليم والآداب العامة ، وإصلاح للمجتمعات ، وهذه الآيات على أقسام :

الأول : الآيات التي تنهى عن العنف والإرهاب والظلم صراحة .

الثاني : الآيات التي تتضمن الوعيد على الظلم والتعدي .

الثالث : مفهوم آيات السلم والحوار والإحتجاج ، وضروب استنباط أحكام حرمة الإرهاب منها .

---

(١) سورة البقرة ١٩٠.

(٢) سورة النساء ١٢٨.

(٣) سورة يوسف ١١١.

(٤) سورة البقرة ١٢٦.

حرمة البغي

المراد من البغي الظلم والكبر والتعدي ، وردت كلمة (البغي) ثلاث مرات في القرآن مع التباين في موضوعها .

ويمكن تقسيم النهي عن البغي إلى شعب :

الأولى : الحكم التكليفي بحرمة البغي ، فلا يصح البغي من أي إنسان ، إذ وردت الحرمة بصيغة الإطلاق ، وقرنه الله عز وجل مع حرمة الشرك قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

لتتضمن الآية أعلاه خمسة أفراد من النواهي ، وهو من إكرام الله عز وجل للمسلمين وتفقههم في الدين في تعدد النواهي في آية واحدة من القرآن من بين (٦٢٣٦) آية مجموع آيات القرآن ، وتقيد المسلمين بهذه النواهي إلى جانب عملهم بالأوامر ، نعم .

ومن إعجاز القرآن تفسير القرآن بالقرآن ، وتؤكد الآية القرآنية ما ورد في آية أخرى من الأوامر والنواهي ، وفيه وجوه :

الأول : هذا التفسير من مصاديق البيان ، قال تعالى ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

الثاني : إنه من اللطف الإلهي ، وتقريب الناس إلى منازل التقوى .

الثالث : منع الإختلاف بين المسلمين في تأويل آيات الأحكام والسنن .

الثانية : حرمة البغي بالحكم الوضعي الذي هو خطاب الشارع بجعل الشئ سبباً أو شرطاً ، أو مانعاً مما يلزم من وجوده عدم إيجاد ذات الشئ المتعلق به مثل الحيض مانع من صحة الصلاة والصيام ، والكفر مانع من ميراث المسلم .

---

(١) سورة الأعراف ٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٣٨.

الثالثة : مجئ الكتاب والسنة بالنهي عن البغي (عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم : مَا مِنْ ذَنْبٍ أَحْرَى أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعُقُوبَةَ لِصَاحِبِهِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)[1].

الرابعة : قبح البغي عقلاً وعرفاً ، ونفرة النفوس منه .

ومن معاني البغي المنهي عنه :

الأول : ظلم الإنسان لغيره وإيذاء الناس .

الثاني : التعدي ومجاوزة الحد .

الثالث : الكبر والتعالي والإستطالة على الناس .

الرابع : الإستحواذ على حقوق الآخرين بالسلطة والجاه والشأن .

الخامس : العدوان والتعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

السادس : حجب وتضييع حقوق الناس .

السابع : تخويف الآمنين والإرهاب .

الثامن : الإضرار بالممتلكات العامة والخاصة ، والخروج عن آداب وقوانين المواطنة .

ترى ما هي النسبة بين البغي والإرهاب ، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فكل إرهاب شخصي أو عام هو بغي وليس العكس ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وهذه الآية من آيات الإنذار العام ، إذ توجه فيها الخطاب إلى الناس جميعاً ، وتفيد الألف واللام في (الناس) العموم الإستغراقي ، لبيان لزوم الحذر من التعدي والإساءة للناس .

---

(١) مسند أحمد ٣٦٢/٤١ .

(٢) سورة يونس ٢٣.

ومن معاني صيغة الجمع في هذه الآية الزجر عن المناجاة بالبغي والإرهاب والإضرار بالناس .

ونزل بلغة الإنذار والوعيد قوله تعالى ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، وفيه دعوة لكل مسلم وكل إنسان أن يجعل الحسنات تسبقه إلى الآخرة .

قانون التضاد بين الإسلام والإرهاب

ضد الشئ خلافه ، ويقال القوم على ضد واحد أي اجتمعوا في مخاصمته .

والضد في الإصطلاح هو المنافي بحيث يمتنع اجتماع الضدين في محل واحد مع إمكان رفعهما ، كالسواد والبياض فهما متضادان ويرتفعان بلون آخر كالأصفر والأزرق .

والإسلام لغة هو الإنقياد والخضوع ، ويقال أسلم واستسلم أي انقاد ،ومنه قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[2]، والإسلام في الإصطلاح هو الدين السماوي والشريعة السمحاء التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على فترة من الرسل .

فبين عيسى عليه السلام وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو ستمائة سنة ليس فيها نبي حتى عبد مجاورو البيت الحرام الأصنام ، وهم أولى الناس بتعاهد سنن التوحيد ، والحنيفية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام ، قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[3].

ومن أركان الإسلام النطق بالشهادتين ، وإقامة الصلاة بأداء المسلم والمسلمة لها خمس مرات في اليوم ، قال تعالى ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى

---

(١) سورة الكهف ٤٩.

(٢) سورة الصافات ١٠٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٩.

غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[١].

لتشمل هذه الآية الكريمة أوقات الصلاة ، وجاءت السنة النبوية القولية والفعلية اليومية المتكررة التي تغشت سنوات الرسالة على تعاهد أوقات الصلاة الخمسة .

ومن خصائص الإسلام أنه دين الرحمة لمن ينتسب إليه وللناس جميعاً رغم الإختلاف بين الناس في المشارب والأقطار واللغات لما في مبادئ وأحكام الإسلام من حفظ الحقوق والمساواة والبشارة بالثواب العظيم في الآخرة ، ويتجلى قانون التضاد بين الإسلام وأسباب الهلاك والضلالة والدمار العام .

لقد نزل القرآن بوجوب الإيمان بالله عز وجل والملائكة والرسل والكتب السماوية التي أنزلها الله على الأنبياء بما يتضمن تنظيم الصلات بين الناس بالعدل والإحسان ، وليتجلى قانون صيانة الإسلام للعهود والمواثيق ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[٢].

ومن مبادئ الإسلام قانون التنزه عن الغدر والظلم والتعدي ، وهذا التنزه من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣] .

لبيان قانون التضاد بين أحكام الإسلام والإرهاب .

لقد تضمنت أحكام وسنن القرآن ما يرضي الله عز وجل ، ويتنافى الظلم والإرهاب معها على نحو تدركه العقول ، وهو ظاهر في العرف والمعاملات ، وهل إقامة الصلاة خمس مرات في اليوم جماعة وفرادى حرب على الإرهاب ومنع يومي منه .

الجواب نعم ، ومن مبادئ الإسلام قانون التحلي بالأخلاق الحميدة ،

---

(١) سورة الإسراء ٧٨.

(٢) سورة الإسراء ٣٤.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

وتحرم هذه الآية مستقلة على المسلم الإرهاب ومقدماته ، لأن الخطاب فيها للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكنها حكم عام للمؤمنين ، كما تحرمه بالجمع بينها وبين آيات قرآنية أخرى منها قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٢)، لبيان وجوه :

الأول : قانون الإسلام سلام دائم .

الثاني : قانون نبذ الإسلام للأخلاق المذمومة ، ومنها الظلم والبغي والتعدي .

الثالث : قانون السنة النبوية ضياء وحجة .

الرابع : التضاد بين الخلق الكريم وبين الإرهاب أمس واليوم وغداً .

الخامس : السنة النبوية القولية والفعلية مدرسة الوحي في النهي عن الإرهاب.

قانون السنة النبوية هداية وصلاح

السنة لغة السيرة والطريقة سواء كانت حسنة أو غيرها (عن جرير بن عبدالله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيء . ثم تلا هذه الآية ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(٣))(٤).

وقال خالد بن عتبة الهذلي :

---

(١) سورة القلم ٤.

(٢) سورة الأحزاب ٢١.

(٣) سورة يس ١٢.

(٤) الدر المنثور ٨/٢٩٣.

(فَلاَ تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّة أَنْتَ سِرْتَها ... فَأَوَّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُها)[١].

ومن معاني السنة في الإصطلاح :

الأول : الأوامر والنواهي والأحكام التي تفضل الله عز وجل بها ، وفي التنزيل ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[٢].

لبيان أن معنى السنة هنا أعم من المستحب .

الثاني : السنة ما ثبت عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى القول أو الفعل أو التقرير أو التدوين ، فهي مصدر للتشريع ، ودليل وحجة ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[٣]، وهذا المعنى في مقابل الكتاب لذا يقال الأدلة الأربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل أو القياس .

والمختار أن الأدلة هنا على نحو الترتيب ، فالكتاب والسنة أولاً .

الثالث : السنة الأمر المشروع والمقبول والطريقة .

الرابع : السنة بمعنى الإستحباب فيقال التكاليف خمسة : الواجب ، والسنة ، والمباح ، والمكروه ، والحرام ، ويعبر عن السنة هنا بالمندوب ، والمستحب.

ومن المستحب الأكل باليمين (روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبصر رجلاً يأكل بشماله فقال : كل بيمينك فقال : لا أستطيع ،فقال صلى الله عليه وآله : لا استطعت، قال : فما وصلت إلى فيه من بعد كلما رفع اللقمة إلى فيه ذهبت في شق آخر)[٤].

ولم يذكر المجلسي سند الخبر ، ولا الذي (قال) في الحديث أعلاه .

---

(١) المحرر الوجيز ٩/٢.

(٢) سورة الأحزاب ٣٨.

(٣) سورة النساء ٨٠.

(٤) البحار ٣٨٨/٦٣ .

نعم ورد نص الخبر أعلاه في مستخرج أبي عوانة[1] ت٣١٦ بالإسناد عن الصحابي سلمة بن الأكوع وهو المقصود بلفظ (قال) .

وعلى فرض سلامة سند الخبر فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عرف أن الكبر منع الرجل عن الأكل بيمينه .

فالسنة ما هو مستحب في الشريعة في مقابل الواجب فيها، فيقال النافلة سنة أي مستحبة وسميت بالسنة التأسيسية ، وذكر ابن القيم في إعلام الموقعين بخصوص أوجه السنة (ان تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن ايجابه او محرمة لما سكت عن تحريمه)[2].

والسنة بيان وتفسير للقرآن جاءت بالوحي لتتضمن تفاصيل الأحكام .

الخامس : كل فعل ثابت ومسنون في الشريعة في مقابل البدعة والمبتكر، وقيل هذا هو معنى السنة عند الفقهاء، ولكن معناها في عرف الفقهاء والأصوليين أعم ، وهو واحد في الجملة.

السادس : فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعم من السنة العامة فقد يفعل شيئاً في حالة مخصوصة ولكنه ليس بسنة وان تعلق بحكم شرعي ويسمى قضية في واقعة أي لا تصلح للتعميم في الإستدلال.

وفي حديث ابن عباس : رمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس بسنة أي لم يسنه للأمة من بعده بل لسبب خاص وواقعة .

والرمل : المشي السريع والهرولة.

ففي عمرة القضاء رمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، لأن المشركين قالوا يقدم عليكم محمد وأصحابه وقد وهنهم حمى يثرب .

---

(١) وهو أبو عوانة الإسفراييني استخرج أكثر أحاديثه من صحيح مسلم وأضاف عليها ، وعدد النصوص في كتاب أبي عوانة سبعة آلاف حديث مسند ، طبع في خمسة أجزاء.

(٢) ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤٦٨/٢ .

فرمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأشواط الثلاثة الأولى وان يمشوا بين الركنين ، حيث لا يراهم المشركون ، أي أن الرمل مقابل دار الندوة .

فقد جلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر ، كما عن ابن عباس[١].

إذ (قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه صبيحة رابعة، أي من ذي القعدة، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة، ولم يمنعهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم)[٢].

(فقال المشركون: أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا) [٣].

ولم يكن عدد الصحابة المعتمرين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ قليلاً إذ كان عددهم ألفا وأربعمائة ، مما يدل على امتلاء المطاف بهم.

وذكر استحباب الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وسأل سعيد الأعرج الإمام الصادق عليه السلام (عن المسرع والمبطئ في الطواف، فقال: كل واسع مالم يؤذ أحدا)[٤].

---

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٣٥٧/٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٥٨/٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٨/٧ .

(٤) من لا يحضره الفقيه ٤١١/٣ .

السنة القولية

اختلف فيما يصدر عن النبي في المباحات ونحوها مما لا يكون في مقام التشريع ، والمختار أنه من السنة لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] بخلاف الجمهور.

والمراد من السنة القولية هي أحاديث وأقوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اما السنة الفعلية فهي أفعاله وأعماله في باب العبادات والمعاملات، والسنة التقريرية هي امضاؤه لفعل غيره من الصحابة وسكوته بما يفهم رضاه به كما في رضاه في كيفية بناء المسجد.

ويمكن القول بان السنة لها معنى خاص وهو قول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعمله وتقريره ورسائله وهو المتعارف لإصطلاح السنة عند عموم المسلمين، وعند الإمامية يكون المعنى الأعم للسنة هي قول وعمل وتقرير المعصوم لحجية قول الأئمة عليهم السلام ايضاً ولعدم جواز الخطأ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم عليهم السلام.

وان كانت مرتبة الرسول الأكرم متميزة بخصائص ينفرد بها صلى الله عليه وآله وسلم وسنته الشريفة هي الأصل وعنوان وحدة المسلمين واستدلالهم واستنباطهم للأدلة بعد القرآن، فهي المصدر الثاني للتشريع بعد الكتاب الكريم .

والسنة النبوية من رحمة الله عز وجل بالناس جاءت بالوحي لتتضمن تفاصيل الأحكام (روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال : أوتيت القرآن و مثليه) قالوا أراد به السنن و قيل أراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين)[2].

ومن الواجب بالسنة الختان للذكور .

وقد تجتمع السنة القولية والفعلية في موضوع واحد للحجة وافادة

---

(٢) سورة النجم ٣ – ٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ٢٦٥/٢.

الثبات والدوام ومنع الإختلاف كما في صلاته صلى الله عليه وآله وسلم وقوله (صلوا كما رأيتموني اصلي)[١].

وإجماع المسلمين على كون سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة ودليلاً في الأحكام بل هو ضرورة من ضرورات الدين، والعقل يحكم بلزوم اتباع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الإقرار بنبوته وأنه عليه السلام ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب بمنى فقال: ايها الناس ما جاءكم مني يوافق كتاب الله فانا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله[٣].

وقال الشاطبي في الموافقات: سنة الصحابة سنة يعمل عليها ويرجع اليها والدليل على ذلك امور وذكر ثناء الله عليهم ومدحهم بالعدالة لقوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٤] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٥][٦].

ولكن موضوع الآيتين لا ينحصر بالصحابة خطاباً وموضوعاً بالإضافة الى الإجمال في الخطاب واحتمال خروج بعض الأفراد بالتخصيص واستدل بالروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتباعهم.

وناقشه الغزالي فقال (فان من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته، فلا حجة في قوله، وكيف يتصور عصمة قوم يجوز عليهم الإختلاف وكيف يختلف المعصومان)[٧].

---

(١) سنن البيهقي ٣٤٥/٢ .

(٢) سورة النجم ٣ - ٤.

(٣) الكافي ٦٩/١.

(٤) سورة آل عمران ١١٠.

(٥) سورة البقرة ١٤٣.

(٦) الشاطبي / الموافقات ٧٤/٤ .

(٧) أبو حامد الغزالي / المستصفى ٤٢٤/١ .

والمختار أن موضوع الآيتين أعلاه يشمل الصحابة والتابعين وأجيال المسلمين على نحو العموم المجموعي ، وكل من الآيتين تحرم الإرهاب ، وتدعو المسلمين إلى التبرأ منه ومن الظلم ، وتبعث الآيتان على الصلاح وأداء الفرائض العبادية من غير إيذاء للناس .

وقد تجتمع السنة النبوية القولية والفعلية والتقريرية في موضوع واحد ، للبيان والتوثيق والحجة ، ومنه حرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على بسط الأمن وتأسيس السلم المجتمعي ، وتأكيد قانون حرمة الظلم والإرهاب .

إذ أن قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . . .﴾[1] يشمل أموراً :

الأول : العمل بأحكام وأوامر القرآن .

الثاني : اجتناب ما نهى الله عز وجل عنه في القرآن .

الثالث : بيان المستحبات التي يستحب اتيانها ، ولا يؤثم تاركها .

الرابع : الإخبار بالقول والفعل عن المكروهات التي تترك ، ولكن لا يؤثم فاعلها .

الخامس : تفسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لآيات القرآن بالقول والعمل .

وقد صدر الجزء (٢٥٣)و(٢٥٤) من هذا السِفر بعنوان (تفسير النبي (ص) للقرآن) .

السادس : مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأوامر ونواهي غير التي في القرآن ، وهو شعبة من الوحي ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

---

(١) سورة الحشر ٧.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

حد الحرابة

الحد لغة هو الحاجز والمانع ، وحد الشئ منتهاه ، والمحادة : المخالفة ، وهو في الإصطلاح عقوبة مقدرة واجبة مثل حد الزنا ، قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١) .

إذ أن المقدرات خمسة الرجم ، والقتل بغيره إن كان القتل عمداً ولم يعف ولي المجني عليه ، والجلد ، والتغريب ، وقطع يد السارق .

أما ما ليس له عقوبة محددة فيسمى تعزيراً ، والحد والتعزير لغة المنع والتأديب .

وورد في شارب الخمر في شهر رمضان أن الإمام علي عليه السلام ضربه عشرين سوطاً زيادة على الحد وهو ثمانون جلدة ، وقال هذا لجرأتك على شرب الخمر في شهر رمضان .

أما الحرابة فهي مأخوذه لغة من الحرب والمقاتلة بالسيف ، قال تعالى ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(٢) .

وأما في الإصطلاح فهي قطع الطريق في المدن أو القرى أو الجادة العامة ، والخروج على الناس ، وإشهار السلاح عليهم ، وإرعابهم ، وسلب أموالهم ، وإنتهاك الأعراض ، وعقوبة الحرابة مستقرأة من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

وأشد العقوبة هنا الجمع بين الصلب والقتل لإخافتهم الناس وسلب

---

(١) سورة المائدة ٣٨.

(٢) سورة محمد ٥.

(٣) سورة المائدة ٣٣.

الأمان والمال ، إذا جمع المحارب بين قتل شخص ما وبين نهب المال والسرقة ، وإن وقعا في حادثتين منفصلتين .

وتذكر الآية أعلاه أمور :

الأول : محاربة الله ورسوله ، والمتبادر منه لمعان السيوف وقتال المسلمين وليس قطع الطريق.

الثاني : اجتماع محاربة الله ورسوله مع السعي المتكرر في الفساد في الأرض ، ومنه قطع الطريق ، والسلب فيه .

الثالث : تخيير الإمام والحاكم في العقوبة بين القتل والصلب ، والصلب هنا التصليب حتى الموت ، وتقطيع الأيدي والأرجل .

أو النفي من البلد إلى بلد آخر .

والمراد من خلاف : أي قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى ، وقطع اليد اليسرى مع الرجل اليمنى من القدم ، وترك الكعب ، ليتمكن من الوقوف عليه إذا ضبط المحارب قبل التوبة .

والصلب في حد الحرابة هل هو قبل القتل أم بعده من جهة الترتيب بينهما في حد الحرابة .

وقال الحنفية والمالكية أنه يصلب حياً ، ثم يقتل وهو مصلوب بحربة ، وبه قال أبو يوسف ولأن الصلب بعد القتل ليس عقوبة .

ومذهب الشافعية والحنابلة ، يقتل ثم يصلب ، وفي الحديث القدسي ورد عن يعلى بن مرة ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قال الله : لا تمثلوا بعبادي)[1].

وعن (شداد بن أوس قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم : إن اللّه كتب الإحسان على كلّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)[2].

---

(١) الدر المنثور ٢٧١/٦.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٢/٥.

ويدل قوله تعالى أعلاه من سورة المائدة على التخيير بين القتل أو الصلب للتباين بين الحالات المختلفة ، وقد يتم نقل المحارب في مواجهة معه بالسيف .

أما الصلب فهو عقوبة بعد القبض عليه ، ولبيان التفويض للإمام والحاكم إن شاء قتله أو صلبه أو نفاه من الأرض أي من مصر إلى مصر ، وقد نفى الإمام علي عليه السلام رجلين من الكوفة إلى البصرة.

وفي صحيحة (جميل بن دراج قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾[1] إلى آخر الآية فقلت اي شئ عليهم من هذه الحدود التى سمى الله .

قال: ذلك إلى الامام ان شاء قطع وان شاء صلب وان شاء نفى وان شاء قتل، قلت النفي إلى اين؟ قال ينفى من مصر إلى مصر آخر، وقال: ان عليا عليه السلام نفى رجلين من الكوفة إلى البصرة)[2].

وعن (زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي عليهم السلام قال: حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يعدل في الرعية فإذا فعل ذلك فحق عليهم ان يسمعوا وان يطيعوا وان يجيبوا إذا دعوا وايما إمام لم يحكم بما انزل الله فلا طاعة له.

وعن زيد بن علي عن ابيه عن جده عن علي عليهم السلام قال: إذا قطع الطريق اللصوص واشهروا السلاح ولم يأخذوا مالا ولم يقتلوا مسلما ثم اخذوا حبسوا حتى يموتوا وذلك نفيهم من الارض)[3].

والمختار تخيير الإمام والحاكم بين القتل أو الحبس أو النفي إلى بلدة أخرى أو الجمع بين الصلب والقتل في أشد الحالات عقوبة وعندما يكون

---

(١) سورة المائدة ٣٣ .

(٢) تهذيب الأحكام ٢٤٨/٨ .

(٣) مسند زيد بن علي ٣٠٠/١.

الجاني قد أفسد في الأرض بالجمع بين القتل وسلب الأموال وإخافة الناس وإشغل الدولة والأجهزة الأمنية ، وعند الجمع يكون الصلب مقدما على القتل والذي يتعقبه ولا يتأخر عنه ، جمعاً بين الآية القرآنية وبين الحديث النبوي أعلاه ، والعلم عند الله .

حرمة إخافة الناس

يلزم الإمتناع عن إخافة الناس في الطرق العامة والمنتديات لحرمة هذه الإخافة .

وهذه الحرمة مطلقة باجتناب إيذاء الرجال والنساء من أي ملة كانوا ، إذ جعل الله عز وجل الأرض ملكاً طلقاً له ، وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وقال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2][3].

وقد جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالأمن والسلام للناس جميعاً ، لذا تجد كل سورة ابتدأت بقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لمنع الظلم ، وللنهي عن إخافة وترويع الناس .

لقد كان العرب قبل الإسلام لا يبيتون ليلة بطمأنينة ، فهم يخشون الغزو من قبل أعدائهم أو من قبل آخرين ليس لهم عداوة معهم ، ولكنهم يغزون طمعاً بالمال والسبي مع سفك الدماء .

فأرسل الله عز وجل النبي محمداً بالقرآن وأحكام الشريعة ليعم الأمن بلاد المسلمين وغيرها ، ويكون السطو والإرهاب أمراً مبغوضاً ونادراً ، ويتبرأ منه المسلمون .

---

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٩.

(٣) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

فلا يجوز نشر الخوف في الطرقات ، كما يحرم التعدي على المساجد والحسينيات ، والكنائس ، والبِيع - بكسر الباء - ودور العبادة مطلقاً لأي ملة كانت ، وهذا التعدي فتنة وبغي وإثارة للشقاق وهو من الفساد والدغل[١] المنهي عنه.

حرمة السعي في الفساد

قال تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢] من سورة المائدة وهي من آخر سور القرآن نزولاً .

ذكر أن سبب نزول هذه الآية هو أن رهطاً من عُرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجتووا المدينة أي كرهوا المقام فيها ، ولم يلائمهم هواؤها ، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلقاح[٣] وأمرهم أن يشربوا من ألبانها ، فانطلقوا فلما صحوا ، قتلوا الراعي واستاقوا النعم.

فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبعث عدداً من الصحابة فأسروا عدداً منهم وعن (سعيد بن جبير قال : كان ناس من بني سليم أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فبايعوه على الإسلام وهم كذبة ، ثم قالوا : إنا نجتوي المدينة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : هذه اللقاح تغدو عليكم وتروح فاشربوا من أبوالها.

فبينما هم كذلك إذ جاء الصريخ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قتلوا الراعي ، وساقوا النعم ، فركبوا في أثرهم ، فرجع

---

(١) الدغل : الفساد والخداع ، وما فيه ريبة .

(٢) سورة المائدة ٣٣.

(٣) اللقاح بكسر اللام الإبل بأعيانها ، الواحدة لقوح وهي الحلوب .

صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أسروا منهم ، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم ، فأنزل الله ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[1] الآية .

فقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم ، وصلب ، وقطع ، وسمل الأعين ، قال : فما مثّل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل ولا بعد ، ونهى عن المثلة وقال : لا تمثّلوا بشيء .

وأخرج مسلم والنحاس في ناسخه والبيهقي عن أنس قال: إنما سمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة)[2].

وورد عن السدي في الآية أعلاه قال (في قوله ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[3] الآية . قال : نزلت في سودان عرينة ، أتوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبهم الماء الأصفر ، فشكوا ذلك إليه ، فأمرهم فخرجوا إلى إبل الصدقة ، فقال اشربوا من أبوالها وألبانها ، فشربوا حتى إذا صحوا وبرئوا قتلوا الرعاة واستاقوا الإبل ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى بهم ، فأراد أن يسمل أعينهم ، فنهاه الله عن ذلك ، وأمره أن يقيم فيهم الحدود كما أنزل الله)[4].

ولكن واقعة العرينيين أعلاه وقعت في السنة السادسة للهجرة ، وسورة المائدة من آخر سور القرآن نزولاً .

لبيان لزوم بسط الأمن في الليل ، ومنع إخافة الناس .

ولقد فتح الله عز وجل باب التوبة للناس بما ينجيهم من العقاب في

---

(١) سورة المائدة ٣٣.

(٢) الدر المنثور ٣٦٩/٣.

(٣) سورة المائدة ٣٣.

(٤) الدر المنثور ٣٦٩/٣.

الدنيا حتى وإن كان الشخص من أهل الحرابة .

وعن (الشعبي قال : كان حارثة بن بدر التميمي من أهل البصرة ، قد أفسد في الأرض وحارب ، وكلم رجالاً من قريش أن يستأمنوا له علياً فأبوا ، فأتى سعيد بن قيس الهمذاني .

فأتى علياً فقال : يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟ قال : أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض ، ثم قال ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾[1] فقال سعيد : وإن كان حارثة بن بدر؟ فقال : هذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً فهو آمن ، قال : نعم)[2].

وفي هذا الخبر ترغيب بالتوبة وقبولها من قبل الحاكم ، قال تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

الواجب القرآني والواجب بالسنة

يمكن تقسيم الواجب بلحاظ جهة الصدور إلى قسمين :

الأول : الواجب بنص آيات القرآن كما في قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

ومع قلة كلمات هذه الآية ففيها ثلاثة أوامر مع بيان الأجر والثواب في بضع كلمات وهو من إعجاز القرآن .

وتتوجه هذه الأوامر إلى أجيال المسلمين المتعاقبة ، ولا يحصي عدد الذين عملوا ويعملون بمضامين هذه الآية ، ويتقيدون بما فيها من الأوامر إلا الله عز وجل ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ

---

(١) سورة المائدة ٣٤.

(٢) الدر المنثور ٣/٣٧١.

(٣) سورة المائدة ٣٩.

(٤) سورة النور ٥٦.

عَدَدًا﴾[1] التحدي بعجز الخلائق عن إحصاء الإمتثال له سبحانه ، والذي لا يعلم به إلا هو وحده .

وكل فرد من هذه الأوامر ينهى عن الظلم والإرهاب سواء أداء الواجبات العبادية في مفهومها أو طاعة الرسول ومنها تحريمه الظلم والعدوان والشهوة للتسلط باراقة الدماء .

وتدل آيات البيان القرآني على قانون القرآن قطعي الدلالة ، ومنها قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، و﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

وفي تفسير الآية أعلاه صدرت الأجزاء (١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩) من هذا التفسير .

وقول مشهور في الحوزة أن القرآن قطعي الصدور ظني الدلالة ، أي ثابت صدوره من عند الله ، ولكنه ظني الدلالة ، والمختار أنه قطعي الصدور قطعي الدلالة ، ومنه قطعية الأوامر والنواهي القرآنية .

الثاني : الواجب بالسنة النبوية ، لأن السنة المصدر الثاني لتشريع الأحكام ، وقد تستقل بتشريع حكم كالوجوب أو الإستحباب أو التحريم أو الكراهة ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[4].

و(عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ .

---

(١) سورة الجن ٢٨.

(٢) سورة النحل ٨٩.

(٣) سورة آل عمران ١٣٨.

(٤) سورة الحشر ٧.

وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا .

(فتثبت في حق ومال المسلم من باب الأولوية).

وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ)[1].

أي يأخذوا منهم بقدر ما فاتهم من حق الضيافة ، وقيل هذا في المضطر ، وأنه منسوخ .

وهذا الحديث شاهد نبوي على دعوتي لإحصاء الأوامر والنواهي القرآنية بتتبع القرآن آية آية .

(وروي عن النبي صلى الله عليه واله : اوتيت القرآن ومثليه)[2].

ومن الواجب بالسنة الختان ، والحداد للمرأة المتوفى عنها زوجها ، فالعدة واجبة بالقرآن ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[3]، أما الإحداد على الزوج وترك الزينة مدة العدة فهو واجب بالسنة.

ومثل وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة لقول النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (لاصلاة إلا بفاتحة الكتاب)[4]، وافتتاحها بالتكبير ، واختتامها بالتسليم.

---

(١) مسند أحمد ٣٧/٣٥ .

(٢) البحار ٤١٧/١٦ .

(٣) سورة البقرة ٢٣٤.

(٤) البحار ٥/٨٣ .

قانون الرفق والتراحم العام

الرفق هو اللطف والعطف والسماحة ولين الجانب والمداراة مما يلتقي به الناس جميعاً في مرتبة الخلافة السامية في الأرض ، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] وإلى الآن ومع الإرتقاء العلمي والسياحة في عالم الأفلاك لم يثبت وجود جنس من الخلائق لهم الخلافة في أحد الكواكب ، نعم لقد أسكن الله عز وجل الملائكة في السماء وأطال أعمارهم لآلاف السنين ، منقطعين إلى التسبيح وعبادة الله ، ومنهم حملة العرش ، قال تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[2] ولكن من غير خلافة للملائكة في السماء ، وهو من أسرار تساؤل الملائكة عن نيل الإنسان مرتبة الخلافة ، فجاء جواب الله عز وجل لهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] .

ومن علم الله عز وجل تفضله ببعث الأنبياء وإنزال الكتب السماوية لهداية الناس لمنازل العبودية لله ، وعدم الإغترار بالخلافة في الأرض وما سخره الله عز وجل لهم في الدنيا التي هي دار إمتحان وإبتلاء ، وينتقل منها الناس إلى دار أخرى هي عالم البرزخ ، ومن علم الله عز وجل في المنام.

وتتصف رسالة الأنبياء بالدعوة إلى الله برفق ، وهو الذي يتجلى بآيات القرآن والسنة النبوية ، ومنه ابتداء كل سورة من القرآن بقوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وصيرورة البسملة شعاراً يومياً للمسلمين.

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفق في كل الأمور ، ومع الناس جميعاً ، (عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله رفيق يحبّ الرفق في الأمر كله ويحبّ كل قلب خاشع

---

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) سورة الحاقة ١٧ .

(٣) سورة البقرة ٣٠.

حليم رحيم يعلّم الناس الخير ويدعو إلى طاعة الله ويبغض كل قلب قاس ينام الليل كله فلا يذكر الله تعالى ولا يدري يرد عليه روحه أم لا)[١].

والنسبة بين العنف والإرهاب من جهة وبين الرفق هي التضاد مما يدل على حرمة الإرهاب وإخافة الناس الآمنين ، ولم ترد مادة (الرفق) في القرآن ، ولكن مرادفها متكرر في القرآن من الرحمة والعفو والصفح مع الترغيب فيها ، وبعث النفرة من ضد الرفق من الجفاء والشدة والعنف.

ويتضمن الحديث أعلاه الزجر عن قسوة القلب لإفادة حرمة الإرهاب من باب الأولوية القطعية إذ أن قسوة القلب كيفية نفسانية ، ومع هذا جاء نهي النبي عنها وإخباره ببغض الله لها لما يترشح عنها من الشدة والبأس والقسوة في القول والفعل.

ومن الدلائل عليه قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢].

لبيان الحاجة إلى السماحة والرأفة العامة بالناس ، ومن خصائص المسلم رجاء رحمة الله في النشأتين والإبتعاد عن أسباب سخطه تعالى ، ومنها الإضرار بعباد الله من عامة الناس ، لذا وردت في القرآن كلمة (عبادي) سبع عشرة مرة ، ولفظ عبادك ثماني مرات وأربعاً وعشرين مرة بلفظ عباده ، قال تعالى ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[٣].

ويدل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤] على العموم الإستغراقي فتشمل رأفة الله عز وجل بالناس جميعاً ، ومن رأفته تعالى سخطه على الذي

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٤٢٥/١١.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩.

(٣) سورة الإسراء ١٧.

(٤) سورة البقرة ٢٠٧.

يؤذي عباده ، والمسلم أولى الناس بالتنزه عن هذا الإيذاء ، وعن أسباب سخط الله ، قال تعالى ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١)(٢).

إحصاء الأعمال

الإحصاء مصدر الفعل أحصى يحصي ، وهو عدّ وحصر الأشياء مأخوذ من الحصى ، والتي تجمع من أجل أن تعد وتحسب ، فيكون عدها مطابقاً لعددها من غير زيادة أو نقيصة ، ويتعدى الفعل أحصى باللام فيقال (أحصاها لكم) ويتعدى بالحرف (على) فيقال : أحصيت عليك ما فعلت .

وعندما كان الإمام علي عليه السلام أيام خلافته وهو في الكوفة (كان رجل مجنون في زمانه يمشي أمام الجنائز وينادي : الرحيل الرحيل لا تكاد جنازة تخلو منه فمرت يوماً جنازة بعلي ابن أبي طالب ولم يره أمامها ولم يسمع نداءه فسأل عنه فقيل له : هو هذا الميت فقال : لا إله إلا الله . الكامل

ما زال يصرخ بالرحيل مناديا ... حتى أناخ ببابه الجمال

وقال الأصمعي : حدثني أبي قال : رأيت رجلاً على قصر أويس أيام الطاعون وبيده كوز يعد الموتى فيه بالحصى فعد في أول يوم ثمانين ألفاً . ثم عد في اليوم الثاني مائة ألف فمر قوم بميتهم فرأوه ثم رجعوا فرأوا على الكوز رجلاً غيره فسألوا عنه فقال : وقع في الكوز .

ومثل هذا قول التهامي : الكامل

حكم المنية في البرية جار ... ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الإنسان فيها مخبراً ... حتى يرى خبراً من الأخبار)(٣).

---

(١) سورة آل عمران ١٦٢.

(٢) أنظر الجزء الثامن والأربعين بعد المائة من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) الوافي في الوفيات ٥٦٠/١ .

وتحصي الملائكة أعمال بني آدم بالدقة العقلية وما كبر وما صغر كماً وكيفاً ، قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

ويدل إحصاء أعمال بني آدم على أن الدنيا دار إمتحان وإبتلاء ، وأن المقام الدائم في الآخرة وفق سنخية عمل ابن آدم وهل هو صالح كي يقود صاحبه إلى الجنة ، أم أنه سيئ فتسوق الملائكة صاحب السيئات إلى النار إن لم تدركه التوبة في الدنيا أو الشفاعة في الآخرة .

وفي الحديث القدسي عن أبي ذر (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)[2].

لبيان حرمة الظلم في الكتاب والسنة ، وتوثيق الملائكة له ، ومن موارد الظلم والتعدي بالقول الغيبة ، والإفتراء ، والشتم ، والتعدي ، بالفعل والعنف والإرهاب .

وهل تكفير طوائف من المسلمين بغير حق من التعدي والظلم ، الجواب نعم ، وقد يكون مقدمة للإرهاب وإغراء به فتشتد العقوبة بسببه .

ويصاب المجرمون يوم القيامة بالفزع والذهول من رؤية كل أعمالهم في الدنيا قد أحصيت عليهم ، قال تعالى ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3].

---

(١) سورة الزلزلة ٧-٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٧٧/٤.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

لقد رزق الله عز وجل الإنسان العقل وجعله يجتنب العمل الذي يجلب له الأذى والضرر ، ومنه التعدي والإرهاب .

وقد تصدى العلماء وأهل الحل والعقد لهذه الحركات ، وافتوا بخروجها عن الملة ، ومنهم من حكم بكفرهم لبيان أن الدنيا ملك لله عز وجل ، وهو سبحانه لا يرضى بالظلم والإرهاب وتأويل التنزيل حسب الأهواء والرغائب ، لقد جعل الله عز وجل القرآن دستوراً دائماً ، وهو كلامه الذين يشع بأنوار السلام ، ويبعث الأمن ويدعو إلى الإحسان في البيوت والأسواق والطرق العامة ، والأمن في دور العبادة .

التشدد والتطرف

النسبة بين التشدد في الدين وبين الإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالتشدد أعم ، ويحذر القرآن من التشدد والتطرف ويحرم الإرهاب ، فهو كتاب الرحمة النازل من عند الله ، والذي يمنع البطش والقسوة وينهى عن الضلالة .

والتطرف لغة : هو الوقوف في الطرف بالتباعد عند الوسط .

وهو في الإصطلاح : المبالغة في الأمر ، والإسراف ومجاوزة الحد .

وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١).

لبيان وظيفة الشهادة على الناس وليس إيذائهم والتعدي عليهم ، نعم جاءت آيات بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ظلم أو تعد أو إرهاب ، قال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(٢).

و(عن الحكم بن حزن الكلفي قال : وفدنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلبثنا أياماً شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله صلى الله

(١) سورة البقرة ١٤٣.

(٢) سورة التغابن ١٦.

عليه وآله وسلم ، فقام متوكئاً على قوس ، فحمد الله ، وأثنى عليه كلمات طيبات خفيفات مباركات ، ثم قال : أيها الناس إنكم لن تطيقوا كل ما أمرتم به فسددوا وابشروا)[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[٢].

لقد تضمن القرآن ذم الذي يقوم بالتعدي على الناس بالإرهاب والظلم ، ودعا إلى منعه وزجره لأنه بغي ، ونزلت آيات القرآن بالنهي عن التعدي والبغي ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

وكما أن الإرهاب من البغي فانه ضد للإحسان والصلاح ، لقد جعل الله عز وجل الخلائق محتاجة إليه ومنهم الناس ، وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : الخلائق محتاجة لرحمة الله .

الصغرى : الناس من الخلائق .

النتيجة : الناس محتاجون لرحمة الله .

ومن أبهى مصاديق رحمة الله عز وجل نزول الكتب السماوية وبعثة الأنبياء والرسل ، وقد تفضل الله عز وجل وجعل القرآن ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٤] ومنه وجوب نبذ الإرهاب والتبرأ منه ، ومن مقدماته وصناعته لمنافاته للرحمة العامة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) الدر المنثور ٣٧/١٠ .

(٢) السيوطي / جمع الجوامع ٣٣٥/١ .

(٣) سورة النحل ٩٠.

(٤) سورة النحل ٨٩.

ومن خصائص القرآن دعوته للهدى والأمن والسلم المجتمعي ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ . . .﴾[1] وفيه وجوه :

الأول : دعوة القرآن للأحسن والأفضل وما فيه خير الدنيا والآخرة ، أما الإرهاب فانه يؤدي إلى الخوف العام والفتك وسفك الدماء مع رد الفعل في مواجهته أحياناً بالبطش وفتح السجون .

الثاني : نزل القرآن من عند الله عز وجل دستوراً للحياة وتأسيساً للأمن العام ، ولرحمة الناس في الدنيا والآخرة ، أما الإرهاب فانه موضوع للفزع ، وهو حرام وليس فيه إلا الضرر لفاعله والذين خلفه ،والأذى العام لمن يقع عليه الفعل الإرهابي وغيره من عامة الناس سواء في ذات البلد أو غيره ، وهو من معالم زمان العولمة .

الثالث : من خصائص القرآن نزوله بالعدل وأحكام الحلال والحرام ، والإرشاد وفك الخصومة بين الناس ، وأسباب استقرار المجتمعات ، أما الإرهاب فليس فيه أحكام إنما هو ظلم وبغي وغدر .

الرابع : آيات القرآن خير محض في تلاوتها والعمل بأحكامها ، وفي الثواب المترشح عنها ، أما الإرهاب فهو شر محض وعدوان ، وفيه جلب للأذى والضرر لعامة الناس ، والقريب والبعيد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً . .﴾[2].

الخامس : عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأحكام القرآن ، وإتباع المسلمين لنهجه برضا وسكينة وشكر لله عز وجل واجب ، أما الإرهاب فهو أمر طارئ وإسراف وفتنة لا أصل له سرعان ما يزول .

و(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ : عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثَلَاثَ مِرَارٍ)[3].

---

(١) سورة الإسراء ٩.

(٢) سورة الأنفال ٢٥.

(٣) مسند أحمد ٨/٨ .

والتنطع هو التعمق والغلو والتشدد والتكلف في القول والفعل ، ومجاوزة الحدود ، والحديث عن التفاصيل الدقيقة ، والموارد التي لم تقع.

براءة القرآن من الإرهاب

لقد أخبر الله عز وجل عن كون القرآن هو كلامه الذي أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في رحمة ورأفة بالناس ، ودعوة سماوية لصيرورة الرفق والرحمة والإحسان هي الصيغ التي تسود بينهم ، وهي مدخل للتدبر في الآيات الكونية ، وإعجاز التنزيل ، وصلاح المجتمعات بسنن التقوى والخشية من الله .

ويدعو القرآن إلى لقاء الله في الآخرة بالإيمان وعمل الصالحات للخلود في النعيم الدائم .

ويتبرأ القرآن من الإرهاب والظلم والتعدي ، وقد نزلت آيات القرآن بالوعيد للظالمين والمفسدين ، وبغض الله لهم وسوء عاقبتهم ، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1] و ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] لذا فان الذي يتبع القرآن ويعمل بأحكامه يمتنع عن الفساد ، والنسبة بين الفساد والإرهاب عموم وخصوص مطلق ، فالفساد أعم .

ومن إعجاز القرآن موافقته لكل زمان بدعوته إلى العدل والتراحم والرفق بالناس ، ويتضمن الإنذار من الإرهاب والبطش والبغي ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

ولم يرد لفظ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وجاء الإنذار فيها لعامة الناس من غير تعيين وحصر بالكافرين .

---

(١) سورة البقرة ٢٠٥ .

(٢) سورة المائدة ٦٤.

(٣) سورة يونس ٢٣.

لقد نزل القرآن في مكة فتلقاه رؤساء قريش بالإرهاب والظلم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيته وأصحابه الأوائل ، فلقد ابتدأ الإرهاب حربه على القرآن الذي توالى نزول آياته بالبراءة من الكفر والإرهاب مجتمعين ومتفرقين .

فنزل القرآن بالأمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالصبر ، قال تعالى ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[1] وقال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2].

لبيان تجليات سبل الهداية في القرآن والسنة ، والنسبة بين الرشد والإرهاب هي التضاد، فلابد للمسلم وللعاقل مطلقاً من اجتناب التلبس بالإرهاب والتفجيرات ، والتعدي على الآمنين في بيوتهم ومحال عملهم وأنصارهم .

ومن البغي وضرره أمور :

الأول : إخافة الآمنين .

الثاني : سفك الدماء بغير حق .

الثالث : الإضرار بالممتلكات الخاصة والعامة .

الرابع : من نتائج الإرهاب القتل والإعاقة .

الخامس : النفرة العامة من الإرهاب .

السادس : قانون الإرهاب بغي على الذات والأهل ، لما يلحقهم من الأذى ، وعلى الذي يقع عليه الفعل الإرهابي ، وعلى المجتمعات ، مما يدل على أنه ضد لما نزل به القرآن من مصاديق الرحمة والرأفة بين الناس .

---

(١) سورة المزمل ١٠.

(٢) سورة البقرة ٢٥٦.

قانون التضاد بين الإيمان والظلم

لقد ورد قوله تعالى ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ ثلاث مرات في القرآن بصيغة نفي النصير ، وكلها بخصوص الظالمين قال تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1] ، فليس في القرآن ، وما للكافرين من أنصار ، وما للفاسقين من أنصارٍ .

كما ورد النفي بصيغة (من نصير) مرتين في القرآن ، وكلاهما بخصوص الظالمين أيضاً بقوله تعالى بخصوص أهل النار ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[2].

ترى لماذا قال الله تعالى مرة ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ وأخرى ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ الجواب النسبة بينهما عموم وخصوص مطلق ، فتارة يكون معنى النصير اسم جنس لنفي أي نصير ، وأخرى يراد منه المنفرد من النصير لبعث اليأس في قلوب الظالمين في أي موطن من مواطن الأخرة .

وإذا كان بعضهم تابعاً لأمير ونحوه وظن أنه ينصره ذكرت الآية قانون الظلم برزخ دون الشفاعة والنصرة .

والنسبة بين النصير والشفيع عموم وخصوص مطلق ، فالنصير أعم ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾[3].

و(عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[1] فقال : إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[2].

---

(١) سورة آل عمران ١٩٢.

(٢) سورة فاطر ٣٧.

(٣) سورة آل عمران ١٥٠.

والنسبة بين الظلم والكفر عموم وخصوص مطلق ، وأن الظلم أعم لأن الكفر ظلم للنفس ، أما الظلم فهو ظلم للنفس وعدوان على الغير ، وذات النسبة بين الظلم والإرهاب .

نعم من مصاديق الظلم ما هو أدنى من الكفر ، وكل فرد من مصاديقهما قبيح ومذموم .

لقد بعث الله عز وجل الأنبياء لتنزيه الأرض من الظلم من السيد والحاكم ومن ظلم الإنسان لنفسه كما في عبادة الأوثان إن الله عز وجل هو الملك المتصرف المدبر الرحيم الذي لا يرضى بالظلم والفساد ، وما يلحق الظالم من أثقال وأوزار الظلم أكثر من ذات فعل الظلم والتعدي والإرهاب ، وفي التنزيل ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٣).

و(عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم : لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا)(٤).

ومن خصائص الإيمان صرف صاحبه عن الظلم ، وإدراكه أن الظلم قبيح وقيامه بالأمر بالعدل والإحسان والنهي عن الظلم ومصاديقه من التعدي والإرهاب .

ومن خصائص القرآن أن آياته إنذار من الظلم والتعدي والإرهاب .

وهذا الكلام لم أذكره في تفسير هذه الآية أعلاه من سورة آل عمران.

---

(١) سورة الأنبياء ٢٨.

(٢) الدر المنثور ٥٦/٧ .

(٣) سورة هود ١٨.

(٤) سنن الترمذي ١٩/٨ .

اتصاف النبي محمد (ص) بالعفو والصفح

من خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مقابلة هجوم وتعدي المشركين بالصبر والدعوة إلى السلم المجتمعي ، ومن خصائصه أنه عندما تحين فرصة الثأر والإنتقام من المشركين لا يثأر منهم بل يعفو ويغفر ، وهذا العفو بأمر من الله بالوحي والتنزيل ، قال تعالى ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وهذه الآية من سورة المائدة وهي آخر سور القرآن نزولاً ، لبيان قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالعفو والمغفرة ، والإسلام في أقوى أحواله ، وقد تم فتح مكة قبل نزولها .

وتتضمن خاتمة الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2] دعوة إلى أجيال المسلمين والناس جميعاً بالإتصاف بالإحسان للغير ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، والتسامح الديني ، ونبذ الظلم والإرهاب .

لقد كانت السنة النبوية القولية والفعلية عنوان السلم المجتمعي والرئاسة العامة التي تتصف بالرحمة وتبعث على التراحم ، وتدعو للتسامح والعفو ، ومنها وجوه :

الأول : إنشغال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالعبادة والذكر وإقامة الصلاة اليومية ، سواء في مكة قبل الهجرة أو في المسجد النبوي بعد الهجرة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[3].

الثاني : لقد كانت قريش توجه الإنذار تلو الإنذار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرين والأنصار مع التهديد بقتل طائفة منهم وسوق طائفة أخرى مقيدين بالحبال أسارى إلى مكة .

---

(١) سورة المائدة ١٣.

(٢) سورة المائدة ١٣.

(٣) سورة الأحزاب ٤١.

فلم يعسكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، ولم يجهز الجيوش ، نعم نزل قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

وهذه الآية للوقاية والإحتراز ، وجعل المشركين يكفون عن الهجوم على المدينة وإشعال الحروب ، وسفك الدماء ، وفيها إزاحة للموانع التي تحول دون دخول كثير من الناس ممن يخشون بطش قريش عند إسلامهم أو محاربتهم في الرزق والصيغ الإجتماعية .

الثالث : بيان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقانون الإسلام يجّب ما قبله ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعل كل الناس يعلمون بأن الذي يدخل الإسلام لا يؤاخذ على إيذائه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه أو اشتراكه بسفك دماء المسلمين ، فمثلاً زحف وحشي بن حرب مع جيش المشركين في معركة أحد وكان غلاماً لجبير بن مطعم الذي قتل عمه طعيمة بن عدي في معركة بدر .

وقال وحشي (قَالَ لِي جُبَيْرٌ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ عَمّ مُحَمّد بِعَمّي فَأَنْتَ عَتِيقٌ قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ النّاسِ وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًا أَقْذِفُ بِالْحَرْبَةِ قَذْفَ الْحَبَشَةِ ، قَلّمَا أُخْطِئُ بِهَا شَيْئًا .

فَلَمّا الْتَقَى النّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزَةَ وَأَتَبَصّرُهُ حَتّى رَأَيْته فِي عُرْضِ النّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ يَهُدّ النّاسَ بِسَيْفِه هَدًا ، مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ فَوَاَللّه إنّي لَأَتَهَيّأُ لَهُ أُرِيدُهُ وَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنّي إذْ تَقَدّمَنِي إلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْد الْعُزّى ، فَلَمّا رَآهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ هَلُمّ إلَيّ يَا ابْنَ مُقَطّعَةِ الْبُظُورِ . قَالَ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَأَنّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ .

---

(١) سورة الأنفال ٣٠.

قَالَ وَهَزَّزْتُ (حَرْبَتِي حَتّى إِذَا رَضِيت مِنْهَا دَفَعْتهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي ثُنّته حَتّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْه)[1][2] وَذَهَبَ لِيَنُوءَ نَحْوِي ، فَغُلِبَ وَتَرَكْتُهُ وَإِيّاهَا حَتّى مَاتَ ثُمّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي ، ثُمّ رَجَعْت إِلَى الْعَسْكَرِ فَقَعَدْتُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حَاجَةٌ وَإِنّمَا قَتَلْتُهُ لأُعْتَقَ . فَلَمّا قَدِمْت مَكّةَ أُعْتِقْت ، ثُمّ أَقَمْتُ حَتّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وآله وسلم مَكّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطّائِفِ ، فَمَكَثْت بِهَا)[3].

وبعد فتح مكة وواقعة حنين وحصار الطائف خرج وفد وجهاء الطائف إلى المدينة لدخول الإسلام فضاقت الدنيا على وحشي ، وفكر هل يذهب إلى الشام أم اليمن فهو قاتل عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له بعضهم إن النبي محمداً لا يقتل أحداً دخل الإسلام ونطق بالشهادتين وأقسم له على ذلك .

وقال ابن حجر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهدر دم وحشي بن حرب وعكرمة بن أبي جهل)[4]، ولم يثبت .

وبادر وحشي بالتوجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما رآه الناس قالوا : يا رسول الله هذا وحشي ، وكأنهم يريدون الثأر منه لقتله حمزة بن عبد المطلب عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن ينطق الشهادتين .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمة خالدة من وحي النبوة كما عن ابن إسحاق (دَعُوهُ فَلِإِسْلَامِ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَحَبّ إِلَيّ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ رَجُلٍ كَافِرٍ)[5].

---

(١) الروض الأنف ٣/٢٥٣ .

(٢) هذا السطر ساقط من الأصل في السيرة النبوية لابن هشام .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية ٢/٧٠.

(٤) فتح الباري ٦/٦٩.

(٥) الروض الأنف ٣/٢٥٣.

لبيان حرص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على حقن دماء الناس ورجاء الهداية لهم ، وبغضه لسفك الدماء مطلقاً

وهناك شواهد أخرى على عفو النبي عن أعداء الإسلام عند دخولهم الإسلام وإمهال الذين ترددوا في دخوله مثل صفوان بن أمية ، وعندما فتح الله عز وجل مكة لم يكره أحداً على دخول الإسلام .

ولم يلاحق الذين حاربوه ، وجهزوا الجيوش لقتاله مثل عكرمة بن أبي جهل ، بل تركهم يغادرون مكة ، وما لبثوا أن عادوا فدخلوا الإسلام وحسن إسلامهم ، وهو من الشواهد على النفع العظيم للعفو والصفح ، ودعوة للمسلمين للصبر وإتخاذ العفو منهاجاً تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

آيات ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾

ورد هذا اللفظ ست عشرة مرة في القرآن وفي كل مرة له دلالات .

والقرآن مصدر من قرأ يقرأ باطلاق المصدر وإرادته مفعوله ، فالقرآن بمعنى مقروء ، وقيل مصدر قرأ بمعنى جمع لأنه يضم ويجمع السور .

والمختار هو الأول ، وفي الثناء على القرآن لزوم اتباع أحكامه ، قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1]، وقال قتادة بالثاني .

والقرآن في الإصطلاح فهو اسم علم انفرد به الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من بين الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل .

وأن لفظ القرآن بمعنى الجمع والضم ، واستدل عليه بذات الآية أعلاه أيضاً ، ولكن ورد (عن ابن عباس في قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول : بيّناه ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[2] يقول : اعمل به.

---

(١) سورة القيامة ١٨.

(٢) سورة القيامة ١٨.

ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيّناه بالقراءة، فاعمل بما بيناه لك بالقراءة .

وعن عبد الله بن عباس ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١] قال: أن نُقرئك فلا تنسى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: إذا تُلي عليك فاتّبعْ ما فيه)[٢].

وتدعو آيات ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ إلى التدبر في مضامين آيات القرآن وما لها من دلالات ، ومنها أنه رسول السلام في الأرض ، وأنه لا يختلف عن الكتب السماوية السابقة التي نزلت بالرحمة والتراحم.

ومن هذه الآيات قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[٣] لبيان لزوم اللجوء إلى القرآن في الحكم بحرمة الظلم والإرهاب ، وكيف أن آيات القرآن تنهى وتزجر عنه ، إنما تأمر هذه الآيات بالعدل والإحسان ، وتأمر بالإيمان وعمل الصالحات ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٤] ويتجلى التضاد بين عمل الصالحات والإرهاب .

ويدل الشرع والعقل على قانون الإرهاب ليس من الصالحات ، ليكون سبباً لحجب البشارة عن أهله ومن يمده بالمال والعون .

وتنهى آيات ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ عن الجدال والعناد والمغالطة إذ تتضمن آياته بيان كل من الحق والباطل ، والفصل والتمييز بينهما ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ

---

(١) سورة القيامة ١٧ .

(٢) تفسير الطبري ٩٥/١.

(٣) سورة الروم ٥٨.

(٤) سورة الإسراء ٩.

صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[1].

ولا يصح جعل الجدال والمغالطة سبباً للضعف ، والإصرار على البغي والإرهاب .

لقد جعل الله عز وجل القرآن واقية وشفاء من الظلم والإرهاب ، فلابد من الرجوع إليه والصدور عما فيه من أسباب الرحمة والعفو ، قال تعالى ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[2] لتتضمن هذه الآيات الإنذار والوعيد على الخروج عن القرآن إلى الظلم والتعدي .

وهل قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3] نهي وتحريم عن التعدي أم أن القدر المتيقن من الآية صيغة الجملة الخبرية ، الجواب هو الأول ، فيحرم التعدي ومنه الإرهاب والعنف والإنتقام من عامة الناس .

استحضار الموت زاجر عن الإرهاب

لقد ذكر القرآن الموت نحو مائة وأربعين مرة لبيان لزوم الإلتفات إليه كأمر وجودي وإنتقال من عالم الدنيا إلى عالم آخر يتصف بالخلود ، قال تعالى ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَا رَزَقْنَاكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[4].

فذكرت الآية أعلاه الموت بأنه يأتي للإنسان ، مما يدل على أنه مأمور من عند الله ، وليس أمراً جامداً ، وتبين الآية حاجة المسلم في الآخرة إلى

(١) سورة الكهف ٥٤ .

(٢) سورة الفرقان ٣٠.

(٣) سورة البقرة ١٩٠.

(٤) سورة المنافقون ١٠.

الصلاح والإنفاق في سبيل الله لأن الآية وردت بصيغة الخطاب ﴿يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾.

فقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا مزرعة لفعل الصالحات وإكتناز الحسنات ، أما الإرهاب فهو عمل غير صالح وضد للصلاح ،وليس فيه إنفاق في سبيل الله ، لذا فان استحضار الإنسان الموت في مناسبة أو غير مناسبة حرز من اللجوء للعمل الإرهابي أو الإقدام عليه.

ويتجلى قانون ذكر الموت باعث على التقوى والزهد ، وقانون ذكر الإنسان الموت صارف عن الظلم والتعدي .

ولقد أولى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت والصحابة من المهاجرين والأنصار عناية خاصة لذكر الموت وحببوه إلى النفوس بما ألبسوه من التقوى وزينة الهدى وبيان أنه طريق إلى لقاء الله مع إجتهادهم في طاعة الله ، ودعوة الناس لاتيان الفرائض وإجتناب ما نهى الله عز وجل عنه.

وتلا الإمام علي عليه السلام قوله تعالى﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[1]، ثم قال (يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَ زَوْراً مَا أَغْفَلَهُ وَ خَطَراً مَا أَفْظَعَهُ لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وَ تَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ)[2] .

ومن مصاديق إستحضار الموت اللجوء إلى العبادة والذكر والإحسان للناس ، فمع مصيبة الإمام علي بن الحسين بأبيه وأخوته وأهل بيته وأصحاب الإمام عليه السلام فانه اختار الصبر والعكوف على الصلاة والإنقطاع إلى الذكر والدعاء .

---

(١) سورة التكاثر ١.

(٢) نهج البلاغة ٢٥٢/١.

وعن عبد الله (وعن عبد الله بن محمد القرشي قال كان علي بن الحسين عليه السلام إذا توضأ يصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يغشاك فيقول أتدرون من أتأهب للقيام بين يديه.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليه السلام يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة)[1].

ومن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإكثار من ذكر الموت ، والحث على ذكره ، و(عن أنس بن مالك قال : مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوم من الأنصار يضحكون ، فقال : أكثروا ذكر هادم اللذات)[2].

والموت هو مغادرة الروح للجسد ، وسكون الجسد وتوقف الحركة فيه ، يقال : مات الإنسان يموت موتاً ، والموت ضد الحياة ، ولكن صفة الوجود جامعة لهما ، قال تعالى﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [3] واللام في ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ من الآية أعلاه لام التعليل أي أن ما بعدها علة لما قبلها ، لبيان تغشي الإبتلاء للإنسان في حياته الدنيا وفي الآخرة بخصوص حياته وعبادته وعامة عمله وصلاته مع الناس ، وكذا بالنسبة للموت فان الإنسان يحاسب بعد الموت على ما قاله وعمله في الدنيا .

وعن موت غيره إن كان هو سبباً ومباشراً لموته أو قتله ، وهذا التأويل مستحدث في هذا الجزء فالإبتلاء سواء في الدنيا أو في الآخرة لا يختص بحال الإنسان بل يشمل ما فعله عنه غيره من الخير مثل قضاء الفرائض العبادية من الصلاة والصيام والحج عن الميت والإستغفار له ، لذا فالآية أعلاه موعظة وإنذار في الدنيا ، وإخبار عن عالم الجزاء في الآخرة ، وأن ما بعد

---

(١) كشف الغمة ٣/٨٠.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٢/٢٠١.

(٣) سورة الملك ٢.

الموت ابتلاء آخر ، فبينما الدنيا عمل بلا حساب فان الآخرة حساب ، بلا عمل .

(وفي تفسير الآية كان قتادة يستحضر قول النبي محمد صلى الله عليه وأله وسلم (ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت)[١].

فالموت موجود وغير بعيد مع وجود الحياة واتصال أسبابها فهو والحياة ليسا من باب (تقابل الملكة وعدمها). كالبصر والعمى فالبصر ملكة ، والعمى عدمها ، فأحدهما وجودي والآخر عدمي .

فالحياة والموت ضدان متقابلان لانهما أمران وجوديان متعاقبان ومتعلقهما موضوع واحد ويتعذر اجتماعهما فيه. وبذلك يمكن القول بانهما صفتان وليسا من الذوات والاشياء المتخالفة كالبناء والخراب، والحيوان والحجر)[٢].

وتبعث آيات القرآن والأحاديث النبوية الإنسان على إستحضار الموت ، وإدراك قربه ولزوم الإستعداد له بالعمل الصالح ، والإنزجار عن الفعل القبيح ،وعن إرتكاب الآثام ومنها إيذاء الآخرين والبغي والتعدي .

وبالإسناد (عن أبي الحجاج الثمالي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة ، وبيت الظلمة ، وبيت الوحدة ، وبيت الدود.

ما غرك بي إذ كنت تمر بي فدادا[٣].

---

(١) إسماعيل بن كثير/تفسير القرآن العظيم ٣٩٦/٤.

(٢) أنظر كتابنا الموسوم قوانين البرزخ الجزء الأول ص ٤٨ .

(٣) فداداً من الفدير وهو الجلبة وشديد الوطئ وبمرح (قال الشاعر:
أعاذل ما يُدريكَ أنْ رُبَّ هَجْمةٍ ... لأخفافِها فوقَ الفلاة فَدِيدُ) جمهرة اللغة ٣٤/١ .

قال : فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر ، فيقول : أرأيت إن كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال : فيقول القبر : إذا أعود عليه خضرا ، ويعود جسده نورا ، فيصعد بروحه إلى رب العالمين)[1].

قانون ذكر الله حرز

لقد ورد قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ثماني مرات في القرآن وبصيغة الأمر لأجيال المسلمين والمسلمات المتعاقبة لبيان أن ذكر الله جهرة وخفية عبادة وسبب للصلاح ، ووقاية من الظلم والتعدي ، إذ يكون ذكر الله حاضراً عند الإقدام على الفعل الذي يتصف بالصلاح ، وزاجراً عن الفساد والإضرار بالناس .

كما ورد قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[2]، ليكون هذا الذكر سفر تخلية وتحلية ، تخلية من الكدورات والإنصات إلى رفاق السوء ، وتحلية بالخشية من الله عز وجل .

وعن (معاذ بن جبل، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)[3].

وفيه شاهد بأن ذكر الله عز وجل سبب للنجاة من عذاب القبر ، ومن الشدة في كيفية مساءلة منكر ونكير بلحاظ إلحاق هذه الشدة بالعذاب .

وبعد أن ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابن آدم لإرادة العموم في إنتفاع الناس من ذكر الله سواء من الأولين أو الآخرين ، وهل ينتفع الأب الميت من دعاء ابنه وأهدائه الصلاة والصيام ، وقراءة القرآن له ، الجواب نعم ، لقانون إنتفاع الحي والميت من ذكر الله .

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني / معرفة الصحابة ٢٠/٢٣.

(٢) سورة الأعراف ٢٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٤٢١.

وقد ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث أعلاه انتفاع الآدمي من ذكر الله لأصالة العموم وإنتفاع المسلمين من الأولين والآخرين في القبر من ذكرهم لله في حياتهم الدنيا ، لذا جاء الأنبياء جميعاً بالحث على ذكر الله واللجوء إليه .

وفي أولاد آدم عليه السلام حينما أراد قابيل قتل هابيل أظهر هابيل الخشية من الله عز وجل ، وأنها مانع من ظلمه لغيره ، وبرزخ دون لجوئه إلى التعدي أو السبق في القتل ، كما ورد حكاية عنه في القرآن ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ولم يرد لفظ ﴿بَسَطْتَ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وكذا لفظ ﴿لَتَقْتُلَنِي﴾ ﴿لِأَقْتُلَكَ﴾ لبيان قبح القتل والتعدي ، وقلته والثأر بين الناس بلحاظ مجموع أهل الأرض .

قانون الذكر قوت

لقد جعل الله عز وجل الكائنات محتاجة إلى رحمته ومصاديق الرزق المتصل منه تعالى ، ومنها الإنسان ففي كل لحظة يحتاج الإنسان إلى الرزق والرحمة من الله ، ومنه الشهيق والزفير ، وتكراره نحو ست عشرة مرة في الدقيقة الواحدة .

ومن حوائج الإنسان في الدنيا الدعاء وذكر الله ، وبه يتزود العارفون لأمور الدين والدنيا وتصان قلوبهم من الصدأ ، ويمتنع عنهم البلاء ، وإذا نزلت بهم النازلة فهم قد احترزوا لها بذكر الله ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة ٢٨.

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

وليس من حصر لمنافع ذكر الله منها :

الأول : قانون الذكر واقية من وسوسة الشيطان .

الثاني : إزالة الهم والغم .

الثالث : انقداح القريحة ، وجلاء القلب .

الرابع : الغبطة والرضا والسرور .

الخامس : نور الوجه ، ودفع الأدران ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(١).

السادس : محو الذنوب والسيئات .

السابع : الإنشغال عن الغيبة والنميمة .

الثامن : قانون ذكر الله تنزه عن الإرهاب وواقية منه .

التاسع : الفوز بذكر الله للعبد الذاكر ، قال تعالى ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٢).

العاشر : الرزق الكريم .

الحادي عشر : السلامة من قسوة القلوب .

الثاني عشر : قانون الذكر صراط مستقيم وطريق إلى الجنة .

ويكون الذكر بالقلب واللسان ، والتقاء القلب واللسان ساعة الذكر بعيداً عن هموم أو زينة الدنيا .

والمختار أن الذكر باللسان هو الأفضل من الإخفات مع الإمكان .

وفي الحديث القدسي (عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال الله عز وجل : يا ابن آدم إذا ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي ، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة . أو قال : في ملأ خير

---

(١) سورة الرعد ٣٩.

(٢) سورة البقرة ١٥٢.

منهم ، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك باعاً ، وإن أتيتني تمشي أتيتك بهرولة)[١].

لقد أكرم الله عز وجل المؤمنين بالهداية إلى ذكره تعالى ، والله عز وجل يسمع الأصوات ، وفي الذكر هداية للإمتناع عن الظلم والتعدي والإرهاب.

ومن أقسام ذكر الله :

الأول : أداء الفرائض العبادية من الصلاة ، والصيام ، والحج ، والدعاء ، وقراءة القرآن ، والتسبيح ، والإستغفار ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢][٣].

الثاني : الذكر الخاص بالتلفظ باسم الله عز وجل مثل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وكلمات الحمد لله ، والشكر لله والثناء عليه ، ويجمع بين القسمين قوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٤].

وعن (أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ ، قُلْنَا وَمَا هَمَمْتَ بِهِ قَالَ هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ)[٥] .

وفي المقام وجوه :

الأول : قانون ذكر الله عز وجل واقية من الغفلة .

---

(١) الدر المنثور ٢٩٧/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٩١.

(٣) أنظر الجزء السابع والثلاثين بعد المائتين من هذا السِفر والذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة الحجر ٩٨-٩٩.

(٥)مسند أحمد ٤٩٩/٧.

الثاني : قانون ذكر الله حرز من الفتنة والإنجرار إليها .

الثالث : قانون الشكر لله وتسبيحه مانع من صدئ القلوب .

الرابع : قانون الذكر سلاح ضد النفس الأمارة بالظلم والتعدي .

الخامس : قانون الذكر سكينة تمنع من التطرف والبغي .

السادس : قانون المواظبة على ذكر الله نقاهة في الدين ، وبصيرة تنير دروب الهدى والرشاد .

السابع : قانون الاكثار من ذكر الله واقية من العدوان والإرهاب .

الثامن : ذكر الله غرس ليوم الحساب .

قانون الملازمة بين الإيمان والطمأنينة

من بديع صنع الله أن قلوب الناس جميعاً بيده سبحانه يقلبها كيف يشاء وبما فيه منفعة الناس في النشأتين ، واستدامة عبادته تعالى في الأرض ، ومنه هداية قلوب طائفة من الناس لإتباع النبي والرسول الذي يبعثه الله عز وجل ، فيحفظون ميراثه في سنته وما جاء به من المعجزات والبشارة برسالة خاتم النبيين ، وروي (عن أسماء بنت يزيد : أنَّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يُكثر في دعائه : اللهم (يا) مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك .

قالت : فقلتُ : يا رسول اللّه وإنَّ القلوب لتقلب.

قال : نعم ما خلق اللّه من بني آدمً من بشر إلاّ وقلبه بين اصبعين من أصابع الله عزّ وجلّ فإن شاء أزاغه، وإن شاء أقامه على الحق، فنسأل اللّه تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسألهُ أن يهبْ لنا من لدنه رحمةً إنَّهُ هو الوهاب.

قالت : قلت : يا رسول اللّه ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي .

قال : بلى قولي : اللهم ربَّ محمّد النبي، اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلاّت الفتن ما أحييتني)[1].

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٥/٣.

وهذا الدعاء الذي علّمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للصحابية أسماء بنت يزيد موجه إلى أجيال المسلمين من وجوه :

الأول : قانون الدعاء مادة في التفقه في الدين .

الثاني : مبادرة النبي للإجابة على سؤال تعليم الدعاء .

الثالث : هذا الدعاء من الوحي .

الرابع : حاجة المسلم للدعاء لسلامة القلب من الغيظ والكدورة والحسد والميل إلى العنف.

الخامس : التوسل إلى الله عز وجل بالنجاة من الفتن ، والمراد من مضلات الفتن هي الفتن التي تأتي للناس فتحرف بعضهم عن سواء السبيل ، ومنه دعاة السوء ، والذين يلبسون الباطل بالحق بالفصاحة والتأويل الخاطئ للنصوص لإغواء الشباب ومنه تزيين التطرف والعنف والتكفير.

وهل الإرهاب منها ، الجواب نعم ، فنسأل الله عز وجل سلامة ووقاية عامة المسلمين والمسلمات منه ومن مقدماته ، والإعانة عليه .

ومن مصاديق هذا الدعاء النجاة من الأضرار العرضية التي تترشح عن الإرهاب ، قال تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1]، ولم يرد لفظ (المطمئنة) (ارجعي) (مرضية) في القرآن إلا في الآيتين أعلاه .

وتترشح الطمأنينة من اليقين والتقوى والصلاح ، وهي من أعلى مراتب الكمال الإنساني ، ويكون تقدير الآية على وجوه منها :

الأول : النفس المطمئنة بذكر الله .

الثاني : المطمئنة برضاها بقضاء الله .

الثالث : المطمئنة لإيمانها .

الرابع : المطمئنة لعملها الصالحات واجتناب السيئات .

---

(١) سورة الفجر ٢٧-٢٨ .

والنسبة بين طمأنينة النفس وبين العمل الإرهابي هو التضاد والتباين ، ومن الطمأنينة التوكل على الله ، وتفويض الأمور إليه تعالى ، والتحلي بالصبر والإمتناع عن التعدي والظلم ، وفي التنزيل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾(١).

العدل واقية من الإرهاب

لقد أخبر الله عز وجل من قبل هبوط آدم إلى الأرض بأنه تعالى ﴿جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢) مما يدل على تقدم الحياة الدنيا والصلات بين الناس بالعدل والتراحم والإحسان ، وهو من مصاديق الخلافة وتفويض وتسخير أمور الناس في الحكم والمال والجاه بل وحتى داخل الأسرة في قوامة الرجل بقوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . . .﴾(٣) وفي التساوي بين الأولاد وأفراد الأسرة .

ووردت قصة يوسف في القرآن للعبرة والإتعاظ ، إذ بعث الحسد إخوة يوسف على إلقائه في الجب، ومنع عودته إلى أبيه لا لسبب إلا لأن أباه يظهر له من الحب أكثر مما يظهر لهم ، كما ورد في التنزيل ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٤).

ولو رجعوا إلى الحساب فان حب أبيهم لهم هو الأكثر لأنهم عشرة فيتقاسمون حب أبيهم ، بينما يوسف وأخوه لأمه وأبيه بنيامين وحدهما ، ومع هذا فان الآية تحذر من التمييز في معاملة الأولاد وأفراد الأسرة في الإنفاق ، وحتى في المحبة كماً وكيفاً .

---

(١) سورة الطلاق ٣.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة النساء ٣٤.

(٤) سورة يوسف ٨.

ومن معاني خلافة الإنسان في الأرض ضرورة العدل في الحكم ، لبيان قانون اجتناب الحاكم الظلم وتنزهه عن الفساد سبب لإستدامة دورات حكمه ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

ويقال عدل عن الطريق عدولاً : مال عنه ، ومن أهم مصاديق العدل المساواة بين الناس ، والعدل باعث للرضا عند عامة الناس ، وبه ينال الإنسان الأجر والثواب في الآخرة .

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)[2].

ويدل هذا الحديث في مفهومه على عدم استعمال السيف ، إنما اللجوء إلى الموعظة والأمر بالمعروف ، ونهي الحاكم عن الظلم والجور .

وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام في العدل ، ويحكم بالوحي ، ويؤسس لقوانين العدل في الحكم والفصل بين الناس ، وإدارة الدولة ، وسياسة المجتمع.

وعن (حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف بني علي ابن النجار وهو مستنتل من الصف فطعن في بطنه بالقدح .

وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بطنه.

فقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي

---

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢٥٢/١٩.

جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه و سلم بخير وقاله)[١] وقاله أي قبل عذره .

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحذر أجيال المسلمين وحكامهم من الظلم والجور والشح وسوء توزيع الموارد ، إذ ورد (عن جابر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٢].

قانون لوم النفس

من معاني النفس الذات والجامع بين الروح والجسد ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[٣] والمراد آدم عليه السلام ، وما يكون فيه التمييز ، ومنه الآمر الناهي في ذات الإنسان .

ومنها الروح التي بمغادرتها الجسد يصبح جثة هامدة .

ووردت مادة النفس سبعاً وتسعين ومائتي مرة في القرآن منها قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[٤]، ومنها ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٥].

وتقسم النفس الإنسانية تقسيماً استقرائياً إلى أقسام منها :

الأولى : النفس الأمارة بالسوء .

الثانية : النفس اللوامة .

الثالث : النفس المطمئنة .

الرابع : النفس الغضبية والسبعية .

---

(١) البداية والنهاية ٢٧١/٣.

(٢) الدر المنثور ٢١٣/٢.

(٣) سورة الأعراف ١٨٩.

(٤) سورة البقرة ١٢٣.

(٥) سورة التكوير ١٨.

ولا يعني هذا إستقلال كل نفس ، بل قد ينتقل الإنسان من حال إلى حال وتتباين النفوس ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١].

فلا بد من الإجتهاد في إصلاح النفوس والتعاون والتكاتف والتكافل لتثبيت السلم الأهلي ، ونشر ألوية المودة والتراحم بين الناس ، وعمارة الأرض بذكر الله تعالى ، وهو سور جامع يقي الناس من الظلم والبغي والتعدي .

لقد جعل الله عز وجل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢] ومن خصائص هذه الخلافة قانون مصاحبة اللوم للنفس سواء في التقصير في اكتناز الصالحات وجمع الأموال ، وتضييع الفرص أو الندامة على إرتكاب المعاصي والسيئات .

وترى الإنسان يقول لو عادت الأيام لبادرت إلى فعل الخيرات بدل الغفلة ، ليكون هذا اللوم من أسباب استدامة الحياة الدنيا لما فيه من أسباب المنفعة والموعظة ، وقانون إنتفاع الإنسان مما فعله ، وقانون إتعاظ الناس بعضهم ببعض ، وقال تعالى ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٣].

والمراد من النفس في الآية أعلاه وجوه :

الأول : هي النفس الفاجرة الجشعة (اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا وأغراضها)[٤] عن ابن عباس.

---

(١) سورة الرعد ١١.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة القيامة ٢.

(٤)تفسير الآلوسي٢١/٤٥٨.

الثاني : هي اسم جنس ، لأنها تلوم على الخير والشر، عن ابن جبير ، أي علمه الخير لعدم الإستزادة منه ، والشر لإتيانه كما في الحديث النبوي أدناه .

الثالث : المراد نفس آدم ، لأنها لم تزل اللائمة على فعله الذي أخرجه من الجنة)[1] ولكن الآية أعم.

الرابع : النفس التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها (وعن الحسن البصري في هذه الآية: إن المؤمن -والله-ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدُما ما يعاتب نفسه)[2].

والآية في مقام الثناء على المؤمنين، ليكون لوم النفس مناسبة لذكر الله، وباعثاً للجوارح في سبل الصلاح ، وإقراراً بالتقصير في طاعة الله ، وأقسم الله عز وجل بهذه النفس لأنها من بديع صنعه.

وروي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه (قال : ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيرا كيف لم أزد، وإن عملت شرا قالت : ليتني كنت قصرت ، أو نفس آدم فإنها لم تزل تتلوم على ما خرجت به من الجنة)[3].

الخامس: إرادة حال النفوس يوم القيامة ، فأهل الجنة يقولون لولا زدنا من الحسنات وأكثرنا من الذكر والإستغفار، وأهل النار يلومون أنفسهم على قبيح فعلهم الذي أدى بهم إلى سوء العاقبة .

والمختار هو الوجه الثاني والرابع والخامس أعلاه .

---

(١)المحرر الوجيز ٤٥٤/٦.

(٢)تفسير ابن كثير ٢٧٥/٨.

(٣) البحار ٢٩/٧ .

وعندما تساءلت الملائكة على جعل خليفة في الأرض ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[١] أجابهم الله عز وجل ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ومن علم الله عز وجل تفضله بقانون ملازمة اللوم للنفس الإنسانية ، وهذه الملازمة بسنخية النفس الإنسانية .

فمن يعمل الصالحات يلوم نفسه لعدم الإكثار منها لانتفاعه من كل فرد منها في النشأتين ، ومن يرتكب السيئات يلوم نفسه على معصية بلذة دقائق أو ساعات معدودة .

ومن علم الله تعالى أنه يضاعف الحسنات للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وفتح باب التوبة للنفس اللوامة على إرتكاب المعاصي ، وظلم النفس والآخرين وإخافة الناس في الحضر ، وأثناء السفر .

وفيه دعوة لكل مسلم ومسلمة بالإجتهاد في طاعة الله ، وحبس النفس والجوارح من المعاصي والتعدي والإرهاب الذي هو ظلم للنفس والغير والقريب والبعيد ، قال تعالى ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢].

قانون الظلم حاجب للنصرة

من معاني قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣]، علم الله عز وجل بما يعمله الناس في الدنيا ، ومنعهم من تجاوز حدود الخلافة ، فالأصل أن الأرض ملك طلق لله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة النور ٣١.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة آل عمران ١٨٩.

فبعث الله عز وجل الأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[1] مبشرين للذين يعملون الصالحات ، ومنذرين للذين كفروا للظالمين والمعتدين .

ونزل القرآن ببيان قبح الظلم ، والإنذار منه ، وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة ، وورد قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[2]، ست مرات في القرآن ، ويتعدد معناها بلحاظ سياق الآية والآيات التي وردت بخصوصها ، مع بيانها لإنتفاء الشفاعة والنصرة للظالمين ، مع حاجة كل إنسان لهما في الدنيا والآخرة .

وقد تقدم تفسير قوله تعالى ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[3][4]، واختص الجزء الخمسين بعد المائتين من هذا السفر بتفسيرها ، وتضمن هذا الجزء (٢٤٥) قانوناً منها ما يختص بخسارة الظالمين ، وما ينتظرهم من العذاب منها ما يتعلق بعنوان هذا الجزء وهي :

الأول : قانون التحلي بالإيمان والتقوى واقية من دخول النار ، ومن الخزي في الآخرة،ص٦٠.

الثاني : قانون من الإرادة التكوينية يتغشى الحياة الدنيا والآخرة ، وهو انعدام النصير للظالمين،ص٧٥.

الثالث : قانون عدم وجود مفاهيم مبهمة في القرآن وأحكام الشريعة،ص٨٤.

الرابع : قانون قراءة القرآن زاجر عن المنكر والفواحش والفساد ص٨٥.

الخامس : قانون الإرهاب من المنكرات،ص١٩٣.

---

(١) سورة النساء ١٦٥.

(٢) سورة المائدة ٧٢.

(٣) سورة آل عمران ١٩٢.

(٤) أنظر الجزء الخمسين بعد المائتين من هذا السفر الذي أختص بتفسير هذه الآية الكريمة.

السادس : وقانون حبس الجوارح عن الإرهاب والبطش والتفجيرات ، وهذا الحبس من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] ص١٩٣.

السابع : قانون الإصرار على المعصية سبب لدخول النار والخزي يوم القيامة،ص٢٠٨.

الثامن : قانون الملازمة بين نصر الله والحق،ص٢٨٨.

ويدل قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وتلاوة المسلمين له كل يوم على التضاد بين الإيمان والظلم ، وعلى قانون تبرئ المسلمين من الظلم والظالمين ، وقانون الإقرار بأن مصير الظالمين في الآخرة هو النار .

والنسبة بين الظلم والإرهاب هي العموم والخصوص المطلق ، فالإرهاب فرع الظلم ، وهو في زمان العولمة ظلم للنفس والأهل والملة وللناس جميعاً ، وأقبح وجوه الظلم الشرك بالله ، قال تعالى ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[2].

ويبعث قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وتكراره في القرآن المسلمين للتعاون في المسارعة في الخيرات والتنزه عن الظلم ، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنسبة بين المنكر والظلم عموم وخصوص مطلق ، فالمنكر أعم.

وأصل الظلم وضع الشئ في غير موضعه ، ويأتي بمعنى التعدي والجور ، والقهر والغلبة بغير حق .

ومن مفاهيم هذه الآية فوز المؤمنين بالنصرة والشفاعة في الآخرة ، وهل تختص النصرة والشفاعة بيوم القيامة أم تشمل عالم البرزخ والقبر ، الجواب

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة المائدة ٧٢ .

هو الثاني ، مما يدل على قانون التنزه عن الإرهاب حاجة في البرزخ ويوم النشور وعالم الحساب .

ومن خصائص القرآن أنه شفيع ونصير في البرزخ ويوم القيامة ، وعن (ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خباءه[1] على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا هو بإنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر .

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر)[2].

لبيان حاجة الإنسان للنجاة من مساءلة منكر ونكير ، ومن سبل هذه النجاة حبس الجوارح عن الظلم والعدوان والإرهاب .

بين الحد والتعزير والقانون

الحد لغة : هو الحاجز والمانع بين شيئين ، وهو في الإصطلاح عقوبة مقدرة من الشارع .

والحرابة لغة من الحرب الذي هو ضد السلم ، وفي الإصطلاح إشهار السلاح للسلب وإخافة المارة سواء في البلدة أو خارجها .

والتعزير لغة : التأديب والمنع مما لا يجوز فعله ، والتعزير من الأضداد فقد يأتي بمعنى النصرة لمنع العدو من الإيذاء .

وفي وجوب نصرة الناس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[3].

---

(١) ورد في الأصل فتاة بدل خباءه وهو خطأ مطبعي .

(٢) الدر المنثور ٦٣/١٠.

(٣) سورة الفتح ٩.

وكلمة القانون أخذت من اللغة اليونانية وأصلها العصا المستقيمة والضابطة والمقياس .

وانتقلت إلى اللغة اللاتينية بكلمة (canon) بمعنى قاعدة دينية خاصة بالعقيدة أو الكتب النازلة من عند الله .

والقانون هو قواعد وأحكام تضعها السلطة العليا لتنظيم العلاقات ، والجزاء .

وكل ما له عقوبة مقدرة في الكتاب والسنة يسمى حداً ، مثل حد السرقة ، قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ومثل حد الزنا ، أما التعزير فهو دون الحدود وأقل الحد ثمانون سوطاً وتسمى (جرائم الحدود) ومنها القصاص في القتل العمد إلا أن يعفو ولي الميت .

والتعزير هو العقاب الدنيوي على الذنب الذي ليس له عقوبة مقدرة فيكون تقديرها إلى الحاكم الشرعي والقوانين الوضعية في كل بلد ، وتبدأ بالنصح والإنذار والتوبيخ أي أن ذات التوبيخ تعزير وتأديب ، وتقدير كيفية ومقدار التعزير متروك للإمام والقاضي ، وفيه بيان لسماحة الإسلام .

وقد تتضمن الحبس أو الجلد لسلامة المجتمع والأمن من الجرائم ، ولم يكن في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سجن .

وعن عبد الله بن سنان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ان امى لا تدفع يد لامس قال : فاحبسها قال: قد فعلت، قال: فامنع من يدخل عليها، قال: قد فعلت، قال : فقيدها فانك لا تبرها بشئ افضل من ان تمنعها من محارم الله عزوجل)[2].

---

(١) سورة المائدة ٣٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١١٤/٢ .

وقوله لا تمنع يد لامس : كناية عن الزنا .

ولم يقم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليها حدّ الزنا ، ولم يطلب شهوداً أربعة يرون الميل بالمُكحُلة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لايحل لوال يؤمن بالله واليوم الاخر ان يجلد اكثر من عشرة اسواط الا في حد)[1].

ويجوز عفو الحاكم عن الحدود التي للناس ، وهو يرى المصلحة في التعزير أو في تركه ، وقد يكون التعزير بغرامة مالية أو تكون العقوبة جامعة للسجن والمال أو يكتفي بالإنذار واللوم والتوبيخ العلني أو الخفي حسب مايرى فيه المصلحة .

والملاك تحقيق الأمن والسلم المجتمعي ، وحفظ الأنفس والإعراض والأموال والزجر عن التعدي وإيذاء الناس .

وفي حد السرقة يلزم أن يكون قيمة المسروق ربع دينار ذهب عيار ثماني عشرة حبة أو اكثر ، وأن يؤخذ من حرز وليس بانتهاب أو غصب ، وأن لايكون ملكاً للولد أو الوالد ، وأن يكون السارق بالغاً عاقلاً قاصداً مختارا غير مضطر كالجوع ، وغير مؤتمن على المسروق ، وأن تثبت السرقة بالبينة شاهدين عدلين أو باقرار السارق ، وأن يبلغ الخبر الحاكم .

وإذا سرق أكثر يكون ذات حكم القطع ، ولو كان الحكم بالسجن بدل القطع فهل يكون نفس المدة في السجن بالنسبة للقليل والكثير من المسروق ، الجواب لا .

ولأحوال وكيفية السرقة موضوعية في الحكم بالسجن ومدته أو العفو لتحصين المجتمع من الجرائم والتعدد ، ولو سألنا أيهما أحسن للسارق قطع يطه ، ومصاحبة هذا القطع له مدة حياته ، أم السجن ثم خروجه منه .

وسألنا هل حكم قطع يد السارق يمنع السرقة أكثر من السجن أم أن عقوبة السجن تزجر الناس عن السرقة .

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١١٤/٢ .

والتعزير يختلف مقداره بحسب حال الجاني ، وتصح الشفاعة والعفو في حقوق الناس ، وعقوبة الحرابة وقطع الطريق حد بالتخيير بين القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ويترك الكعب ليقف عليها ، أو تقطع اليد اليسرى والرجل اليمني إلا إذا كانت قوانين البلد بعقوبة السجن ونحوها لأن الملاك هو زجر الجناة.

ومن أسباب التعزير مباشرة الرجل للمرأة فيما دون الفرج والسرقة أقل من ربع دينار ذهب ، والقذف بغير الزنا ، وشهادة الزور .

و(عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم : لَا جَلْدَ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)[1].

وشهد أبو بردة بن نيار حليف الأنصار بيعة العقبة ، ومعركة بدر ، والمشاهد النبوية ، وكان أحد الرماة الموصوفين ، توفي سنة (٤٢) للهجرة.

وتترك الشريعة للإمام والحاكم والقاضي اختيار الأنسب في عقوبة التعزير ، أما في القوانين فتحدد القوانين العقوبة ، وللجمع بين الأمرين لابد من ترك مساحة للقاضي وتقديره في القوانين باختيار التخفيف حسب الحال ، ومن غير خروج عن الأمن العام ، ويشمل التعزير في الشريعة حق الله مثل ترك صيام شهر رمضان من غير عذر كالسفر أو المرض .

ولابد من موضوعية للتوبة في تخفيف الحكم ، ولو دار الأمر بين الأقل والأكثر في التعزير يختار القاضي الأخف والأقل رجاء الإصلاح .

ومن جرائم الحق العام بالإعتداء على المجتمع وعلى الدولة الإرهاب فهو جامع للتعدي على الحق الخاص والحق العام ، لذا يلزم كل عاقل التنزه منه ، وجاء الإسلام بالزجر عنه ، والعقوبة عليه .

وهل العقوبة على الجناية بالحد أو التعزير أو في القوانين الوضعية عند عامة الدول من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] عندما احتجوا على جعل الإنسان في الأرض خليفة .

---

(١) مسند أحمد ٤٧٤/٢١ .

الجواب نعم ، فالعدل والعقاب على الجناية مستمر في الأرض بفضل من الله عز وجل ، ومنه سلامة القرآن وأحكامه من التحريف والزيادة والنقصان وترغيب الناس بالعمل بأحكامه .

وهل تلاوة القرآن في الصلاة اليومية على نحو الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة من صيغ هذا الترغيب ، الجواب نعم ، وفي التنزيل ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[٢].

ومن مصاديق حرمة الإرهاب قانون الإرهاب إخلال بالأمن العام ، وقانون الإرهاب إشاعة للخوف بين الناس بقوة السلاح وبغير حق .

وقد تجتمع العقوبة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة في الشرك بالله والجرائم الكبرى ، ومنها الحرابة وإشاعة الفساد في الأرض ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

ويصدق على المحارب إذا كان معه سلاح سواء كان بندقية أو عصا أو حجارة بما يخيف معه المارة وينشر الرعب .

ومن موارد الجمع بين العقوبة الدنيوية والأخروية إنكار التنزيل والنبوة ، قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنعام ١٩.

(٣) سورة المائدة ٣٣.

(٤) سورة الحجر ٨-٩.

وفي سبب نزول الآية أعلاه ذكر أنها (نزلت في النضر بن الحرث ، كان كثير الجدال فكان يقول : الملائكة بنات الله ، والقرآن أساطير الأولين ، ويزعم أنّ الله غير قادر على إحياء من قد بلي وعاد تراباً)[1].

ومعنى (ثاني عطفه) أي لاوي رأسه استكباراً وإعراضاً ، وينظر لايريد الإستماع للحجة والبرهان .

قانون الظلم برزخ دون الشفاعة

لقد ابتدأ الظلم بين الناس بقتل قابيل بن آدم لأخيه هابيل مع عدم وجود غير الأخوة والأبوين على الأرض لبعث النفرة من سفك الدماء ومقدماته وما تتضمنه من الظلم والإنحراف عن العدل ، والعدول عن الإنصاف.

والظلم على أقسام :

الأول : ظلم الإنسان بينه وبين الله تعالى وأشده قبحاً وضلالة الشرك والكفر ، ويلحق به النفاق .

الثاني : ظلم الإنسان للناس منه التعدي عليه ، وأكل أموالهم بالباطل ، ومنه الإرهاب وإرعاب الناس ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

الثالث : ظلم الإنسان لنفسه ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

نعم ، كل فرد من هذه الثلاثة هو ظلم للنفس ومن الأفعال ما يكون مصداقاً لأقسام الظلم الثلاثة هذه مع كونه فرداً متحداً ، ومنه الإرهاب فهو

---

(١) الثعلبي / الكشف والبيان ١٨١/٩ .

(٢) سورة الشورى ٤٢.

(٣) سورة يونس ٤٤.

ظلم من العبد بينه وبين ربه ، وظلم للناس وهو أمر ظاهر جلي ، وظلم للنفس وتعريضها للمهالك ، وهو سبب للحرمان من الشفاعة .

وقد ورد قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ بصيغة الجملة الخبرية ، ولكنه يتضمن الإتعاظ والدعاء للنجاة من كل من :

الأول : التلبس بالظلم ، فهو قبيح بالذات والأثر .

ومن الظلم التعدي والإرهاب وإخافة عامة الناس وتهديدهم والإستطالة عليهم ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

وعن (أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله سبحانه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٢))(٣).

وفي قوم يونس لما رأوا مقدمات العذاب وقرب نزول الهلاك العام بهم بظهور دخان شديد تغشى المدينة ، وسطوح المنازل خرجوا إلى الصحراء ، وفرقوا بين النساء والصبيان ، وبين الدواب وأولادها فتلافت الأصوات مع كثرة التضرع ، وأعلنوا التوبة والندامة فرحمهم الله عز وجل إذ ورد في التنزيل ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾(٤).

وقال عبد الله بن مسعود (بلغ من توبتهم أن يردوا المظالم حتى أن الرجل كان يقلع الحجر بعد أن وضع عليه بناء أساسه فيرده إلى مالكه)(٥).

---

(١) سورة الشورى ٤٢.

(٢) سورة هود ١٠٢.

(٣) الدر المنثور ٣٤٣/٥ .

(٤) سورة يونس ٩٨.

(٥) الرازي / مفاتيح الغيب ٣٥٠/٨ .

الثاني : إنعدام الناصر والشفيع مع الحاجة إليه في الدنيا والآخرة .

الثالث : الخزي يوم القيامة ، وفي التنزيل ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾(١)(٢).

الرابع : عاقبة الظلم دخول النار .

وقال الإمام علي عليه السلام (يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم)(٣).

و(نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر : أيا سليمان أيا سليمان اذكر يوم الآذان .

فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال : أنا سليمان فما يوم الأذان .

قال : فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين .

قال : فما مظلمتك ، قال : أرضي وأرض آبائي أخذها وكيلك .

فكتب إلى وكيله أن ادفع إليه أرضه)(٤).

ويدل قوله تعالى ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾(٥) على تحقق الشفاعة يوم القيامة وهي من سعة رحمة الله عز وجل بالناس يومئذ .

ثم تفضل الله عز وجل وبيّن شروط الشفاعة والشفيع ، قال تعالى ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة آل عمران ١٩٤.

(٢) أنظر الجزء الثاني والستين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) ابن حمدون المكنى بأبي المعالي ت٥٦٢ / التذكرة الحمدونية ١٢/١ ، ابن أبي الحديد / نهج البلاغة ١.

(٤) أنظر مختصر تأريخ دمشق ٤٠٣/١ .

(٥) سورة يونس ٣.

(٦) سورة الزخرف ٨٦.

والظلم والإرهاب يحجب الإنسان عن الشفاعة فلا يكون شفيعاً ولا مشفوعاً له ، لأن ظلمه للناس ، والله عز وجل لايغفر للإنسان ظلمه للناس ، ولا يعلم كثرة عدد الذين يشتكون عند الله يوم القيامة من الفعل الإرهابي إلا هو سبحانه ، ويأذن لهم الله لبيان الأضرار التي لحقتهم بالإرهاب .

وهل تكون منها الأضرار النفسية ، والخوف ، والفزع من العمل الإرهابي ، ومن الخشية من وقوعه ، الجواب نعم .

ويكرم الله عز وجل أولياءه يوم القيامة بالمنزلة الرفيعة وبالأمن من الخوف والفزع ، ويرزقهم الشفاعة لغيرهم بضوابط وقواعد خاصة ، وفيه دعوة للمسلم للإجتهاد بالعمل الصالح ، واجتناب الظلم والذنوب التي تحول دون الفوز بالشفاعة .

قصار السور حرب على الإرهاب

لقد ابتدأ نزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة بين ظهراني قوم مشركين يعبدون الأوثان ويتخذونها وسائط للتقرب إلى الله عز وجل ليجمعوا بين المتضادين بين إكرام البيت الحرام وتعاهد الحج الذي أمر الله عز وجل به الرسول إبراهيم وإسماعيل ، وبين نصب الأصنام في البيت الحرام ، وإتخاذ الغزو والإرهاب وسيلة للكسب والتفاخر .

فنزل القرآن بإخبارهم بأن إبراهيم وإسماعيل كانا مأمورين بتطهير البيت الحرام من الأوثان والرجس والأوثان ، قال تعالى ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1].

وتوالى نزول آيات القرآن بالوعيد على الشرك وعبادة الأوثان بالنار في الآخرة بآيات من كلمات قليلة وسور قصيرة وعلى نحو التتابع ونزول القرآن

(١) سورة البقرة ١٢٥.

نجوماً ، منها ﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾(١) والقرع هو الضرب بالنار ، وسميت السورة باسم سورة القارعة .

والقارعة من أسماء يوم القيامة مثل ﴿الْحَاقَّةُ﴾(٢) ﴿الْوَاقِعَةُ﴾(٣) ﴿الصَّاخَّةُ﴾(٤) ﴿الْغَاشِيَةِ﴾(٥) ﴿الطَّامَّةُ﴾(٦).

سميت القارعة لأنها تقرع القلوب والأسماع بصيغ الفزع والرعب على نحو شديد وعجيب .

ومن خصائص هذه الآيات أن استحضارها في الذهن والمنتديات يطرد العزم على الظلم والتعدي .

فمن إعجاز القرآن وتلاوته بعث الخشوع في القلب ومنعه من العنف ، وهو من المقاصد السامية والإصلاح العام والوحدة المجتمعية في وجوب قراءة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات وعلى نحو الوجوب العيني في الصلاة ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٧)، وتلاوة القرآن من مصاديق هذا الذكر المبارك .

ومن وجوه البيان في السورة القرآنية الواحدة عدم وقوف التنزيل عند التساؤل عن القارعة بل بينت وعلى نحو التفصيل ما هي القارعة في عالم الآخرة ، والأهوال التي يتعرض لها الناس في مواطن يوم القيامة ، وأنه لا

---

(١) سورة القارعة ١-٣.

(٢) سورة الحاقة ١.

(٣) سورة الواقعة ١ .

(٤) سورة عبس ٣٣.

(٥) سورة الغاشية ١.

(٦) سورة النازعات ٣٤.

(٧) سورة الرعد ٢٨.

ينجو إلا الذي آمن وعمل الصالحات ، وثقلت موازينه بالحسنات ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[1].

والقرآن يفسر بعضه بعضاً إذ بينت سورة أخرى ضروباً من الأهوال من وقائع يوم القيامة ، وذكرت ما يلقاه الذين يكذبون بالقارعة كما في قوله تعالى ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[2].

لبيان نزول العذاب بالذين يكذبون بيوم القيامة ، ولا يستعدون له ، ومن هذا التكذيب إنكار رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإعراض عن المعجزات التي جاء بها من عند الله عز وجل ، إذ اهلكوا بالصيحة التي نقبت أفئدتهم .

ومن خصائص آيات وسور القرآن تجدد ما فيها من البشارة والإنذار لكل جيل من الناس وفيها دعوة يومية للصلاح ، والإبتعاد عن العدوان والبغي والإرهاب ، وهذا الإبتعاد سبيل سلامة وحرز في الآخرة .

قانون فضح الفطرة للإرهاب

الفطرة : الخِلقة بكسر الخاء الإنشاء والإيجاد .

وفي الإصطلاح هي السنخية السوية في السلوك والجبلة المستقيمة التي خلق الله عز وجل عليها الناس ، منها حب الناس ، وحب الخير ، والخلق الحميد ، وكراهة الشر والظلم .

---

(١) سورة القارعة ٧.

(٢) سورة الحاقة ١-٦.

ومن الفطرة أن الأصل بالإعتقاد العام هو الإيمان ، ولم يذكر لفظ (فطرة) في القرآن إلا في قوله تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

و(عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال : دين الله).

ومن أحكام الشريعة زكاة الفطرة التي تؤدى ليلة عيد الفطر بعد تمام الصيام ، وهي مقدار صاع من الطعام عن كل إنسان كبيراً أو صغيراً ، ذكراً أو أنثى ، والصاع نحو ثلاثة كيلو غرام ، ويستثنى الفقير من أدائها ، وتسمى زكاة الأبدان وكأنها تدفع عن صاحبها الموت بفضل من الله عز وجل .

وفي قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[٢]، ورد عن (جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : في قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[٣] قال : من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[٤] قال : هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها)[٥].

و(سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن زكاة الفطر قال ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[٦] فقال : هي زكاة الفطر)[٧].

---

(١) سورة الروم ٣٠.
(٢) سورة الأعلى ١٤.
(٣) سورة الأعلى ١٤.
(٤) سورة الأعلى ١٥.
(٥) الدر المنثور ٢٤٢/١٠.
(٦) سورة الأعلى ١٤.
(٧) الدر المنثور ٢٤٢/١٠.

(وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾[١] قال : من أخرج الفطرة ، فقيل له ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[٢] خرج إلى الجبانة فصلى)[٣].

لقد أخبر الله عز وجل عن النفخ من روحه في آدم لتأهيله للخلافة في الأرض ، وسيادة الأخلاق الحميدة فيها ، لذا ترى النفوس تنفر بالفطرة من الإرهاب والظلم ، لأنه خلاف خلقة الإنسان وما أودع الله عز وجل عنده من الثوابت العقائدية من التوحيد والإقرار بالعبودية لله عز وجل ، ومن التصديق بمعجزات النبوة الخارقة للعادة ، والطبائع الحسنة لبيان وجوه :

الأول : قانون حرمة الإرهاب بالفطرة وأصل خلق الإنسان.

الثاني : قانون نهي العقل عن الإرهاب .

الثالث : قانون حرمة الإرهاب شرعاً .

الرابع : قانون امتناع العرف في كل زمان ومكان عن نصرة أو تأييد الإرهاب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[٤].

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى تعاهد الفطرة حتى مغادرة الدنيا .

فقد ورد عن (البراء أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوصي رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك آمنت بنبيك الذي أرسلت وبكتابك الذي أنزلت فإن مات مات على الفطرة)[٥].

---

(١) سورة الأعلى ١٤.

(٢) سورة الأعلى ١٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٨٤/٧.

(٤) سورة البقرة ٢٧٠.

(٥) السنن الكبرى للنسائي ١٩٣/٦.

لقد نزل القرآن بالإخبار بأن الظلم والتعدي خلاف الفطرة والإستقامة ، وبالإنذار والوعيد على الظلم بأشد العذاب مما يلزم المسلم الفرار إلى الله من الظلم والتعدي ، والتحلي بالصبر واتخاذ الإحتجاج والبرهان سبيلاً في الدعوة إلى الله عز وجل ، وفي الدفاع عن التوحيد والنبوة ، وحبس النفس الغضبية ، والإمتناع عن بواعث الشر والعدوان .

إن قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، إخبار سماوي بأن الله عز وجل حفظ حق الحياة والأمن للناس جميعاً ، والإنتفاع مما سخر لهم في الدنيا بطمأنينة ، مع وجوب الشكر لله عز وجل على هذه النعم والتقيد بحرمة مرتبة الخلافة ، وأنذر على الظلم والخروج عن الفطرة والإستقامة بالنار في الآخرة .

نية صلاة الفجر

أيهما أفضل في النية صلاة الصبح أم صلاة الفجر ، الجواب كلاهما صحيح ، ولكن صلاة الفجر أولى لوجوه :

الأول : تسمية الكتاب لها بقرآن الفجر بقوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2]، والإجماع على أن المراد هنا صلاة الفجر .

الثاني : دلالة الآية أعلاه على أن أداء صلاة الفجر وقت الغسق أفضل من وقت التنوير لوجوه :

الأول : النص ، إذ ورد (عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنَّ النِّسَاءُ يُصَلِّينَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الصُّبْحَ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ فَيَرْجِعْنَ فَمَا يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْغَلَسِ)[3].

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الإسراء ٧٨٠.

(٣) سنن النسائي ٣٨٢/٢.

وفيه شاهد بقصر صلاة النبي وقلة الآيات أو قصر السور التي يقرأها في صلاة الصبح .

الثاني : المراد من الفجر هو انفجار ظلمة الليل وتفتح خيوط الصبح ، وظهورها المباغت والقوي والقاهر للناس وعالم الأكوان ، وإنفجار النور من الظلمة بآية كونية لا يقدر عليها إلا الله عز وجل .

الثالث : الصلاة في أول الوقت مناسبة للإطالة في القراءة ، نعم وردت المندوحة والسعة في حديث جبرئيل ، إذ ورد (عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ الْأَنْصَارِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرَ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ أَوْ قَالَ صَارَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبَ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى حِينَ وَجَبَتْ الشَّمْسُ ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءَ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى حِينَ غَابَ الشَّفَقُ ثُمَّ جَاءَهُ الْفَجْرَ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ أَوْ قَالَ حِينَ سَطَعَ الْفَجْرُ.

ثُمَّ جَاءَهُ مِنْ الْغَدِ لِلظُّهْرِ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ثُمَّ جَاءَهُ لِلْعَصْرِ فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ ثُمَّ جَاءَهُ لِلْمَغْرِبِ الْمَغْرِبَ وَقْتًا وَاحِدًا لَمْ يَزُلْ عَنْهُ ثُمَّ جَاءَ لِلْعِشَاءِ الْعِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ قَالَ ثُلُثُ اللَّيْلِ فَصَلَّى الْعِشَاءَ ثُمَّ جَاءَهُ لِلْفَجْرِ حِينَ أَسْفَرَ جِدًّا فَقَالَ قُمْ فَصَلِّهْ فَصَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ قَالَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٌ)[1].

وتكرر اسم (الفجر) في الحديث أعلاه .

الرابع : اجتماع وشهادة ملائكة الليل والنهار لصلاة الفجر ، قبل أن تعرج ملائكة الليل ، فاذا فرغ الإمام من صلاته ، صعدت ملائكة الليل إلى السماء ، وقالت يا رب انا كنا عند عباد لك قد صلوا طاعة لك ، أما

---

(١) مسند أحمد ٦٠/٢٩.

ملائكة النهار فتقول أنا وجدنا عند نزولنا إلى الأرض عبادك ، وهم يصلون (فيقول الله لملائكته : اشهدوا فإني قد غفرت لهم)[١].

وهل هو من مصاديق رد الله عز وجل على الملائكة ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] عندما احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣] لأن شطراً من الناس يفسدون في الأرض ويسفك الدماء ، الجواب نعم .

ومن معاني شهادة ملائكة الليل والنهار لصلاة الصبح أن ملائكة الليل تشهد أول الصلاة عند الفجر ، وعند القراءة والتلاوة والركوع والسجود تنزل ملائكة النهار ، فلو كان الإبتداء بالصلاة وقت التنوير لا تشهدها ملائكة الليل .

ويبين خبر شهادة ملائكة الليل وملائكة النهار لصلاة الصبح ، التسليم والإستلام بين الملائكة ، فلا يبقى ابن آدم من غير رقيب من الملائكة آنا ما ، ولا تخلو الأرض من الملائكة السيارة ، قال تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٤].

ترى حينما يغادر ملائكة الليل أين يذهبون ، وماذا يفعلون ساعات النهار ، وهل لهم وظائف أخرى ، الجواب نعم ، فهم منشغلون بالتسبيح والتهليل ينقطعون إلى ذكر الله عز وجل ، ويستغفرون لبني آدم ، حتى يأتي أوان نزولهم عند حلول الظلام ، فيلقون المسلمين في صلاتهم ، وكذا بالنسبة لحال ملائكة السماء .

وقيل خص الفجر باضافة القراءة إليه دليل على أن طول القراءة فيها مطلوب ، ولم يثبت ، وقيل أن المراد من الشهود في قوله تعالى ﴿وَقُرْآنَ

---

(١) تفسير النيسابوري ١٣١/٥.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة ق ١٨.

الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[١]، أي شهادة كثير من المصلين لهذه الصلاة ، أو أن حقها أن تكون مشهودة بالجماعة الكثيرة ، وهذا المعنى لا يتعارض مع شهادة الملائكة لها ، وهو الأرجح والأصح .

وعن (أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح)[٢].

ومن خصائص صلاة الصبح أنها تأديب وإصلاح للنفوس ، وافتتاح للنهار بالخشوع لله ، والصدور عن آيات القرآن في القول والفعل وهي عنوان السلم والتآخي ، وزاجر للجوارح عن الظلم والتعدي .

المدثر

وردت كلمة (المدثر) مرة واحدة في القرآن بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[٣]، في خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسميت السورة باسم سورة المدثر لبيان موضوعية هذا الإدثار ، ومنافع القيام النبوي منه المتجددة إلى يوم القيامة .

ومنها بسط الأمن ونشر السلم في الجزيرة وعموم الأرض لموضوعية الإنذار في قوله تعالى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٤]، وهل منه الإنذار من الظلم والإرهاب ، الجواب نعم ، لتستجيب أجيال المسلمين لهذا الإنذار والذي لا يمكن إحصاء صيغه .

---

(١) سورة الإسراء ٧٨٠.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٥٤/٨.

(٣) سورة المدثر ١ .

(٤) سورة المدثر ٢.

وابتدأت الآية بالأمر والنداء إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مضجعه متلفف في ثيابه لهول رؤيته جبرئيل وتلقيه الوحي ، وما له من ثقل خاصة في بداياته ، قال تعالى ﴿سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾(١).

فحينما حدث التدثر بسبب الوحي جاء الأمر من عند الله لإتصال الوحي ولبيان أنه باعث للعمل والجهاد ، ومن بدايات الإسلام تجلت مصاديق هذا الجهاد بانذار الناس من عبادتهم الأوثان وبيان أنها سبيل وسبب لنزول العذاب بهم .

وحينما نزلت سورة المدثر لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحمل سيفاً مما يدل على إنذاره بآيات القرآن والحجة والدليل على الوحدانية ، وبيان وظيفة النبوة باجتماع الإنذار مع أداء الفرائض العبادية لقوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(٢).

فلا ينشغل النبي محمد بالذين كفروا عن تثبيت أركان التوحيد ، ونشوء أمة مؤمنة ، وللإشارة بأن الذين كفروا سيكذبون النبي محمداً ، فيجب ألا ينقطع إنذاره للناس واجتهاده في العبادة وأداء الصلاة ، قال تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣)(٤).

وأمر الله عز وجل النبي محمداً بطهارة ثيابه وقلبه من دنس الشرك لأنه الأسوة والقدوة للأجيال في محاربة الكفر ومفاهيم الضلالة ، والإستعداد للتصدي للنفاق ، وتقول العرب بحسن السريرة نقي الثياب ، ولإرادة اتصال

---

(١) سورة المزمل ٥.

(٢) سورة المدثر ٣ .

(٣) سورة آل عمران ١٧٦.

(٤) أنظر الجزء الثالث والسبعين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته إلى الله وعدم إيجاد المشركين أي سبب لذمه أو الإفتراء عليه .

وكان يسمى قبل البعثة الصادق الأمين .

و(عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال : أخبرني جابر بن عبدالله إنّ أوّل شيء نزل من القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[1].

وقال جابر : ألا أخبرك ما سمعت عن النبي عليه السلام سمعته يقول : جاورت بحراء فلما قضيت جواري أقبلت في بطن الوادي فناداني مناد فنظرت عن يميني وشمالي وخلفي وأمامي فلم أرَ شيئاً ، ثم ناداني فنظرت فوقي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض فجثثتُ منه فرقاً فأقبلت إلى خديجة ، فقلت : دثروني وصبّوا عليّ ماءاً بارداً فأنزل الله سبحانه يا أيها المدّثّر)[2].

والمشهور والمختار أن أول سورة نزلت من القرآن هي سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[3].

وهذا النزول سبب للجوء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدثار والإلتفاف بردائه ، فنزل القرآن للطف به ، وبعثه للجد والإجتهاد في الدعوة إلى الله عز وجل ومن حينه لم يفتر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الدعوة إلى الله بالحكمة والتنزيل والبشارة والإنذار ، لبيان أمور:

الأول : قانون نشأة سنن الإسلام على البشارة والإنذار .

الثاني : قانون التباين بين الإنذار النبوي والإرهاب والعنف .

الثالث : قانون قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله بالسلم والرفق .

---

(١) سورة المدثر ١ .

(٢) الثعلبي / الكشف والبيان ٤١٣/١٣ .

(٣) سورة العلق ١.

ويبين قوله تعالى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[١] الوعد من عند الله عز وجل بكفاية النبي وتعضيده ونصرته ، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٢].

وصاحبت هذه الكفاية العظمى النبي محمداً في كل أيام حياته ودعوته إلى الله وبها انتصر على القوم الكافرين .

لقد وردت كفاية الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصفة (العبودية لله) بشارة للمؤمنين بكفايتهم في أمور دنياهم وآخرتهم ، وفيها وجوه :

الأول : قانون اتصال الزجر عن الإرهاب .

الثاني : قانون الغايات الحميدة لا تدرك بالإرهاب .

الثالث : قانون لا يرضى الله عز وجل بالإرهاب .

الرابع : الإرهاب مخالف لقوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].

إحصاء الإنذار القرآني

قال تعالى ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[٤].

هذه الآية من سورة الأنعام وهي مكية نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة قبل هجرته إلى المدينة .

والإنذار هو التنبيه والتخويف من ضرر يترتب على فعل مخصوص .

ولابد من إحصاء مصاديق الإنذار في القرآن سواء التي وردت بالنص والمصداق أو التي تستقرأ من مفهوم الآية وعمومات دلالاتها ليكون عددها بعشرات الآلاف .

---

(١) سورة المدثر ٢.

(٢) سورة الزمر ٣٦.

(٣) سورة آل عمران ١٣٢.

(٤) سورة الأنعام ١٩.

ومن منافع هذا الإحصاء في النواهي الزجر عن المحرمات ، واجتناب الشبهات ، وتيسير قانون الإنذار الموضوعي فعند التحقيق في مسألة النواهي ترجع إلى هذا الإحصاء القرآني ، ومعه إحصاء الأحاديث النبوية الخاصة بالإنذارات لقوله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1].

فقد ترد عدة إنذارات في الآية الواحدة ، نعم يكون إحصاء مصاديق الإنذار أولا لظهورها وجلائها ، مثل الآية أعلاه ، ثم الإنذار القرآني المستقرأ من مفهوم الآيات ومنها آيات البشارة ، مثلاً يدل قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[2] على حرمان الذين كفروا من هذه النعمة بلحاظ آيات القرآن الأخرى .

ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، ففي هاتين الآيتين إنذار من وجوه :

الأول : ذم الذين كفروا ، واختيار الكفر .

الثاني : امتناع الذين كفروا عن قبول الإنذار النبوي مع أنه حق وصدق ، إذ جاءهم الإنذار بالقرآن والسنة .

الثالث : الإنذار والوعيد على الإمتناع عن الإيمان لقوله تعالى ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ نعم الحجة أكبر على الذين بلغهم الإنذار ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[4].

الرابع : ختم الله عز وجل على قلوبهم .

---

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة القمر ٥٤.

(٣) سورة البقرة ٦.

(٤) سورة المدثر ١-٢.

الخامس : ختم الله على سمعهم .

السادس : ختم الله على أبصارهم غشاوة لإختيارهم الكفر والجحود بالمعجزات والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار .

ومن الإعجاز في لفظ ﴿غِشَاوَةٌ﴾ أنها لا تحجب البصر والسمع والبصيرة على نحو السالبة الكلية رحمة من عند الله بالناس لبيان قانون كل إنسان تتغشاه رحمة الله سواء كان مؤمناً أو كافراً مع توالي رحمة الله على الناس ، وفوز المؤمنين بالنصيب الأوفر .

ويمكن استقراء الإنذار من الظلم والإرهاب من آيات القرآن في منطوقها ومفهومها ، وإجراء إحصاء لهذا الإنذار الخاص بتتبع آيات القرآن آية آية مع النظر في تفسيرها بالسنة والسيرة واللغة لبعث النفرة من الإرهاب ولزوم قانون تعاون المسلمين في النهي عن الإرهاب وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وبدأت لغة الإنذار للناس في أول آية نزلت من القرآن ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2]، ثم توجه مفهوم الإنذار إلى النبي محمد بقوله تعالى في سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[3].

إذ توجه فيها الخطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بانذار الناس ، ثم تكرر لفظ (قم) مرة ثانية في القرآن بقوله تعالى ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

(٢) سورة العلق ١.

(٣) سورة المدثر ١-٢.

قَلِيلًا﴾[١]، وهي سورة مكية أيضاً ومن أوائل السور التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرد هذا الأمر في غيرهما من الآيات.

ويحتمل الجمع بين الآيتين :

الأول : أداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما عليه من الإنذار ، وتفرغه للعبادة .

الثاني : وجوب الجمع بين الإنذار والصلاة اليومية ، وصلاة الليل .

والصحيح هو الثاني ، فمن خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيامه بالإنذار العام والخاص للقريب والبعيد إلى حين مغادرته الحياة الدنيا .

وعن الإمام علي عليه السلام قال (لما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] قام الليل كله حتى تورمت قدماه ، فجعل يرفع رجلاً ، ويضع رجلاً ، فهبط عليه جبريل ، فقال ﴿طه﴾[٣] يعني : الأرض بقدميك يا محمد ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[٤] وأنزل ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٥])[٦].

والمراد من المزمل أي المتلفف بثيابه ، لما اعترى النبي محمداً من الهول حينما رأى جبرئيل وضمه له ، فرجع إلى أهله وفرائصه ترعد وقال (زملوني ، زملوني) فنزل جبرئيل بأمره بهذه الآيات بقيام الليل ، وفيه لزوم الصبر على أذى وإرهاب كفار قريش ، فصار هو وأصحابه يحيون الليل

---

(١) سورة المزمل ٢.

(٢) سورة المزمل ١-٢.

(٣) سورة طه ١.

(٤) سورة طه ٢.

(٥) سورة المزمل ٢٠.

(٦) الدر المنثور ٤٩٤/٦ .

بالصلاة إلى أن نزل التخفيف في آخر آية من هذه السورة بقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

إلى جانب دلالة السنة النبوية القولية والفعلية وتعيين صلاة الفريضة خمس مرات .

وعدد صلاة الليل إحدى عشرة ركعة ، تصلى ركعتين ركعتين ويختم بالوتر وعليه السنة النبوية .

إتصال الإنذار القرآني

من خصائص القرآن أنه كتاب نازل من عند الله بالبشارة والإنذار ، وكل منهما بالتصريح والوضوح ، والمفهوم والشواهد الدنيوية والأخروية .

فابتدأت البشارة والإنذار في القرآن من أول سورة أنزلت منه إلى آخر سورة منه ، والمدة بينهما ثلاث وعشرون سنة، فهما مجتمعين ومتفرقين زاجر عن التعدي والظلم والإرهاب ، وبيان لخسارة صاحبها في النشأتين.

وسورة المائدة من آخر سور القرآن نزولاً وهي خالية من المنسوخ فهل فيها إنذارات ، الجواب نعم منها الإنذار المتعدد في الآية الثانية منها ﴿وَلَا

---

(١) سورة المزمل ٢٠.

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

إذ تتضمن الآية الإنذار والنهي من جهات :

الأولى : الإنذار والنهي عن التعدي .

الثانية : النهي عن التعاون على الإثم .

الثالثة : الإنذار والنهي عن العدوان .

والإرهاب من مصاديق الجهات الثلاثة أعلاه التي ورد الإنذار منها لبيان قانون مجئ السور المكية والمدنية بالإنذار من الإرهاب والنهي عنه .

ويدل قوله تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ على وجوب الإمتناع عن التعدي والإرهاب بسبب عداوة قوم ، وصدور الأذى منهم ، وفيه إخبار سماوي بأن المسلمين سيلقون الأذى والعداوة ويلزم مقابلتها بالصبر والحلم .

وفي قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[2] في المقام مسائل :

الأولى : التعاون في عمل الصالحات والدعوة إليها زاجر عن الإرهاب .

و(عن وابصة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا لا أريد أن أدع شيئاً من البر والإثم إلا سألته عنه ، فقال لي : يا وابصة أخبرك عما جئت تسأل عنه أم تسأل؟ قلت : يا رسول الله أخبرني .

قال : جئت لتسأل عن البر والاثم ، ثم جمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ، ويقول : يا وابصة استفت قلبك ، استفت نفسك ، البر : ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس .

والإثم : ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)[3].

---

(١) سورة المائدة ٢.

(٢) سورة المائدة ٢.

(٣) الدر المنثور ٣١٦/٣ .

الثانية : وجوب قيام المسلمين والمسلمات بالتعاون في الصالحات .

الثالثة : تدل الآية على الإنزجار عن التعدي والإرهاب لقوله تعالى ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

النسبة بين الإعجاز والوحي

لقد تفضل الله عز وجل وجعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، ويدل قانون الخلافة في الأرض على الصلة بين الله عز وجل وعباده في الأرض ، وتتجلى هذه الصلة بوسائط كثيرة لا يحصيها إلا الله عز وجل سواء منها التي تتوجه للفرد بالبلاء والإبتلاء ، أو الآيات الكونية العامة التي تتوجه إلى الناس .

ومن اللطف الإلهي الإتصال بالبشر بنعمة الوحي ، وهي خاصة بالأنبياء ، ولكن منافعها تتغشى الناس جميعاً ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[3]، وهذا الوحي معجزة وشاهد على صدق النبوة .

وهل يمكن القول بقانون كل إنسان انتفع من الوحي ، أم أن القدر المتيقن هو انتفاع المؤمنين والمؤمنات منه ، المختار هو الأول ، لما في الوحي من البشارة والإنذار ، والزجر عن التمادي في الغي والكبر والضلالة ، وفيه وجوه :

الأول : قانون الوحي خير محض .

الثاني : قانون الوحي فرع خلافة الإنسان في الأرض وتقوم ذات الخلافة به .

---

(١) سورة المائدة ٢.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) سورة الشورى ٥١.

الثالث : من مصاديق انتفاع الناس جميعاً من الوحي ، قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

والنسبة بين الإعجاز والوحي عموم وخصوص مطلق ، فالإعجاز أعم ، ويشمل الوحي وغيره .

وكل من المعجزة والوحي والتنزيل شاهد على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد تكون المعجزة عقلية مثل الآية القرآنية وحديث الإسراء ، قال تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(٢).

ومنه آيات وشواهد نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣).

ويتجلى قانون الملازمة بين النبوة والوحي ، ومن الوحي للأنبياء السابقين بشارتهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلم تأت هذه البشارة إلا بالوحي ، وقد ورد شاهد منها حكاية عن عيسى عليه السلام في التنزيل ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(٤).

وهذه البشارة نعمة ودعوة للمسلمين للشكر لله عز وجل ، ومن مصاديق هذا الشكر الصبر ، وحسن السمت ومعاملة الناس بالإحسان والرفق ، واجتناب التعدي والإرهاب .

وينفرد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الأنبياء الآخرين بخصائص مباركة كثيرة ، وقد صدرت لي إلى الآن والحمد لله خمسة أجزاء

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢) سورة القمر ١.

(٣) سورة آل عمران ١٢٣.

(٤) سورة الصف ٦.

من كتابي (خصائص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ومجموع خصائص النبي فيها هو (٢١١٠) وهي كالآتي :

الجزء	عدد الخصائص النبوية	عدد القوانين	عدد الصفحات
الجزء ١	٢٠٠	١٣٠	٣٤٩
الجزء ٢	١٧٠	١٠٥	٣٤٠
الجزء ٣	٥٢٠	١٣٨	٣٦٠
الجزء ٤	٦٦٠	١١٠	٣٤٦
الجزء ٥	٥٦٠	١٣٠	٣٤٥
المجموع	**٢١١٠**	**٦١٣**	**١٧٤٠**

سوء عاقبة الظلم

لقد نزل القرآن بالبشارة والإنذار ، والوعد بالثواب على العمل الصالح ، والوعيد بالعذاب الأليم على الكفر والظلم والجور ، ومنه ما ورد في التنزيل ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1][2].

ومن معاني خاتمة هذه الآية وجوه :

الأول : الإقرار بالبعث بعد الموت وعالم الحساب .

الثاني : سوء عاقبة الظالمين .

الثالث : الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل للنجاة من عذاب النار .

الرابع : احتراز المسلم مما يؤدي إلى الخزي بين أهل المحشر يوم القيامة ، بل وبين أهل النار عندما يدخلها أهلها ويشتد بينهم التلاوم .

وتتغشى الحسرة والخيبة أهل النار جميعاً ، وتوسلهم بأهل الجنة طلباً للماء دون جدوى ، قال تعالى ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ

(١) سورة آل عمران ١٩٢.

(٢) أنظر الجزء الخمسين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة.

أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1].

وهل يختص هذا النداء بذوي القربى والمعارف فمثلاً يدعو فرد من أهل النار ذي قرباه الذي في الجنة الماء ، وكذا السؤال بين الزوجين أحدهما في الجنة والآخر في النار ، أم أنه عام ، الجواب لا مانع من اجتماع الأمرين معاً.

وهل تختص سوء عاقبة الظلم والتعدي بعالم البرزخ ويوم القيامة ، الجواب لا .

فمن عواقب الظلم ما هو في الدنيا ، ومنه ما يكون عاجلاً أو آجلاً ، وفي الذات أو الذرية ، ومنه نزع البركة من المال والولد ، وانكسار النفس ، وضيق الصدر ، والطرد من رحمة الله ، والأضرار المترشحة عن دعاء المظلوم ، ومنه الحرمان من فضل الله عز وجل في العاقبة ، ودفع الدرن ، وفي اصلاح البدن ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[2].

وقد يتمادى الظالم في ظلمه استدراجاً من عند الله عز وجل ولأن الدنيا دار امتحان وإمهال .

و(عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله سبحانه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3])[4].

---

(١) سورة الأعراف ٥٠.

(٢) سورة الأحزاب ٧٠-٧١.

(٣) سورة هود ١٠٢.

(٤) الدر المنثور ٣٤٣/٥ .

ونزل القرآن وجاءت السنة النبوية بحرمة الظلم مطلقاً سواء أزاء المسلمين أو الناس جميعاً ، والإرهاب فرع الظلم فلابد من التنزه عنه ، والإبتعاد عن مقدماته ، والإمتناع عن الإعانة عليه ، ومن وظائف المسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنه الأمر بالصلاة والتقوى ، والنهي عن التعدي والجور والعنف والتطرف الضار .

وقد تأتي عقوبة الظلم على يد الناس والسلطان ، وهل بعث النفرة العامة من الظالم من هذه العقوبة ، الجواب نعم ، إذ تمج الأسماع الظلم ، وتذمه الألسن والمنتديات .

ولا يختص سوء عاقبة الظلم بالأفراد بل يشمل الدول والبلدات بسلب النعيم الذي هم فيه ، ويتبدل الحال إلى الزوال ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[1].

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)[2].

وجاءت صيغة الإنذار النبوي خطاباً للمسلمين والناس جميعاً ، كما ورد لفظ (المظلوم) في الحديث على نحو الإطلاق من غير حصر بملة مخصوصة ، ولا مرتبة من مراتب الظلم فيشمل الظلم وإن كان قليلاً.

والظلم في الفعل الإرهابي من الكلي المشكك الذي يكون على مراتب متفاوتة قوة وضعفاً ، وكل فرد منها ظلم ، فأشده على الذي يقع عليه هذا الفعل المنكر وعلى المؤسسات العامة ثم على الأهل والناس الذين يسمعون به وإن كانوا في بلاد أخرى ، لذا يلزم الإمتناع عن الإرهاب مع التحلي

---

(١) سورة الكهف ٥٩.

(٢) تفسير الثعالبي ٤٣٥/٣ .

بالصبر والتقوى واللجوء إلى الإستغفار ، قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١) (٢).

قانون حفظ الصالحات

من فضل الله عز وجل على الناس إحصاؤه وحفظه للصالحات ، واختلف في مسألة الإحباط ، وأن إرتكاب الذنوب يؤدي إلى حبط وضياع العمل .

ومشهور علماء الإسلام بطلان احباط عمل المسلم ، وهو المختار ، وخالف المعتزلة ، والمراد من الإحباط ذهاب ثواب العبادة بسبب الذنوب .

ومن المحبطات الشرك بالله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٣)، ومنه الإرتداد عن الإسلام ويلحق به الرياء ، وقد وردت أحاديث نبوية عديدة بخصوص الرياء وحجبه للثواب .

و(عن شداد بن أوس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية . قلت : أتشرك أمتك من بعدك؟ قال : نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ، ولكن يراؤون الناس بأعمالهم .

قلت : يا رسول الله ، فالشهوة الخفية؟ قال : يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته)(٤).

(وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، ينادي

---

(١) سورة آل عمران ١٣٣.

(٢) أنظر الجزء الثامن والتسعين من هذا السِفر الذي تضمن تفسير هذه الآية الكريمة .

(٣) سورة الزمر ٦٥.

(٤) الدر المنثور ٤٢٢/٦.

مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك)[١].

ومن أسباب حبط الأعمال إيذاء الغير والتعدي عليهم بالقول أو الفعل ، وسفك الدماء .

و(عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة .

ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)[٢].

ولم يقيد الحديث وقوع الظلم على خصوص المسلم ، بل جاء مطلقاً سفك دم هذا ، ضرب هذا ، فان قلت إذا وقع الأذى على الكافر ، فكيف تعطى حسنات المؤمن له .

الجواب نعم قد لا ينتفع منها ، فيحجبها كفره بعد أن تأتيه ، والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار ، فلابد أن يحرص المسلم على عمل الخير ، وعلى تعاهد حسناته بالتقوى واجتناب الإضرار بالآخرين ، ومن القواعد الفقهية في الإسلام قاعدة لا ضرر ولا ضرار ، وهي مقتبسة من (الحديثِ : لاَ ضَرَرَ ، وَلاَ ضِرَارَ ، رواه مالكٌ في الموطإ مرسلاً)[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٢٠ .

(٢) تفسير القرطبي ٤/٢٦٠ .

(٣) تفسير الثعالبي ١/١٣٥ .

قانون عصمة الصالحات

ليس من حصر لأنواع الخزائن والكنوز في الدنيا ، وأسماها اكتناز الصالحات ، ومنافعها في الآخرة أكثر منها في الدنيا ، وهل الدعاء من الصالحات ، الجواب نعم .

ومن مصاديق البشارة في القرآن قوله تعالى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١)(٢).

وهل تدل هذه الآية على نفي نظرية الإحباط بخصوص المؤمنين ، الجواب نعم ، لذا ورد التقييد فيها بقوله تعالى ﴿مِنْكُمْ﴾ لتشمل المؤمنين والمؤمنات الذين ذكرتهم الآيات السابقة للآية أعلاه وبينت عملهم الصالح واجتهادهم في الدعاء وتنزههم عن الظلم والإرهاب .

ولم يرد لفظ (اضيع) في القرآن إلا في الآية أعلاه وبصيغة النفي ﴿لَا أُضِيعُ﴾ لبيان فضل الله عز وجل في حفظ الصالحات والإنابة عليها .

وتدل الآية أعلاه على مسائل :

الأولى : إحاطة الله علماً بكل ما يفعل الناس .

الثانية : تفضل الله بإحصاء وتوثيق أعمالهم .

الثالثة : موضوعية سنخية العمل في حياة وعاقبة الإنسان .

الرابعة : الجزاء الحسن من عند الله عز وجل على عمل الصالحات.

وتبعث آيات القرآن والأحاديث النبوية على أداء الفرائض العبادية والصلاح ، والإمتناع عن إيذاء الناس.

---

(١) سورة آل عمران ١٩٥.

(٢)لقد اختص الجزء الرابع والستين بعد المائتين من هذا السِفر بتفسير هذه الآية الكريمة

وقد ورد في الحديث القدسي (عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن جبريل عن الله عز وجل قال : يقول الله عز وجل : من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرود[١].

وما تقرب إلي عبدي المؤمن ، بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته.

وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه.

وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة ، فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك .

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك .

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم[٢] ، ولو أصححته لأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير)[٣].

الأخوة مع النبي محمد (ص)

لقد ورد في الجزء الرابع والستين بعد المائتين من هذا السِفر أسماء أولاد عبد المطلب جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم عشرة رجال وست نسوة .

بينما ليس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أخ من أبيه أو من أمه ، وعاش اليتم ولكن بكفالة جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب ، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[١].

---

(١) الحرد : أي الذي اغتاظ تحرش بالذي غاضه .

(٢) في الأصل (القسم) سهو من النساخ .

(٣) الدر المنثور ٧١/٩ .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قال : سألت ربي مسألة ووددت أني لم أكن سألته ، فقلت : قد كانت قبلي الأنبياء منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحيي الموتى ، فقال تعالى : يا محمد ألم أجدك يتيماً فآويتك ، ألم أجدك ضالاً فهديتك ، ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ، ألم أشرح لك صدرك ، ألم أضع عنك وزرك ، ألم أرفع لك ذكرك ، قلت : بلى يا رب)[٢].

لبيان النعم الإلهية على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ، وفيه دعوة للمسلمين للصبر والرضا بما قسم الله مع تعاهد قانون الشكر لله بالإمتناع عن الإضرار بالناس .

ولقد فاز المهاجرون والأنصار بأخوتهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا برسالته وأنصتوا لحديثه ، ودافعوا عنه في ميادين القتال ، وسقط عدد منهم شهداء بين يديه لينتقلوا إلى الحياة الأبدية عند الله عز وجل من غير مرور بعالم البرزخ ، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣][٤].

والنسبة بين الشهداء والذين قتلوا في ميدان الدفاع عموم وخصوص مطلق ، فالشهداء أعم وأكثر .

و(عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال خمس من قبض في شئ منهن فهو شهيد المقتول في سبيل الله شهيد والغرق في سبيل الله شهيد والمبطون في سبيل الله شهيد والمطعون في سبيل الله شهيد والنفساء في سبيل الله شهيد)[٥].

---

(١) سورة الضحى ٦.

(٢) الدر المنثور ٢٨٦/١٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٦٩.

(٤) أنظر الأجزاء ١٥٦ و١٥٧ من هذا السفر .

(٥) النسائي / السنن الكبرى ٢٥/٣ .

وهل يفيد الحديث أعلاه حصر الشهادة بالخمس المذكورين ، أم يشمل الموت في هذا الزمان بكيفية مستحدثة مثل حوادث الطائرات ، المختار هو الثاني .

وتزجر الآية أعلاه في منطوقها ومفهومها عن الإرهاب ، وعن سفك الدماء ، وتعريض النفس والآخرين للهلكة بالفعل الإرهابي .

والمتبادر أن صحابة وإخوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم الذين صاحبوه أيام حياته من المهاجرين والأنصار وهم مؤمنون .

ولكن جاءت السنة النبوية باصطلاح وتعريف لإخوة النبي محمد بتجدد مصاديقه في كل زمان .

و(عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا ليتني قد لقيت إخواني ، قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك وأصحابك : قال : بلى . ولكن قوماً يجيئون من بعدكم ، يؤمنون بي إيمانكم ، ويصدقوني تصديقكم ، وينصروني نصركم . فيا ليتني قد لقيت إخواني)[1].

وفيه دعوة للمسلمين لإتباع نهج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر والصفح والعفو والإجتهاد بعبادة الله عز وجل ، قال تعالى ﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[2].

وبعد مرور تسعة أشهر على قدوم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار واختار الإمام علي عليه السلام أخاً له .

ثم جاء الحديث أعلاه للإخبار بأن المسلمين في الأجيال المتعاقبة هم إخوة للنبي محمد ما داموا يؤمنون برسالته ، ويصدقونه ، ويمتثلون للأوامر والنواهي التي نزلت عليه من عند الله عز وجل ، والتي تتضمن الوعيد على الظلم والجور وتنهى عن التطرف وعن سفك الدماء .

---

(١) الدر المنثور ٢٥/١ .

(٢) سورة طه ١-٢.

حرمة الإضرار بالناس

لقد جعل الله عز وجل الآية القرآنية كنزاً للمعارف ، وبستان صلاح ورشاد ، ومن نعم الله عز وجل على المسلم التوفيق لقراءة آيات القرآن في الصلاة و خارجها ، ولا يعلم نفعها له ولعياله وذريته في الدنيا والآخرة إلا الله عز وجل ، وفيه وجوه :

الأول : قانون تلاوة القرآن حرز من البلاء .

الثاني : ذات التلاوة صلاح وفلاح .

الثالث : قانون تلاوة القرآن تقييد للجوارح من الإضرار بالناس .

وجاء الإسلام لمنع الضرر والمضارة ، وأن الجزاء من جنس العمل ، قال تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

ومن المضارة المنهى عنها المضارة في العشرة الزوجية وفي التمايز بين الأولاد ، ومنها سوء الجوار وإيذاء الجيران وعامة الناس .

وقد ورد (عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا ضرر ولا ضرار ، من ضار ضاره الله ، ومن شاق شاق الله عليه)[2].

والسباع مع شدة بأسها لا تؤذي نوعها ، فمن باب أولى امتناع الإنسان عن إرعاب وإيذاء عامة البشر لما رزقه الله سبحانه من العقل وشآبيب الرحمة ، وتوالي معجزات النبوة وآيات التنزيل بالوعد والوعيد الأخروي.

وفي عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ اَلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَاَلْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاَللُّطْفَ بِهِمْ وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي اَلدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي اَلْخَلْقِ .

يَفْرُطُ مِنْهُمُ اَلزَّلَلُ وَتَعْرِضُ لَهُمُ اَلْعِلَلُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي اَلْعَمْدِ وَاَلْخَطَإِ .

---

(١) سورة الزلزلة ٧-٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤٥٤/٥ .

فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ اَلَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اَللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِه)[١].

وهل أخوة أجيال المسلمين والمسلمات للنبي محمد من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

الجواب نعم وفيه دعوة للتفقه في الدين ، ومعرفة سيرة سيد المرسلين ، والإمتناع عن المعاصي والسيئات والظلم والتعدي .

امتناع النبي (ص) عن الغزو

امتلأت كتب السيرة والتفسير بذكر غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر أن عددها ست وعشرون غزوة وغير هذا العدد .

و(عن مكحول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزا ثماني عشرة غزوة، قاتل في ثمانى غزوات، أولهن بدر، ثم أحد، ثم الاحزاب، ثم قريظة، ثم بئر معونة ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة مكة، ثم حنين والطائف)[٣].

والمختار أن النبي محمداً لم يغز أحدا ، وقد صدرت بهذا العنوان تسعة وعشرون جزءً من هذا السِفر وهي :

(١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٨-١٦٩-

١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٤-١٧٦-

١٧٧-١٧٨-١٨٠-١٨١-١٨٢-

١٨٣-١٨٧-١٩٣-١٩٤-١٩٦-

---

(١) ابن ابي الحديد / شرح نهج البلاغة ٢٤٨/٣ .

(٢) سورة المنافقون ٨.

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٣٥٢/٢ .

-٢٢٩-٢٢١-٢١٦-٢١٢-٢٠٤

٢٦٦-٢٦١-٢٥٦-٢٣٩)

ترى لماذا لم يغز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً ، فيه وجوه:

الأول : حكومة الوحي ، وحضوره في قول وفعل النبي محمد ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(١).

الثاني : كفاية التنزيل والمعجزات الحسية في جذب الناس للإيمان ولو في أيام وسنين متتالية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(٢).

لقد رزق الله عز وجل الأنبياء المعجزة الحسية مثل ناقة صالح ، وعصا موسى ، وإبراء عيسى عليه السلام الأكمه والأبرص .

وتفضل الله عز وجل ورزق خاتم النبيين المعجزات العقلية آيات وسور القرآن التي توثق معجزات الأنبياء الحسية وتحفظها إلى يوم القيامة ، وصار الوافدون إلى مكة يغادرونها بالآيات والسور فتصل إلى مدن وقرى الجزيرة وإلى اليمن وبلاد الشام ، فلا غرابة أن يدخل رهط من الأوس والخزرج من أهل يثرب الإسلام ، ويبايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليهاجر إليهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فجهز كفار قريش وحلفاؤهم الجيوش لمحاربته والسعي لقتله ، وجعل أصحابه بين قتيل وأسير .

الثالث : تأكيد قانون المعجزة أمضى من السيف .

الرابع : بعث الله عز وجل الخوف والرعب في قلوب المشركين مما تفقد معه أسلحتهم وخيلهم أثرها في ميدان المعركة ، قال تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي

---

(١) سورة النجم ٣-٤.

(٢) سورة الزمر ٣٦.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾(١).

الخامس : لقد اختار الله عز وجل الإنسان للخلافة في الأرض وقد تفضل وأخبر الملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢).

وسواء كانت الخلافة على نحو القضية الشخصية أم العامة فان النبي محمداً هو خليفة الله في زمانه ، وأبى الله عز وجل إلا أن يظهره على الذين كفروا في ملكه المطلق ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣) (٤).

فلا تصل النوبة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغزو والقتال ، وفيه حجة على الأجيال المتعاقبة من المسلمين وغيرهم من وجوه :

الأول : قانون لزوم ترك القتال والعنف والإرهاب .

الثاني : الإدراك العام لقانون لا يجلب الإرهاب إلا الضرر المحض .

الثالث : انتصار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على جيوش المشركين بالمعجزة العقلية والحسية ، وفيه ترغيب باللجوء إلى الإحتجاج والبرهان ، قال تعالى ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران ١٥١.

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) سورة آل عمران ١٨٩.

(٤) أنظر الجزء السادس والعشرين بعد المائتين من هذا السِفر الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٥) سورة النحل ١٢٥ .

آيات السلم زاجر عن الإرهاب

من مصاديق خلافة الإنسان في الأرض التعايش السلمي بين الناس على اختلاف مشاربهم ، لذا فان ذكر القرآن لواقعة قتل قابيل بن آدم لأخيه هابيل عبرة وموعظة ، ودعوة للناس لإجتناب سفك الدماء الذي حذرت منه الملائكة قبل هبوط آدم إلى الأرض .

لبيان تقوم الحياة الدنيا بالسلم اليومي ، والتسامح والعفو ، والإمتناع عن العنف والبطش ، وهذا الإمتناع واجب شرعي وعقلي ، وبناء أخلاقي سليم ونشر للفضائل الأخلاقية ، قال تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١).

لنقض العداوة بقانون التسامح تآلف وسبب للتكافل .

لقد حارب القرآن التطرف ، ونهى عنه ، والتطرف هو التشدد في المبدأ والتعصب ، للرأي ، وهو ضد الوسطية ، نعم لم يأت لفظ التطرف في القرآن ، ولكنه ورد بصيغ أخرى مثل (الغلو) قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾(٢).

كما ورد ذم الطغيان والعتو والعفو ومجاوزة القدر والحد الواجب والنسبة بين الطغيان والغلو عموم وخصوص مطلق ، فالطغيان أعم وأشد إذ يصاحبه تكبر وتجبر ، وقد خاطب الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾(٣).

وذات النسبة بين البغي وبين التطرف والغلو ، فمن معاني البغي الظلم والفساد مع طلب الإستعلاء .

---

(١) سورة فصلت ٣٤.

(٢) سورة النساء ١٧١.

(٣) سورة طه ٤٣.

وقد تكرر لفظ (البغي) في آيات عديدة من القرآن بصيغة الذم والإنذار منه ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

ومن الإعجاز في هذه الآية أنها تتضمن ثلاثة أوامر وثلاثة نواهي ، وكل فرد من الأوامر يأمر بالضد من الإرهاب ، وكل نهي فيها يزجر عن الإرهاب.

وهل يمكن القول بقانون كل آية من آيات السلم زاجر عن الإرهاب ، الجواب نعم .

فمن إعجاز القرآن مجئ الآية بأمر أو جملة خبرية لتتضمن في مفهومها ودلالتها النهي عن الفعل المبغوض عقلاً وشرعاً .

فمثلاً قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2] أمر من الله عز وجل لكل مسلم ومسلمة إلى يوم القيامة بالسعي إلى السلم والتسامح ، وحلّ الخلافات بالرفق والإحسان والتراحم ، ولبيان أن العنف والبطش وإخافة الآمنين ، وقتلهم غيلة خلاف الوظيفة الشرعية للمسلم .

وقال تعالى ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[3].

---

(١) سورة النحل ٩٠.

(٢) سورة البقرة ٢٠٨.

(٣) سورة الأنعام ٣٥.

لبيان وجوب الصبر والحلم على الذين يصرون على الكفر والجحود ، إذ كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شديد الحرص على إيمانهم على نحو القضية الشخصية بالنسبة لكبار رجالات قريش أو عامة الكفار.

فأخبر الله عز وجل بأن ماجاء به من الآيات كافية للهداية والإيمان فأرض بما أتاك الله عز وجل ، فان تستطيع أن تدخل من نفق ومنفذ إلى أعماق الأرض، أو تصعد في السماء فتأتي الناس بآية فافعل .

إنما شاء الله عز وجل أن يجعل الحياة الدنيا دار امتحان واختبار ، ولم يرد لفظ (اعراضهم) و(نفقاً) (سلماً) (لجمعهم) في القرآن إلا في الآية أعلاه.

قانون التضاد بين الإحسان والإرهاب

لقد تكررت مادة الإحسان في آيات عديدة من القرآن وهو على أقسام ، وكل قسم منها زاجر عن الإرهاب وشاهد على حرمته وهي :

الأول : الإحسان الخاص : كما في قوله تعالى ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وفيه مسائل :

الأولى : اقتران الإحسان للوالدين بوجوب عبادة الله عز وجل وحده .

الثانية : ورود الأمر بالإحسان للوالدين أربع مرات في القرآن ، كلها مع وجوب عبادة الله عز وجل وحده .

الثالثة : حرمة عقوق الوالدين ، لذا قال تعالى ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾[1].

والمختار أن النسبة بين بر الوالدين وبين الإحسان لهما عموم وخصوص مطلق فالبر أعم ، لما فيه من العطف والطاعة والوفاء والرأفة والمحبة ولين المسلم بالقول والفعل .

وفي القيام بالعمل الإرهابي إيذاء للوالدين سواء كانا من الأحياء أو الأموات .

---

(١) سورة الإسراء ٢٣.

الثاني : الإحسان للنفس بجلب المصلحة لها بالحق ، ودفع الضرر عنها ، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾(١).

ومن الإحسان للنفس التنزه عن الإرهاب ، والإبتعاد عن مصاديقه ، لما في هذا الإبتعاد من السلامة في الدين والدنيا .

الثالث : الإحسان للناس القريب والبعيد ، إذ يدل قوله تعالى ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢) على وجوب الإحسان وفعل الخير للناس عموماً وإن كان الفرد والجماعة من ملة أخرى.

وفي هذه الآية حجة على حرمة إرعاب الآمنين ، والبطش والعنف ، والتفجيرات العشوائية وقتل الذين يؤدون وظائف عامة وفق القانون .

ويتجلى الإحسان للآخرين وإكرام عامة الناس في خياراتهم بقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٣)، وفيه دعوة للتعايش السلمي ، والتعددية وقبول الآخر ، والإنصات للحق ، وهو مناسبة للتكاثر والإستقرار والتنمية والأمن المجتمعي الذي يترشح عنه الرزق الكريم ، والسلامة من الأدران النفسية والبدنية .

ومن خصائص الإحسان اجتماع الأقسام الثلاثة أعلاه في مصداق وفعل واحد ، وقال تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٤).

ففي العفو والصفح إحسان للآخرين وللذات أيضاً بالأجر والمغفرة وهو أسمى ما يسعى إليه الإنسان في الدنيا ، والنسبة بين الإحسان وبين كل من

---

(١) سورة النساء ١٢٥.

(٢) سورة البقرة ١٩٥.

(٣) سورة البقرة ٢٥٦.

(٤) سورة النور ٢٢.

العفو والصفح عموم وخصوص مطلق ، لبيان قانون الدنيا دار الإحسان ، وفي التنزيل ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

وورد لفظ (احسنتم) مرتين في هذه الآية ، ولم يرد في غيرها من آيات القرآن ، ويمكن احصاء الكلمات التي وردت مرتين في آية واحدة ثم لم ترد في آية قرآنية أخرى ، ودلالة هذا التكرار المنفرد .

وكذا وردت كلمة (أسأتم) (ليسوءوا) في هذه الآية من بين آيات القرآن كلها ، وفيه دعوة للإنسان للإحسان للنفس بعمل الصالحات واجتناب السيئات التي تجلب الحسرة والندامة .

شفاعة النبي (ص)

لقد بعث الله عز وجل الأنبياء ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[2]، فجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، وسعوا في هداية الأمم ، وصبروا على الأذى ، ولم تلق طائفة من الناس مثل الأذى الذي لاقاه الأنبياء .

فمن خصائص الإنسان والجماعة مغادرة المحل والرأي الذي يجلب لهم الأذى على نحو متعدد ومتكرر ، ولكن دعوة الأنبياء إلى الله عز وجل لا تنقطع مع شدة الأذى ، فهم مأمورون بأداء رسالة سماوية فيأتيهم المدد من عند الله عز وجل.

ويتفضل الله عز وجل عليهم بالأجر والثواب في النشأتين ، ومنه في الدنيا أمور :

الأول : كثرة الأتباع والأنصار للنبي .

الثاني : تناقل طائفة من الناس أخبار معجزات النبي سواء نبي زمانهم أو الأنبياء السابقين .

---

(١) سورة الإسراء ٧.

(٢) سورة البقرة ٢١٣.

الثالث : الذكر الحسن للنبي بين الناس ، لقانون الملازمة بين الفطرة الإنسانية والإستقامة ، وقانون ميل الناس للمتقين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[1].

وجاءت السين في ﴿سَيَجْعَلُ﴾ لإفادة المستقبل القريب ، وأن ثناء الناس عليهم يستمر حتى بعد وفاتهم ، والأنبياء سادة المتقين .

الرابع : توثيق القرآن لإجتهاد الأنبياء في دعوتهم إلى الله ، وبيان قانون مصاحبة المعجزة لكل نبي .

الخامس : قانون شفاعة الأنبياء في الآخرة .

ويدل إخبار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أول شافع على وجود شفعاء كثيرين يوم القيامة من الملائكة والأنبياء والصالحين .

فقد ورد عن عبد الله بن عباس (جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتظرونه ، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم ، وإذا بعضهم يقول : إن الله اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله . وقال آخر : ماذا بأعجب من أن كلم الله موسى تكليماً .

وقال آخر : فعيسى روح الله وكلمته . وقال آخر : آدم اصطفاه الله .

فخرج عليهم فسلم فقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم ان إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى كليمه ، وعيسى روحه وكلمته ، وآدم اصطفاه الله ربه كذلك ، ألا وإني حبيب الله ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ولا فخر.

وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتحها الله ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة ولا فخر)[2].

---

(١) سورة مريم ٩٦.

(٢) الدر المنثور ٢٦٣/٣ .

وأخبار شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة وادخارها لأهل الكبائر من المسلمين متواترة وعليه الإجماع ، فيلزم سعي المسلم لنيل هذه الشفاعة ، والفوز بهذه النعمة ، واجتناب الموانع التي تحول دونها من الظلم والتعدي والإرهاب .

ومن أجلى وأظهر موارد الفوز بشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الآخرة والسعي لإتباع سنته .

قوانين الجزء ٢٧٠

وفيه القوانين التالية :

الأول : قانون فرض الصلاة اليومية برزخ دون الإرهاب .

الثاني : قانون الصلاة تهذيب للنفوس .

الثالث : قانون أداء الصلاة اليومية أمان للذات والغير.

الرابع : قانون أداء الصلاة حبس للجوارح من التعدي والظلم ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[1].

الخامس : قانون الصلاح بتلاوة آيات القرآن .

السادس : قانون صرف القرآن صاحبه عن السيئات.

السابع : قانون رجحان كفة الصالحات بتلاوة القرآن والعمل بمضامينه ، قال تعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2].

الثامن : قانون نجاة الإنسان من عذاب القبر بتلاوة سورة الملك التي تبدأ بقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[3].

التاسع : قانون البسملة سلام .

---

(١) سورة هود ١١٧.

(٢) سورة ق ٢٢ .

(٣) سورة الملك ١-٢.

العاشر : قانون التنزيل نور يستضئ به العقل .

الحادي عشر : قانون مصاحبة الأمل للإنسان ، فليس من إنسان إلا وعنده آمال تتسع أحياناً أو تضيق .

الثاني عشر : قانون تصدي الأنبياء للإرهاب .

الثالث عشر: قانون حج البيت الحرام معجزة متجددة .

الرابع عشر : قانون طاعة الله طمأنينة للقلوب .

الخامس عشر : قانون تصديق المسلمين بما وعد الله عز وجل من اللبث الدائم في النعيم للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، والنسبة بين عمل الصالحات وبين الإرهاب التضاد .

السادس عشر : قانون طمأنينة الذين يسمعون ذكر الله ، والنسبة بين (قلوبهم) و(القلوب) في الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1] عموم وخصوص مطلق .

السابع عشر : قانون ذكر الله من إخلاص العبودية .

الثامن عشر : قانون اجتماع الوحي ونزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

التاسع عشر : قانون مصاحبة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في العبادات والمعاملات ، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

العشرون : قانون الوحي مدد وعون للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الواحد والعشرون : قانون حضور الوحي في الوقائع والأحداث أيام النبوة .

الثاني والعشرون : قانون كلام وفعل النبي محمد صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الرعد ٢٨.

(٢) سورة النجم ٣-٤.

وسلم وحي من عند الله عز وجل .

الثالث والعشرون : قانون نزول السنة بالوحي .

الرابع والعشرون : قانون أكثر كلمة ينطقها المسلمون سلام وأمن عام .

الخامس والعشرون : قانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سلام متجدد في كل زمان.

السادس والعشرون : قانون الإرهاب بمراتبة المختلفة خلاف للرفق والرحمة .

السابع والعشرون : قانون القرآن رسول السلام والأمن والصلاح ، فهو كلام الله الذي أنزله لإصلاح النفوس والمجتمعات .

الثامن والعشرون : قانون فضح القرآن للظلم والإرهاب .

التاسع والعشرون : قانون تبرأ القرآن من الإرهاب بمفهومه المعاصر .

الثلاثون : قانون زجر القرآن عن الإرهاب .

الواحد والثلاثون : قانون الوعيد في القرآن على الإرهاب بذاته ولأنه شعبة من الظلم ، قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

الثاني والثلاثون : قانون الإرهاب تعد لحدود وأحكام التنزيل ، قال تعالى ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[2].

الثالث والثلاثون : قانون التقديس للنفس .

الرابع والثلاثون : قانون الإرهاب نقيض عمارة الأرض لما فيه من سفك الدماء ، وبعث الفزع والخوف في النفوس.

الخامس والثلاثون : قانون الإرهاب برزخ دون عبادة الناس لله عز وجل تمام العبادة.

السادس والثلاثون : قانون الإرهاب نقيض التقوى والخشية من الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام ٢١.

(٢) سورة الطلاق ١.

السابع والثلاثون : قانون التقوى مانع من الإرهاب .
الثامن والثلاثون : قانون ملازمة التقوى للمؤمنين في حياتهم اليومية .
التاسع والثلاثون : قانون التقوى حرز من الظلم والإرهاب .
الأربعون : قانون التضاد بين التقوى والإرهاب .
الواحد والأربعون : قانون المسكنة والخشوع لله واقية من الظلم والتعدي .
الثاني والأربعون : قانون التضاد بين الصراط المستقيم والإرهاب .
الثالث والأربعون : قانون كثرة الطرق إلى الجنة .
الرابع والأربعون : قانون الحسد مذموم ، ويلزم الإستعاذة منه .
الخامس والأربعون : قانون سيادة الإسلام سلماً بالبرهان .
السادس والأربعون : قانون فتح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باب الإجتهاد كفرع للكتاب والسنة .
السابع والأربعون : قانون تعاهد النعمة .
الثامن والأربعون : قانون التضاد بين عمل المسلم والإرهاب .
التاسع والأربعون : قانون التنافي بين طيب العيش والإرهاب .
الخمسون : قانون الإرهاب طارد لخفض العيش ، ومانع من نضارته .
الواحد والخمسون : قانون الإرهاب ظلام يحجب نضارة العيش ، وتحذر كل الكتب السماوية من البَطَر وهو الغرور والطغيان عند النعمة
الثاني والخمسون : قانون الإرهاب ضد لصلة الرحم .
الثالث والخمسون : قانون ترشح الضغائن والأحقاد عن الإرهاب .
الرابع والخمسون : قانون الإرهاب إيذاء لذوي القربى وسبب لحزنهم ، بدل إعانتهم ، وإسداء الخير لهم بالمال والمعروف ، ومنه الضابطة الكلية والقاعدة (الغُرم بالغَنْم)[٢].

---

(١) سورة آل عمران ١٠٢.
(٢) تاج العروس ٣٨٠/١ .

الخامس والخمسون : قانون الإرهاب قطع للمودة بين الناس .

السادس والخمسون : قانون الإرهاب خلاف لما أمر الله به ، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1] .

السابع والخمسون : قانون الإرهاب جفاء وفساد .

الثامن والخمسون : قانون الإرهاب بغي واعتداء على الناس ، لا أصل له .

التاسع والخمسون : قانون منع الإرهاب الناس حقوقهم .

الستون : قانون الإرهاب سبب للسخط العام ، وفيه فرض استعلاء للنفس دون الناس باجتماع النفس الغضبية والشهوية والإستعلاء .

الواحد والستون : قانون الأوامر والنواهي القرآنية موعظة ودعوة لاستحضارها عند الشروع بقول أو فعل .

الثاني والستون : قانون العمل بأحكام التنزيل نجاة في الدنيا والآخرة .

الثالث والستون : قانون مصاحبة الندم للإرهاب .

الرابع والستون : قانون الندم على العمل الإرهابي .

الخامس والستون : قانون ندم الظالمين لا ينجيهم من العذاب العاجل بقوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2] .

السادس والستون : قانون ملازمة الندامة للإرهاب .

السابع والستون : قانون إدراك الذي يقدم على العمل الإرهابي في قرارة نفسه أن فعله مخالف للعقل والشرع لولا الغشاوة التي تُجعل على بصره وبصيرته .

---

(١) سورة الرعد ٢٥.

(٢) سورة المؤمنون ٣٩-٤١.

الثامن والستون : قانون تعقب الندامة للفعل الإرهابي .
التاسع والستون : قانون البراءة من إراقة الدماء .
السبعون : قانون التضاد بين عمل المسلم وسوء فعل قابيل بن آدم بقتله أخيه .
الواحد والسبعون : قانون التضاد بين أحكام الإسلام والفساد ، ومنه الإرهاب .
الثاني والسبعون : قانون الحكمة زاجر عام عن الإرهاب .
الثالث السبعون : قانون التضاد بين الحكمة والإرهاب .
الرابع والسبعون : قانون أن منّ الله على السابق من المسلمين هو منّ على اللاحق منهم .
الخامس والسبعون : قانون محق الإرهاب وقبح وزوال الباطل .
السادس والسبعون : قانون القرآن خير جليس ، فهو يحدثك بكلام الله ، وقصص الأنبياء والأمم السابقة ، وأحكام الشريعة .
السابع والسبعون : جاء القرآن بالرأفة وقانون التراحم بين الناس .
الثامن والسبعون : قانون إلتقاء أهل الديانات السماوية .
التاسع والسبعون : قانون منع الضغائن بين المسلمين وأهل الكتاب .
الثمانون : قانون حرمة الإرهاب مع المسلمين وأهل الكتاب والناس جميعاً .
الواحد والثمانون : قانون الكتب السماوية السابقة مقدمة لنزول القرآن وبشارة متتالية برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الثاني والثمانون : قانون التضاد والتنافي بين الإنتساب للإسلام وبين التعدي والإرهاب .
الثالث والثمانون : قانون مصاحبة النهي عن التعدي لأجيال المسلمين ، وهو من أسرار تلاوة كل مسلم ومسلمة القرآن خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني .
الرابع والثمانون : قانون التنزه عن التعدي على الناس بالقول والفعل

والجارحة وسيلة للفوز بحب الله سبحانه .

الخامس والثمانون : قانون امتناع المسلم عن الإرهاب والتعدي من الصراط المستقيم في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

السادس والثمانون : قانون الكتاب السماوي صلة بين أهل الملل السماوية .

السابع والثمانون : قانون لا يقدر على تنزيل الكتاب من السماء إلا الله عز وجل .

الثامن والثمانون : قانون الإيمان يحبس النفس والجوارح عن الإرهاب .

التاسع والثمانون : قانون براءة الإيمان من الإرهاب .

التسعون : الملازمة بين الإيمان والخلق الكريم .

الواحد والتسعون : قانون حب الله للمؤمنين الذين لا يعتدون ولا يظلمون ، والإرهاب تعد وظلم.

الثاني والتسعون : قانون بغض الله عز وجل للظالمين المفسدين في الأرض .

الثالث والتسعون : قانون التضاد بين آيات القرآن والإرهاب .

الرابع والتسعون : قانون رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حرب على الإرهاب .

الخامس والتسعون : قانون آيات القرآن واقية للناس افراداً ومجتمعات من العنف والبطش .

السادس والتسعون : قانون تجدد منافع النصر في معركة بدر في الأزمنة اللاحقة للتنزيل .

السابع والتسعون : قانون ملازمة تقوى الله للنصر على أهل الشرك والكفر المعتدين.

الثامن والتسعون : قانون دعوة آيات القرآن للسلم المجتمعي ، قال تعالى

---

(١) سورة الفاتحة ٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(١).

التاسع والتسعون : قانون الرد بالأحسن استئصال للإرهاب .

المائة : قانون الرد على الأمر الحسن بالأحسن ، وعلى التعدي والإساءة بالأحسن والصبر واللطف.

الواحد بعد المائة : قانون الملازمة بين الإيمان والرد بالأحسن لقوله تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(٢).

الثاني بعد المائة : قانون مقابلة السيئة بالإحسان طرد للضغائن .

الثالث بعد المائة : قانون التنزه عن الإرهاب والظلم طريق إلى الجنة .

الرابع بعد المائة : قانون الإرهاب برزخ وحاجب عن الأمن في عالم البرزخ ويوم القيامة .

الخامس بعد المائة : قانون مجئ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الأخلاق .

السادس بعد المائة : قانون الإسلام تثبيت دائم للسلم .

السابع بعد المائة : قانون الدار الدنيا دار الإباحة والحلية إلا ما دل الدليل على حرمته والنهي عنه .

الثامن بعد المائة : قانون الإرهاب حرام بالحرمة التكليفية والقانونية والعرفية المجتمعية .

التاسع بعد المائة : قانون انتفاع الجميع الغني والفقير من المعجزة .

العاشر بعد المائة : قانون تعاهد المسلمين لتلاوة كلام الله خمس مرات كل يوم في مشارق ومغارب الأرض ، وليس من أمة من الأولين والآخرين رزقها الله هذه النعمة .

الحادي عشر بعد المائة : قانون انقطاع المسلمين إلى الذكر برزخ دون

---

(١) سورة البقرة ٢٠٨.

(٢) سورة المؤمنون ٩٦.

الإرهاب ، فاعلاً أو متلقياً للفعل الإرهابي .

الثاني عشر بعد المائة : قانون حرمة الإرهاب مع الذين لم يقاتلوا المسلمين سواء كانوا مسلمين أو أهل كتاب أو غيرهم من ملل أهل الأرض.

الثالث عشر بعد المائة : قانون الوحي رحمة عامة .

الرابع عشر بعد المائة : قانون سيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهاج مبارك ، يتوارثه المسلمون في كل زمان.

الخامس عشر بعد المائة : قانون السنة النبوية واستحضارها واقية من الإرهاب والظلم والعنف والتعدي .

السادس عشر بعد المائة : قانون عصمة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الجفاء والغلظة بالوحي ويدل عليه أول الآية ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[1] .

السابع عشر بعد المائة : قانون الرحمة العامة معجزة خاصة .

الثامن عشر بعد المائة : قانون التضاد بين الإرهاب والتراحم بين المسلمين والناس جميعاً .

التاسع عشر بعد المائة : قانون انتفاء التزاحم أو التعارض بين الشورى وبين الوحي .

العشرون بعد المائة : قانون إشاعة لغة الحوار والإحتجاج.

الواحد والعشرون بعد المائة : قانون قبح سفك الدماء.

الثاني والعشرون بعد المائة : قانون أن قتل فرد واحد من الناس كأنه قتل للناس جميعاً ، ولا يقدر على هذا القول وما يتضمنه من الأحكام والأثر إلا الله عز وجل .

الثالث والعشرون بعد المائة : قانون آيات المدد استئصال للإرهاب .

الرابع والعشرون بعد المائة : قانون كل آية قرآنية نازلة هي مدد من عند الله ، ودعوة للناس للإيمان.

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

الخامس والعشرون بعد المائة : قانون مدرسة الذكر إصلاح .

السادس والعشرون بعد المائة : قانون ذكر الله باب للهداية ونزول رحمة الله .

السابع والعشرون بعد المائة : قانون اللجوء إلى ذكر الله واقية من البغي والإرهاب .

الثامن والعشرون بعد المائة : قانون القرآن معجزة عقلية .

التاسع والعشرون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن هداية ورشاد.

الثلاثون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن مادة للصلاح ، وفيها البشارة والإنذار .

الواحد والثلاثون بعد المائة : قانون الإستماع والإنصات للقرآن سكينة وأمان ، ومناسبة للثواب.

الثاني والثلاثون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن عصمة من الظلم والجور والغلبة بغير حق .

الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن حرب يومية على الإرهاب .

الرابع والثلاثون بعد المائة : قانون اتخاذ المسلمين تلاوة القرآن دعوة للهداية ، وجذب قلوب الناس ، وصرف أذاهم عن المؤمنين .

الخامس والثلاثون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن حضور لأحكام التنزيل ومسائل الحلال والحرام بين الناس.

السادس والثلاثون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن زاجر عن الإرهاب لما في آياته من الدعوة إلى الرحمة والتراحم والرفق والنهي عن الظلم والتعدي.

السابع والثلاثون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن استئصال للنفاق .

الثامن والثلاثون بعد المائة : قانون التعدي ظلم .

التاسع والثلاثون بعد المائة : قانون الإنصات للقرآن برزخ دون الإرهاب.

الأربعون بعد المائة : قانون صرف القرآن المسلم عن إيذاء الناس .

الواحد والأربعون بعد المائة : قانون سماع آيات القرآن ترغيب بالتقوى والخشية من الله.

الثاني والأربعون بعد المائة : قانون استدامة سماع الناس لآيات القرآن إلى يوم القيامة .

الثالث والأربعون بعد المائة : قانون حاجة الناس في كل زمان لسماع التنزيل .

الرابع والأربعون بعد المائة : قانون سماع القرآن استئصال للإرهاب ، لذا يجب نشر لغة ومناهج تلاوة وسماع آيات القرآن فهي عنوان الرحمة ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

الخامس والأربعون بعد المائة : قانون الإرهاب ضد للرحمة والتراحم ورقة القلوب .

السادس والأربعون بعد المائة : قانون الإنصات للقرآن برزخ دون التعدي والظلم والقهر .

السابع والأربعون بعد المائة : قانون الإستماع للقرآن عبادة ، ومادة للتدبر في مضامينه القدسية .

الثامن والأربعون بعد المائة : قانون سماع القرآن صلاح .

التاسع والأربعون بعد المائة : قانون بعث التلاوة السكينة في النفس .

الخمسون بعد المائة : قانون الرفق أمن من الإرهاب ، وصيرورة المحارب مملوكاً ثم يعتق دعوة للإصلاح ، وحضّ للناس لإجتناب محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان ضرر الحروب.

الواحد والخمسون بعد المائة : قانون الرق دعوة للإيمان ، إذ يعيش بين ظهراني المسلمين ويراهم في صلاتهم وصيامهم ، ويعلم أن دخوله الإسلام باب لعتقه والتعجيل به .

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤.

الثاني والخمسون بعد المائة : قانون حسن معاملة الرقيق ، وسرعة انقطاع الرقيق ، لبيان تنزه الإسلام عن صيغ العنف والبطش ، ولموضوعية التساوي في الحقوق والواجبات .

الثالث والخمسون بعد المائة : قانون عتق العبيد سلم مجتمعي .

الرابع والخمسون بعد المائة : قانون عدم إكراه النبي محمد أحداً على الإسلام ويدل عليه قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1].

الخامس والخمسون بعد المائة : قانون إقرار الإسلام أهل الديانات الأخرى .

السادس والخمسون بعد المائة : قانون تعاهد الإسلام للكنائس والدير على دينهم ، ويحرم المساس بها .

السابع والخمسون بعد المائة : قانون إكرام القرآن للإنسان مطلقاً .

الثامن والخمسون بعد المائة : قانون الملازمة بين النبوة ولين المعاملة .

التاسع والخمسون بعد المائة : قانون الإقتداء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واجب ، وفيه الأجر والثواب ، ويتجلى الوجوب بآيات منها ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[2] .

الستون بعد المائة : قانون كل آية من آيات الرفق في القرآن حرب على الإرهاب .

الواحد والستون بعد المائة : قانون شواهد الرفق في السنة النبوية زاجر عن الإرهاب .

الثاني والستون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن تهذيب للنفوس .

الثالث والستون بعد المائة : قانون التلاوة سكينة وأمل ، قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة ٢٥٦.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة الرعد ٢٨.

الرابع والستون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن حاجز دون القسوة والعنف .

الخامس والستون بعد المائة : قانون في تلاوة القرآن ثواب عظيم .

السادس والخمسون بعد المائة : قانون تلاوة القرآن أمن وسلام .

السابع والستون بعد المائة : قانون الهجرة نصر .

الثامن والستون بعد المائة : قانون مقابلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإرهاب بالإعراض عن المشركين وبالصبر والحلم .

التاسع والستون بعد المائة : قانون الصلاة والخشوع والإنقطاع إلى الله تعالى حاجة في الدنيا والآخرة .

السبعون بعد المائة : قانون سفك الدماء فساد .

الواحد والسبعون بعد المائة : قانون العمل الإرهابي ضرر محض على الفرد والجماعة والأمة .

الثاني والسبعون بعد المائة : قانون التفسير مرآة لأحكام القرآن ، وبيان لشواهد تضئ مسالك العاملين بها.

الثالث والسبعون بعد المائة : قانون ملازمة الرعب للشرك بالله .

الرابع والسبعون بعد المائة : قانون الرعب زاجر عن إتصال تعدي وظلم الذين كفروا ، إذ نزلت هذه الآية في معركة أحد.

الخامس والسبعون بعد المائة : قانون الرعب سلاح من عند الله عز وجل موجه للذين كفروا ليكفوا أيديهم عن محاربة النبوة والتنزيل .

السادس والسبعون بعد المائة : قانون مصاحبة الرعب للذين كفروا من حين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى أن غادروا الدنيا إلا الذين أدركتهم التوبة ، ودخلوا الإسلام ، قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[1].

---

(١) سورة طه ٨٢.

السابع والسبعون بعد المائة : قانون لا سلطان على قلوب الناس إلا لله عز وجل .

الثامن والسبعون بعد المائة : قانون الحاجة للدعاء لإصلاح القلوب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[1].

التاسع والسبعون بعد المائة : قانون تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن عدوه يخاف منه مسيرة شهر .

الثمانون بعد المائة : قانون التخفيف في الحياة الدنيا ، وقوله تعالى ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾[2] وعمومات قوله تعالى ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3].

الواحد والثمانون بعد المائة : قانون الإنتفاع من تلاوة القرآن والعمل بأحكامه في الآخرة من اللامتناهي .

الثاني والثمانون بعد المائة : قانون حضور الإحتضار .

الثالث والثمانون بعد المائة : قانون هروب كل إنسان من سكرة الموت ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[4].

الرابع والثمانون بعد المائة : قانون امتناع المسلم عن الإبتداء باستعمال السلاح .

الخامس والثمانون بعد المائة : قانون حرمة الإضرار بالناس تأسياً برسول الله ، ومن باب الأولوية.

السادس والثمانون بعد المائة : قانون حسن الجوار برزخ دون الإرهاب والتهديد .

---

(١) سورة الفرقان ٧٧.

(٢) سورة الأنفال ٦٦.

(٣) سورة الرعد ٣٩.

(٤) سورة الجمعة ٨.

السابع والثمانون بعد المائة : قانون التضاد بين حسن الجوار والإرهاب .

الثامن والثمانون بعد المائة : قانون إيذاء الأنبياء إرهاب ومدرسة للإتعاظ من سيرتهم وقصصهم ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

التاسع والثمانون بعد المائة : قانون التضاد بين الإسلام والإرهاب .

التسعون بعد المائة : قانون التضاد بين الإسلام وأسباب الهلاك والضلالة والدمار العام .

الواحد والتسعون بعد المائة : قانون صيانة الإسلام للعهود والمواثيق ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[2].

الثاني والتسعون بعد المائة : قانون التنزه عن الغدر والظلم والتعدي ، وهذا التنزه من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3] .

الثالث والتسعون بعد المائة : قانون التضاد بين أحكام الإسلام والإرهاب .

الرابع والتسعون بعد المائة : قانون التحلي بالأخلاق الحميدة ، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4].

الخامس والتسعون بعد المائة : قانون الإسلام سلام دائم .

السادس والتسعون بعد المائة : قانون نبذ الإسلام للأخلاق المذمومة ، ومنها الظلم والبغي والتعدي.

السابع والتسعون بعد المائة : قانون السنة النبوية ضياء وحجة .

---

(١) سورة يوسف ١١١.

(٢) سورة الإسراء ٣٤.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة القلم ٤.

الثامن والتسعون بعد المائة : قانون السنة النبوية هداية وصلاح .

التاسع والتسعون بعد المائة : قانون حرمة الظلم والإرهاب .

المائتان : قانون القرآن قطعي الدلالة ، ومنها قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] ، و﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] .

الواحد بعد المائتان : قانون الرفق والتراحم العام .

الثاني بعد المائتان : قانون الإرهاب بغي على الذات والأهل.

الثالث بعد المائتين : قانون التضاد بين الإيمان والظلم .

الرابع بعد المائتين : قانون الظلم برزخ دون الشفاعة والنصرة .

الخامس بعد المائتين : قانون الإسلام يجّب ما قبله .

السادس بعد المائتين : قانون الإرهاب ليس من الصالحات ، ليكون سبباً لحجب البشارة عن أهله ومن يمده بالمال والعون .

السابع بعد المائتين : قانون ذكر الموت باعث على التقوى والزهد .

الثامن بعد المائتين : قانون ذكر الإنسان الموت صارف عن الظلم والتعدي .

التاسع بعد المائتين : قانون ذكر الله حرز .

العاشر بعد المائتين : قانون إنتفاع الحي والميت من ذكر الله .

الحادي عشر بعد المائتين : قانون الذكر قوت .

الثاني عشر بعد المائتين : قانون الذكر واقية من وسوسة الشيطان .

الثالث عشر بعد المائتين : قانون ذكر الله تنزه عن الإرهاب وواقية منه .

الرابع عشر بعد المائتين : قانون الذكر صراط مستقيم وطريق إلى الجنة .

الخامس عشر بعد المائتين : قانون ذكر الله عز وجل واقية من الغفلة .

السادس عشر بعد المائتين : قانون ذكر الله حرز من الفتنة والإنجرار إليها .

---

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة آل عمران ١٣٨.

السابع عشر بعد المائتين : قانون الشكر لله وتسبيحه مانع من صدئ القلوب .

الثامن عشر بعد المائتين : قانون الذكر سلاح ضد النفس الأمارة بالظلم والتعدي .

التاسع عشر بعد المائتين : قانون الذكر سكينة تمنع من التطرف والبغي .

العشرون بعد المائتين : قانون المواظبة على ذكر الله نقاهة في الدين ، وبصيرة تنير دروب الهدى والرشاد .

الواحد والعشرون بعد المائتين : قانون الاكثار من ذكر الله واقية من العدوان والإرهاب .

الثاني والعشرون بعد المائتين : قانون الملازمة بين الإيمان والطمأنينة .

الثالث والعشرون بعد المائتين : قانون الدعاء مادة في التفقه في الدين .

الرابع والعشرون بعد المائتين : قانون اجتناب الحاكم الظلم وتنزهه عن الفساد سبب لإستدامة دورات حكمه .

الخامس والعشرون بعد المائتين : قانون لوم النفس .

السادس والعشرون بعد المائتين : قانون مصاحبة اللوم للنفس سواء في التقصير في اكتناز الصالحات وجمع الأموال ، وتضييع الفرص أو الندامة على إرتكاب المعاصي والسيئات .

السابع والعشرون بعد المائتين : قانون إنتفاع الإنسان مما فعله .

الثامن والعشرون بعد المائتين : قانون إتعاظ الناس بعضهم ببعض ، قال تعالى ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1].

التاسع والعشرون بعد المائتين : قانون ملازمة اللوم للنفس الإنسانية ، وهذه الملازمة بسنخية النفس الإنسانية .

الثلاثون بعد المائتين : قانون الظلم حاجب للنصرة .

الواحد والثلاثون بعد المائتين : قانون تبرئ المسلمين من الظلم والظالمين.

---

(١) سورة القيامة ٢.

الثاني والثلاثون بعد المائتين : قانون الإقرار بأن مصير الظالمين في الآخرة هو النار .

الثالث والثلاثون بعد المائة : قانون التنزه عن الإرهاب حاجة في البرزخ ويوم النشور وعالم الحساب .

الرابع والثلاثون بعد المائتين : قانون الإرهاب إخلال بالأمن العام .

الخامس والثلاثون بعد المائتين : قانون الإرهاب إشاعة للخوف بين الناس بقوة السلاح وبغير حق .

السادس والثلاثون بعد المائتين : قانون الظلم برزخ دون الشفاعة .

السابع والثلاثون بعد المائتين : قانون فضح الفطرة للإرهاب .

الثامن والثلاثون بعد المائتين : قانون حرمة الإرهاب بالفطرة وأصل خلق الإنسان.

التاسع والثلاثون بعد المائتين : قانون نهي العقل عن الإرهاب .

الأربعون بعد المائتين : قانون حرمة الإرهاب شرعاً .

الواحد والأربعون بعد المائتين : قانون امتناع العرف في كل زمان ومكان عن نصرة أو تأييد الإرهاب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

الثاني والأربعون بعد المائتين : قانون نشأة سنن الإسلام على البشارة والإنذار .

الثالث والأربعون بعد المائتين : قانون التباين بين الإنذار النبوي والإرهاب والعنف .

الرابع والأربعون بعد المائتين : قانون قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى الله بالسلم والرفق .

الخامس والأربعون بعد المائتين : قانون اتصال الزجر عن الإرهاب .

السادس والأربعون بعد المائتين : قانون الغايات الحميدة لا تدرك

(١) سورة البقرة ٢٧٠.

بالإرهاب .

السابع والأربعون بعد المائتين : قانون لا يرضى الله عز وجل بالإرهاب.

الثامن والأربعون بعد المائتين : قانون الإنذار الموضوعي .

التاسع والأربعون بعد المائتين : قانون كل إنسان تتغشاه رحمة الله سواء كان مؤمناً أو كافراً مع توالي رحمة الله على الناس ، وفوز المؤمنين بالنصيب الأوفر .

الخمسون بعد المائتين : قانون تعاون المسلمين في النهي عن الإرهاب ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

الواحد والخمسون بعد المائتين : قانون مجئ السور المكية والمدنية بالإنذار من الإرهاب والنهي عنه .

الثاني والخمسون بعد المائتين : يدل قانون الخلافة في الأرض على الصلة بين الله عز وجل وعباده في الأرض .

الثالث والخمسون بعد المائتين : وهل يمكن القول بقانون كل إنسان انتفع من الوحي ، أم أن القدر المتيقن هو انتفاع المؤمنين والمؤمنات منه ، المختار هو الأول .

الرابع والخمسون بعد المائتين : قانون الوحي خير محض .

الخامس والخمسون بعد المائتين : قانون الوحي فرع خلافة الإنسان في الأرض وتقوم ذات الخلافة به.

السادس والخمسون بعد المائتين : قانون حفظ الصالحات .

السابع والخمسون بعد المائتين : قانون عصمة الصالحات .

الثامن والخمسون بعد المائتين : قانون الشكر لله بالإمتناع عن الإضرار بالناس .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

التاسع والخمسون بعد المائتين : قانون تلاوة القرآن حرز من البلاء .

الستون بعد المائتين : قانون تلاوة القرآن تقييد للجوارح من الإضرار بالناس .

الواحد والستون بعد المائتين : قانون المعجزة أمضى من السيف .

الثاني والستون بعد المائتين : قانون لزوم ترك القتال والعنف والإرهاب.

الثالث والستون بعد المائتين : قانون لا يجلب الإرهاب إلا الضرر المحض.

الرابع والستون بعد المائتين : قانون التسامح تآلف وسبب للتكافل .

الخامس والستون بعد المائتين : وهل يمكن القول بقانون كل آية من آيات السلم زاجر عن الإرهاب ، الجواب نعم .

السادس والستون بعد المائتين : قانون التضاد بين الإحسان والإرهاب .

السابع والستون بعد المائتين : قانون الدنيا دار الإحسان ، وفي التنزيل ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1].

الثامن والستون بعد المائتين : قانون الملازمة بين الفطرة الإنسانية والإستقامة .

التاسع والستون بعد المائتين : قانون ميل الناس للمتقين ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[2].

السبعون بعد المائتين : قانون مصاحبة المعجزة لكل نبي .

الواحد والسبعون بعد المائتين : قانون شفاعة الأنبياء في الآخرة .

---

(١) سورة الإسراء ٧.

(٢) سورة مريم ٩٦.

من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السفِر المبارك

١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
٣- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى/ العراق .
٤- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي .
٥- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.
٦- سعادة أ.د .رئيس جامعة ديالى .
٧- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية .
٨- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
٩- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.
١٠- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.
١١- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية الجزائرية .
١٢- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.
١٣- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.
١٤- سعادة أ.د. رئيس جامعة الكوفة / العراق
١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.
١٦- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩ / صفر
٢٠٠٨/٢/٢٠

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨م

مصطفى عباس

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية مصر العربية

دار الإفتاء

مكتب المفتي

دار الإفتاء
مكتب
صادر رقم
بتاريخ

المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ.د/ علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم(١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا ببالغ الإعتزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم(معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي
فائق زيدان
رئيس مجلس القضاء الأعلى
٢٠١٧/١٢/٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory

العدد: ٣٢٥١
التاريخ: ٦ / ١١ / ٢٠٢١

مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشدا وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي

Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية
التابع لجامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

العدد : ت / ٨٩
التاريخ : ٩ رمضان ١٤٤٣
الموافق : ٥ / ٤ / ٢٠٢٢

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء

تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعتزاز اهداءكم لنا الجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم اقرأ أو اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي المتميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب
العميد / رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي
والتراث العلمي للدراسات العليا

اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة
بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala

العدد ٦٠
التاريخ ٢٠٢٣/١/١١

No.:
Date:

رئاسة جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

تلقينا بكل تقدير وامتنان اهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث والأربعون بعد المائتين ، ونتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، داعياً الله العلي القدير ان يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكلل اعمالكم بالنجاح انه سميع مجيب .

ومن الله التوفيق

أ.د. عبد المنعم عباس كريم
ع / رئيس جامعة ديالى
٢٠٢٣/١/١٠

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)



الموضوع:.....

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي الموقر
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب-٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة كردفان
UNIVERSITY OF KORDOFAN

النمرة: ج ك/م م/١٧ /ح/٣
التاريخ: ... 2016/8/16م

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

Our Ref: .....
Date: .....

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بإنتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
مكتب المدير
(٠٣٦)

الرقم: ١١٤٦٠/١/٢/١٥
التاريخ: ١٦/٢/١٤٣٦هـ
المرفقات: .....
الموضوع: .....

معالي الشيخ/ صالح الطائي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسال الله لمعاليكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من(معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكلل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د/ عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

العدد: ٢٩٢/١
التاريخ: ١٠/٤/٢٠١٦م
١٤٣/ /هـ

NO.:
DATE: / / 201

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء الثلاثون بعد المائة من(معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن الله التوفيق...

أ.د.علي صالح حسين
رئيس الجامعة العراقية
١/٤/٢٠١٦م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة
رقم ..498../ ر.ج/ 2014

رئاسة الجامعة
قسنطينة في: 2015/03/25

إلى السيد المحترم/الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب(معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرية أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الإحترام والتقدير.

مدير الجامعة

مدير الجامعة
أ.د. عبد الله بوخلخال

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم العلاقات العامة والإعلام

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Basra University
Depr. Of Public Relations & Media

العدد: ٤٢٩٧
التاريخ: ٢٠٢٣/٤/٢٦

إلى // الشيخ عبد الله الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
م// شكر على إهداء

تحية طيبة ...

إشارة إلى كتابكم ذي العدد (٢٣/٤١٩) في ٢٠٢٣/٣/٢٩

ببالغ الإعتزاز والتقدير تسلمنا إهدائكم القيم لنا نسخة من الجزء السادس والأربعين بعد المائتين من (معالم الإيمان) ... نستثمر هذه الفرصة لنعبر عن شكرنا وتقديرنا لهذا الإهداء مؤكدين سعادتنا الدائمة بالجهود المتميزة ، متمنين دوام التواصل والعطاء خدمةً لعراقنا العزيز.

مع التقدير ...

الأستاذ الدكتور

سعد شاهين حمادي

رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret:
العدد:

Date:
التاريخ: ٩/ ٢/ ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو القسم الأول من تفسير(أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.

...مع التقدير

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي
رئيس الجامعة
٢٠١٥/٢/

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
UNIVERSITY OF
KUFA
President's Office

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مكتب رئيس الجامعة

Ref. :
Date: / /

((بجيشنا والحشد الشعبي وقوات البيشمركة العراق أقوى))

إلى/سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي(دام ظله) المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. . .

ببالغ الإمتنان والتقدير تسلمنا نسخة من مؤلفكم القيم الموسوم (معالم الإيمان في تفسير القرآن) بجزئه العشرين بعد المائة وإننا وإذ نتقدم لكم بالشكر والإمتنان على مبادرتكم الطيبة، فأننا نبتهل للباري جل في علاه أن يوفق سماحتكم لما يحبه ويرضاه، ومنه العون والسداد.

مع أسمى آيات تقديري واحترامي. . .

أ. د. عقيل عبد ياسين
رئيس جامعة الكوفة
١١ / ٨ /٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة جدارا
مكتب الرئيس



Jadara University
Office of the President

Ref. الرقم ١٢٠٠٨١٤٢٠٦٤
Date التاريخ ٢٠١٢/٥/٢٦م
الموافق ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تأريخ ٢٠١٢/٥/٢٦م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية(١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الأسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ . د محمد الطعامنه

بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ
الموافق ٢٠١٨/١١/٢٤م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها، وتشكركم على الجزء(١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل على أن النبي(ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.

آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلا، شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ بدر
(أمين السر)

المحتويات

المقدمــة ٣
قانون البسملة سلام ١٨
نعمة العقل ٢١
حلاوة الأمل ٢٣
قانون تصدي الأنبياء للإرهاب ٢٥
الأصنام وبداية البعثة النبوية ٢٧
قول (الله أكبر) رحمة عامة ٢٨
تعدد صيغ الوحي ٣٠
نداء (الله أكبر) رسالة أمن وطمأنينة ٣٣
القرآن سلاح الرسالة المتجدد ٣٥
النسبة بين الفساد والإرهاب ٣٨
لماذا التضاد بين القرآن والإرهاب ٣٩
اجتناب النبي (ص) القتال ٤١
آيات ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٤٣
قانون التقديم للنفس ٤٤
أصل نشوء الإرهاب ٤٧

قانون التقوى مانع من الإرهاب ٤٩
نزول القرآن رحمة دائمة ٥٢
قانون كثرة الطرق إلى الجنة ٥٤
بين الحسد والإرهاب ٥٧
قانون سيادة الإسلام سلماً بالبرهان ٥٩
حديث النعم ٦١
قانون تعاهد النعمة ٦٤
من مصاديق الإرهاب ٦٦
اجتماع الأمر والنهي على حرمة الإرهاب ٦٧
التضاد بين صلة الرحم والإرهاب ٧١
النهي المتعدد عن الإرهاب في آية واحدة ٧٢
تعدد التأويل ٧٤
قانون مصاحبة الندم للإرهاب ٧٦
قانون البراءة من اراقة الدماء ٧٨
القبح الذاتي للفساد ٨٠
التضاد بين الإصلاح والإرهاب ٨١
قانون الحكمة زاجر عام عن الإرهاب ٨٣

نهي الكتاب والحكمة عن الإرهاب ٨٥
بين المعصية والإرهاب ٨٨
الترغيب بالتوبة ٩٠
المنع من فتنة الشباب ٩٢
وجوب التوبة ٩٤
أقسام الإستعارة ٩٦
اللفظ الجامع للأصل والإستعارة / علم جديد ١٠٠
التسليم بنزول التوراة والإنجيل ١٠٢
التوراة والإنجيل لغة ١٠٣
منافع الإقرار بالتوراة والإنجيل ١٠٥
آيات وشواهد من التضاد بين القرآن والإرهاب ١٠٩
قانون الرد بالأحسن استئصال للإرهاب ١١٢
سرايا السلام ١١٥
الرد الحسن على الإساءة ١١٧
قانون الإسلام تثبيت دائم للسلم ١١٨
تحريم الإرهاب / بحث أصولي ١٢٠
رسالة الرحمة حرب على الإرهاب ١٢٤

العصمة من الجفاء ١٢٧
قانون الرحمة العامة معجزة خاصة ١٣٠
الشورى سلم ١٣٢
النفاق نشوءً وإضمحلالاً ١٣٥
العزة لله سبحانه ١٣٨
العزيز من الأسماء الحسنى ١٤١
من قتل نفساً بغير نفس ١٤٢
قانون آيات المدد استئصال للإرهاب ١٤٥
مواطن استحضار التسمية ١٤٧
نداء الإيمان ١٥٣
بين التعدي والإرهاب ١٥٤
قانون الإنصات للقرآن برزخ دون الإرهاب ١٥٦
قانون سماع القرآن صلاح ١٥٧
زوال الرق حرب على العنف والإرهاب ١٥٨
قانون عتق العبيد سلم مجتمعي ١٦١
سقوط الجزية في هذا الزمان ١٦٣
الإسلام دين الرفق ١٦٩

التلاوة عصمة من الإرهاب ١٧١
الصبر على الأذى صارف للإرهاب..... ١٧٤
مقابلة النبي (ص) الإرهاب بالحلم ١٧٦
اختيار الهجرة سلام ١٧٩
إصرار المشركين على القتال ١٨١
التضاد بين الفلاح والإرهاب..... ١٨٥
متى بدأ الزجر عن القتل ١٨٧
قانون ملازمة الرعب للشرك بالله ١٩٠
الرعب سلاح أمن ١٩٢
قانون حضور الاحتضار..... ١٩٧
السنة النبوية اليومية ١٩٨
حرمة الإبادة الجماعية ٢٠٢
قانون النبي (ص) يقاتل كُرهاً ٢٠٣
العناية بالجار ٢٠٦
بين المواطنة وأهل الذمة ٢٠٩
إحصاء آيات النهي عن الإرهاب وتحريمه ٢١٠
حرمة البغي ٢١٢

قانون التضاد بين الإسلام والإرهاب ٢١٤
قانون السنة النبوية هداية وصلاح ٢١٦
السنة القولية ٢٢٠
حد الحرابة ٢٢٣
حرمة إخافة الناس ٢٢٦
حرمة السعي في الفساد ٢٢٧
الواجب القرآني والواجب بالسنة ٢٢٩
قانون الرفق والتراحم العام ٢٣٢
إحصاء الأعمال ٢٣٤
التشدد والتطرف ٢٣٦
براءة القرآن من الإرهاب ٢٣٩
قانون التضاد بين الإيمان والظلم ٢٤١
اتصاف النبي محمد (ص) بالعفو والصفح ٢٤٣
آيات ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ ٢٤٦
استحضار الموت زاجر عن الإرهاب ٢٤٨
قانون ذكر الله حرز ٢٥٢
قانون الذكر قوت ٢٥٣

قانون الملازمة بين الإيمان والطمأنينة ٢٥٦
العدل واقية من الإرهاب ٢٥٨
قانون لوم النفس ٢٦٠
قانون الظلم حاجب للنصرة ٢٦٣
بين الحد والتعزير والقانون ٢٦٦
قانون الظلم برزخ دون الشفاعة ٢٧١
قصار السور حرب على الإرهاب ٢٧٤
قانون فضح الفطرة للإرهاب ٢٧٦
نية صلاة الفجر ٢٧٩
المدثر ٢٨٢
إحصاء الإنذار القرآني ٢٨٥
إتصال الإنذار القرآني ٢٨٩
النسبة بين الإعجاز والوحي ٢٩١
سوء عاقبة الظلم ٢٩٣
قانون حفظ الصالحات ٢٩٦
قانون عصمة الصالحات ٢٩٨
الأخوة مع النبي محمد (ص) ٢٩٩

حرمة الإضرار بالناس ٣٠٢
امتناع النبي (ص) عن الغزو ٣٠٣
آيات السلم زاجر عن الإرهاب ٣٠٦
قانون التضاد بين الإحسان والإرهاب ٣٠٨
شفاعة النبي (ص) ٣١٠
قوانين الجزء ٢٧٠ ..... ٣١٢
من الردود الكريمة على عدد من أجزاء هذا السِفر المبارك ٣٣٣

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٧٢٤ لسنة ٢٠٢٤

طُبعَ هذا الجُزْءُ عَلى نَفقةِ
الأمير الشيخِ غانم الشيخ درع الفَيّاض